صحافة العراق

تاريخها
وكفاح
اجيالها

فائق بطي

Buṭṭī, Fā'iq.

فائق بطي

/ Ṣiḥāfat al-'Irāq /

صحافة العراق

تاريخها وكفاح اجيالها

مطبعة الأديب البغدادية

الإهداء

إلى كل من حمل ويحمل القلم ،
مؤمناً به سلاحاً لتقرير مصير معركتنا
ومن أجل غدنا المشرق ...

أهدي كتابي هذا ، تواضعاً لاولئك
الذين تحملوا المسؤولية الكبرى من
أجل قضيتنا المشتركة .

فائق

المقدمة

لم يكن عهد العراق قصيرا بالنسبة للصحافة قياساً الى بعض الأقطار العربية ، إلا ان الملاحظ التأخر الذي صاحب تقدم الصحف اذا ماحددنا عام ١٨٦٩ نقطة الانطلاق الصحفي للعراق على اثر صدور جريدة الزوراء . والشعب العراقي الذي كان يتطلع دوما لصحافة حرة متفتحة ، لم يكن بمستطاعه ان يحدد العام المذكور ميلاداً لرأيه العام ، ولم يفلح في تحديد عامه الذهبي طيلة فترة كفاحه السياسي والاجتماعي منذ انسلاخ دولته من ربقة الاحتلال العثماني حتى اندلاع ثورة الجمهورية عام ١٩٥٨ ، وما زال يتطلع لتثبيت اليوم الذي يعلن فيه ميلاد صحافة الرأى ليسطر من خلالها تأريخ كفاحه المرير قبل وبعد ميلاد جمهوريته الصاعدة . وهذا لايعني ابدا تجريد الصحافة العراقية من دورها البارز في تصوير واقع المجتمع العراقي ، ولنقل التصوير والنقل الأمين في بعض الأحيـان ، اكثر من تثبيت حقائق التعبير والقيادة السياسية والفكرية الى حـد ضيق جدا سجلتها بعض الصفحات القصيرة من سجل الصحافة الضخم الذي اورقت مطابعنا الملايين منها ! وهناك عوامل عديدة حرمت تاريخ صحافتنا من تثبيت هذه الحقائق والوقائع وواجبنا في هذا الباب تبيان المراحل المختلفة التي مرت بهـا صحافتنا ضمن واقعها السياسي والفكري والفني وتبيان التقدم الذي احرزته الى حد ما ، في اطارها وفق الفترات الزمنية مع بعض المآخذ عليها والتبرير النسبي لتلك المآخذ على النطاق الفني والمهني والفكري .

وقبل الدخول الى باب الميلاد والترعرع لبلوغ سن الرشد لصحافتنا ، علينـا ان نحدد ماهية سن الرشـد للصحفيين لنستطيع بعد ذلك تشخيص تأريخنا بروح متجردة لسن المراهقة السياسية والفكرية التي لعبت دوراً كبيراً في زعزعة الثقة بمفهوم ورسالة الصحـــافة .

تتضارب الآراء وتختلف النظريات في تعريف الصحافة اليومية ، وما تكون عليه من الاهمية بالنسبة لقيادة الرأى العام ، ويتخبط الكثيرون في عزو نموها

وتطورها وكيفية تكوين شخصية الصحفي ونجاحه، وحتى يذهب البعض الى القول ان الصحافة عبارة عن معهد لتخريج الصحفيين الكتاب بمجرد الاكتفاء بتدريبهم او تسجيلهم في سجلات العاملين فيها، مبتعدين عن حقيقة كون الصحافة بمفهومها غير الكلاسيكي هي سلطة رابعة ضمن سلطات الاجهزة التشريعية والتنفيذية للدولة.

يقول سلامة موسى في كتابه «الصحافة حرفة ورسالة» الصحيفة هي مرآة الأمة. وانها اليوم ترينا كما هي الآن، ثم هي مرآتها في الغد ترينا نفسها كما يجب ان تكون في المستقبل.

ولهذا الرأي ابداع في تفهم مسؤولية الصحفي تجاه عمله ووطنه. فالصحفي الذي يعمل في جريدة ما تقع عليه مسؤولية الامانة والدقة والصدق في الكتابة ونقل الاخبار.

وانطلاقا من هذه الحقيقة يحدد المربي سلامة موسى سن الرشد للصحفي قبل ان يحدده للصحافة حين يؤكد على:

اولا: احسن الصحفيين هو من عمل مخبرا في بداية حياته الصحفية.

ثانيا: يجب ان يكتب الصحفي للشعب لا للخاصة ولا للعامة.

ثالثا: الصحفي، مثل الاديب، لايمكن ان يكون متفرجا يروي الاحداث ويقتصر على الرواية غير معنى بما يصيب الأمة او الأنسانية من خير او شر.

رابعا: يحتاج الصحفي الى ان يدرس كثيرا ويختبر كثيرا.

خامسا: لن ينجح الصحفي النجاح الانساني، النجاح الشريف الذي يجب ان يهدف اليه كل صحفي الا اذ اشترك مع مجتمعه في كفاح للخير والشرف والانسانية والعدل والاستقلال.

سادسا: الصحافة، كالشعر والادب والفن، هواية ولكن الهاوي يحتاج الى التربية والتعليم حتى يمهر ويحذق ويحتاج الى ظروف مؤاتية ايضا في الجمهور والبيئة.

سابعا : يحتاج الصحفي الى لغات اجنبية ، على الأقل الى لغة اجنبية واحدة .

ثامنـا : يجب على الصحفي الشريف ان يشتبك وألا يبالي ان يؤدي ، هذا الاشباك الى التورط بالحبس وان يقع في الاضطهاد ، اذ عليه ان يتحمل كل ذلك باعتباره جزءا من حرفته بل من شرفه ، ذلك ان لكل حرفة مقتضياتهـا التي يقتضيها الشرف ، شرف الحرفة .

تاسعا : يحيا الصحفي مع الصحافة ، فهي مهنة وحياة معا .

ثم ينتقل صاحب الحرفة والرسالة الى الصحافة نفسها فيؤكد : « الصحيفة مصنع يجب ان لايقفل بأية حال ، فاذا حدثت في سبيلها جناية فلنعاقب الجـاني وهو الكاتب ، ولا نعاقب الصحيفة ، لأن الجريدة يجب ان تصدر كل يوم لانهـا في نفسها لاترتكب الجناية وانما هناك شخص او اشخاص يرتكبونهـا وهم الذين يستحقون العقاب . »

ان واقع الصحافة ، واقع حي تمر به كل صحافة نامية ، وسرعان ماتصطدم بحقيقة المسؤولية الكبرى التي تقع على عاتق من اتخذ القلم سبيلا للعمل والكفاح من اجل رسالته في الحيـاة . ويشترك في مسؤولية الصحافة سياسية او اجتماعية او حتى تأريخية ، الشعب بصفته مالك تلك الصحيفة كلسان معبر عن واقعه ، والصحفي نفسه ، بوصفه تحمل مسؤولية الشعب في الدفاع عنه ورسم الطريق الصحيح امامه وهو إذ يأخذ هذه المسؤولية على عاتقه ، انما يضع أمامه أمرين لاثالث بينهما ، هما الأمانـة والصـدق في القول والكتابة ، الى ضمير حي في التعبير عن خوالج نفسيته التي هي جــزء لايتجزء من نفسية الشعب . وباشتراك المسؤولية بين الشعب والصحفي ، تدخل السلطة الحاكمة شريكا ثالثا لا تقل مسؤوليتها أهمية ان لم تكن اكثر من مسؤولية الصحفي نفسه ، لأن السلطة بما فيهـا التنفيذية والتشريعيـة والقضائية تضع نفسها امام مجهر الصحافة كسلطة رابعة .

قـال نابليون :

« انني أوجس خيفة من ثلاث جرائد اكثر من أوجس من مائة الف مقاتل . »

وشعبنا العراقي كجزء من الشعب العربي ، عركته سنوات الكفاح منذ

ماينيف على خمسين عاماً، كفاحه في سبيل بناء امته واللحاق بتطور المدنية ، كلما اضفت سنن الطبيعة تطورا جديدا على الشكل الجديد للمجتمع الموجـود أصلا وتاريخا ، وكفاحه من اجل الحياة لأن يبقى مجتمعه متطورا ، وفي كفاحاته الطويلة، فرضت تفاعلات الاحداث مع المجتمع والدولة باشكالها الجديدة المتعاقبة عن ثورات وانقلابات جذرية ، افكارا جديدة تتلائم وطبيعة الحياة الجديدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

قال الشاعر ملتون في حديث له عن الحريات العامة والصحافة بالذات :

« اعطوني حرية المعرفة وحرية القول وحرية المناقشة التي يرضى عنها ضميري قبل ان تعطوني اي نوع من الحريات الاخرى . »

والذين كتبوا عن الصحافة تاريخاً في العراق ، قديما وحديثا ، ثلاثة كتاب ومؤرخين أولهم المؤرخ المعروف عبد الرزاق الحسني في كتابه (تاريخ الصحافة العراقية) طبع عام ١٩٣٥ ، والثاني المرحوم رفائيل بطي في كتابه (الصحافة في العراق) المطبوع في القاهرة عام ١٩٥٥ ضمن سلسلة المحاضرات التي نظمتها جامعة الدول العربية (معهد الدراسات العربية العليا) . والثالث المؤلف في كتابه (الصحافة العراقية ميلادها وتطورها) المطبوع عام ١٩٦١ .

والباحث الذي يود استعراض تأريخ الصحافة منذ صدور العدد الأول العربي حتى يومنا هذا ، يستطيع ان يجد في هذه المؤلفات عونا لتفهم بعض جوانب التطور لصحافتنا ، بجانب كتاب المؤرخ العربي الكبير فيليب دي طرزي عن (تاريخ الصحافة العربية) الذي سجل فيه (عدا) جميع الصحف والمجلات الصادرة في الوطن العربي منذ تكوين الصحافة العربية حتى نهاية عام ١٩٢٩ .

ميلاد الصحافة العراقية

ما من شك في ان الصحافة منذ ان نشأت في طورها البدائي ، التزمت بقواعد وأسس اولية دفعت ببعض الأفراد الى الالتزام بها مع التقيد بالظروف السياسية والاجتماعية آنذاك ، نظرا للتطورات الحدية في داخل المجتمعات البشرية . ومن تلك التطورات في الفترات الزمنية الغابرة ، الفترة التي احتاج فيها الحكام الى نشر بياناتهم أو اوامرهم في صيغها الفردية الاجبارية ، متخذين اسلوبا اشبه ما يكون باسلوب الوثائق الثبوتية او المراسيم الشكلية المراد بها اطلاع الرأي العام عليها . ومن هنا ارتبطت هذه الحاجة من قبل الحكام آنذاك بالواقع التجاري لبعض الرجال الذين بدأوا يفكرون جديا في اخراج النشرات المخطوطة بالوسائل الطباعية بعد ان نجح (يوحنا جوتنبرغ) في عام ١٤٥٤ في اختراع ما نعرفه اليوم (بالآلة الطباعية) .

ومهما كانت تلك القواعد والاسس ، قياسا الى الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي آنذاك ، وبالنسبة لتأخر الصحافة في بدء نشوئها من الناحيتين الفكرية والفنية فان الصحافة العالمية لم تتخذ طابعها الكلاسيكي الا في اوائل القرن العشرين ، بعد ان اصبحت صناعة الآلات والمكائن الطباعية ذات سوق رائجة واسعة في انحاء العالم .

يقول الفيكونت فيليب دي طرزي في مؤلفه « تاريخ الصحافة العربية »

« اول من استعمل لفظة (الصحافة) بمعناها الحالي كان الشيخ نجيب الحداد منشيء جريدة لسان العرب في الاسكندرية وحفيد الشيخ ناصيف اليازجي واليه يرجع الفضل في اختيارها فقلده سائر الصحفيين من بعده . وكانت تسمى الصحف في اول عهدها « الوقائع » ومنها الوقائع المصرية كما دعاها بها رفاعة بك الطهطاوي ، وسميت ايضا « غزته » نسبة الى قطعة من النقود بهذا الاسم كانت تباع بها الصحف . وقيل ايضا ان اول صحيفة ظهرت في البندقية سنة ١٥٦٦ كانت تسمى غزته » .

ثم يذكر طرزي ان خليل الخوري انشأ عام ١٨٥٨ جريدة (حديقة الاخبار) في بيروت اطلق عليها لفظة « جورنال » وتعني بالفرنسية يومي ، ثم رأى الكونت رشيد الدحداح صاحب جريدة « برجيس باريس » تسميتها بالصحيفة . واخر من اطلق تسمية « جريدة » هو احمد فارس الشدياق صاحب (الجوائب) في القسطنطينية .

قال تولستوي :

« الجرائد نفير السلام وصوت الامة وسيف الحق القاطع ومجيرة المظلومين وشكيمة الظالم . فهي تهز عروش القياصرة وتدك معالم الظالمين » .

وقال العلامة اللغوي انستاس ماري الكرملي : « **الصحافة هي نتاج العقل والعقل العامل . وحيث لاعقل عامل لاصحافة » فهل من اجل المظلوم والعقل العامل ولدت الصحافة العراقية ؟**

يؤكد دي طرزي على ان اول جريدة عربية انشأها نابليون الاول سنة ١٧٩٩ في القاهرة عندما كان قائدا للحملة الفرنسية في وادي النيل كان اسمها « الحوادث اليومية » ومحررها اسماعيل الخشاب .

ولكن المؤرخ العراقي المعروف رزوق عيسى رئيس تحرير مجلة « المؤرخ » يذكر في مجلة النجم عام ١٩٣٤ :

« **ان المعلومات التي جاء بها الرحالة الاجانب ومنهم من البريطانيين ايدوا حقيقة ان اول صحيفة ظهرت باللغة العربية كانت (جريدة العراق) التي صدرت في بغداد عام ١٩١٦ وذلك عندما عين الوالي المعروف داود باشا الكورجي واليا » .**

وقبل ان نؤكد على قول المؤرخ طرزي او رزوق ، تؤكد الوقائع التاريخية على ان العراق عرف الصحافة لاول مرة عام ١٨٦٩ على اثر صدور جريدة الزوراء . وتؤكد هذه الوقائع على ان مصر عرفت الصحافة العربية قبل غيرها من الدول العربية . وكل الذين كتبوا عن الصحافة العربية ، والعراقية بالذات اكدوا بناء على المعلومات التاريخية — تركية وعربية — بان الزوراء هي الوليد الاول لصحافتنا ، وان ١٥ حزيران من العام المذكور هو يوم الميلاد .

ظهرت الزوراء بعد شهرين من تعيين مدحت باشا واليا على بغداد حيث جلب معه مطبعة (الولاية) من باريس مؤسساً اول جريدة عربية في بغداد منذ الحكم العثماني طويل الامد بجانب اللغة التركية ، وجعلها جريدة رسمية يعبر من خلال سطورها الحكام عن المراسيم والسياسات التي يراد بها الانتشار لدى الرأي العام العراقي . وقد جاء في صدر عددها الاول :

« الغزتة (وتعني الجريدة كما ذكرنا سالفا) تطبع في الاسبوع مرة يوم الثلاثاء وهي حاوية لكل نوع من الاخبار والحوادث الداخلية والخارجية . »

صدرت الزوراء بثماني صفحات عربيـــة تركية ، تترجم في قسمها العـــربي شؤون الولاية واحوالها والقوانين والانباء الرسمية والبراءات السلطانية ونصوص المعاهدات والوثائق واخبار الامبراطورية ودامت حوالي خمسين عاما حتى الاحتلال البريطاني .

وطيلة مدة ٣٩ عاما لم تظهر في العراق سوى ثلاث صحف بجانب الزوراء ، منهـا جريـدة الموصل عام ١٨٨٥ مـــرة في الاسبوع وباللغتين العربية والتركية ايضا كشقيقتها جريدة البصرة ، الصادرة هناك في كانون الثاني عام ١٨٩٥ ، أسسها محمد علي باش كاتب الاملاك السنية . واختفت كل من جريدتي الموصل والبصرة عام ١٩١٤ .

ومنذ ان بدأت تباشير النهضة الصحفية تلتصق التصاقا مباشراً بالتطور الصناعي الذي فرض تطورا فكريا منعكسا عن علاقات الفرد بالانتاج وضرورة دفع الاكتفاء المادي بما يتفق والتكوين الجديد لحاجيات الانسان ، اختلفت المقاييس الموضوعية في علاقة العمل الصحفي بالانتـاج الحديث . والدليل على ذلك هو التباين الواضح بين ارتباط العمل المهني منذ نشـوء الصحافة بالالة اليدوية ، وبين ذلك الارتباط اليـــوم بالمهنة ذاتها قياسا للتطور التكنيكي والاوتوماتيكي بنفس الالة .

ان التطور في الطباعة الصحفية يسجل انجازا تاريخيا مدهشا ، بدأ في اوربا ووصل الدولة العثمانية متأخرا وكان لابد للصحفي ان يتماشى مع هذا التطور . خاصة بعد ان تشابكت الظروف المعقدة ببعضها نتيجة تطور المجتمعات وقيام الثورات السياسية ، وقلب كيان المجتمعات الاقطاعية ونمو المجتمع الرأسمالي جنبا الى جنب مع التغيرات الجذرية في اختلاف العلاقات الاجتماعية . كل هـــذه الاسباب دفعت الصحفي إلى استثمار هـــذه

الاحداث ، والاستفادة من تلكم التطورات ليستطيع المساهمة في رفـــع مستوى مهنته الى مستوى الاحداث ، بصفتها مصـدر السلطة التي تمثلهـا الصحافة العـامة .

الا ان تشعب المجال الصحفي ، وتكاثر القضايا والمشـاكل المعقدة التي فرضتها تطورات الصحافة ، لم تكن مسـؤوليتها مقتصـرة على اعضـاء الاسرة الصحفية ، بل تعدتها الى السلطات الحاكمة نفسها لما للصحافة من دور بارز في قيادة الرأي العام ، وتأثيرها على ســـير الاحداث الداخلية والدولية وخطورة رسالتها واهمية وجودها كسلطة رابعة في الدولة ، خاصة بعد ان اصبحت ملكا فرديا او لفئة سياسية او عامة للشعب .

فظهرت الى عالم الصحافة تشريعات خاصة بهـا ، وكان اول نظـام شرع في الدولة العثمانية نظم بموجبه الصحافة بتاريخ ٢ شعبان ١٢٨١ اي (١٩ كانون الاول ١٨٦٣) ثم عدل بعد انقلاب الدستور العثماني عـام ١٩٠٨ بقانون المطبوعات الصادر في ١٦ تموز عام ١٩٠٩ ، ورغم صدور مثل هذا القانون ، فقد ظهرت في العراق بعد الانقلاب المذكـور بوادر نهضة فكرية وثقافية واسعه ، كانت للصحافة النصيب الاكبر من هـذه الانتفاضة ، حيث صدرت خلال ثلاث سنوات ٣٧ جريدة كان اولها جريدة بغداد وهي اول صحيفة شعبية تصبح ملكا خاصا . ظهر العدد الاول منها في ٦ آب عام ١٩٠٨ وكانت تصدر ثلاث مرات في الأسبوع باللغتين العربية والتركية رئيس تحرير القسم العربي فيها الشاعر الكبير معروف الرصافي . واصبحت فيما بعد تنطق بلسان حزب الاتحاد والترقي العثمـاني والمسؤول عن الانقلاب الدستوري . ومن ابرز كتابها الشاعر جميل صدقي الزهاوي وفهمي المدرس ويوسف غنيمة . ولكنها احتجبت عام ١٩١١ نتيجة ضعف الحزب المذكور سياسيا ولجوء الاعضاء الى تجميده والاسـتغناء عن الجريدة .

كتب العلامة اللغوي انستاس ماري الكرملي عنها يقول :

« كانت جريدة بغداد احسن صحفنا في العراق حتى عام ١٩١١ في فكرتها وبتعبيرها ومقالاتها الوطنية التي جعلت الصحيفة مثالا يقتدى به من بعدها » .

لقد اورد مؤرخ الصحافة العربية الفيكونت فيليب دي طرزي اسماء ٥١ جريدة صدرت في بغـــداد منذ الانقلاب الدستوري حتى الاحتلال البريطاني عام ١٩١٨ و ١٦ جريدة في البصرة و ٦ في الموصل ، بالاضافة الى ١١ مجلة في بغداد وواحدة في كركوك واخرى في الموصل . وذكر المؤرخ العراقي المعروف عبد الرزاق الحسني انه قد صدرت ٥١ جريدة في بغداد و ٢٠ مجلة . الا ان هناك خطأ وقع فيه او لنقل (بسهو) الذي دفع كليهما اسقاط بعض الصحف او المجلات بالنسبة للالوية العـــراقية فمنذ الانقلاب الدستوري حتى اندلاع الحرب العالمية الاولى . ظهرت في بغداد الصحف التالية :

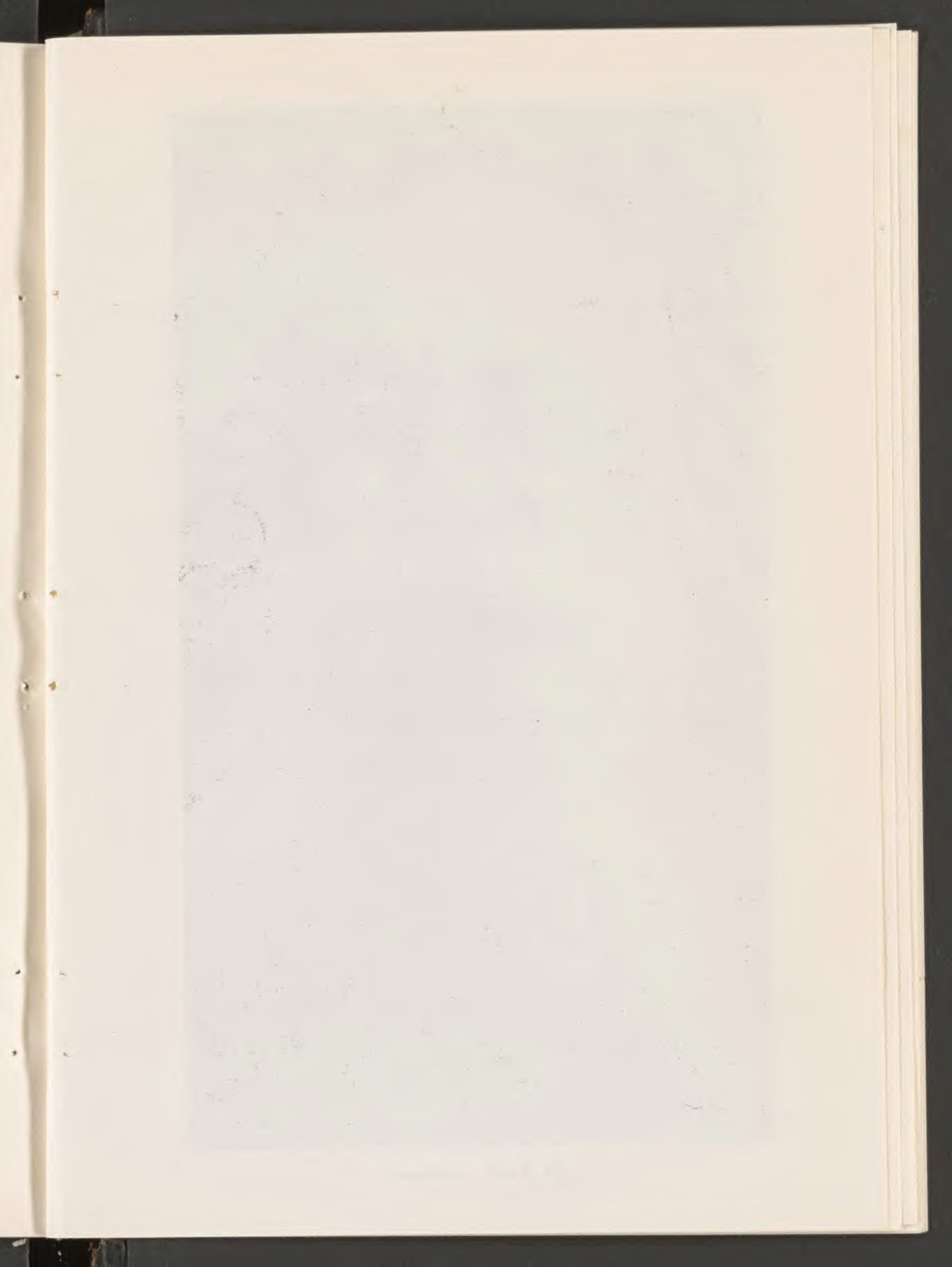
بغـــداد : صدرت في ٦ آب عام ١٩٠٨ .

الرقيب : صدرت في ٢٨ كانون الثاني عـام ١٩٠٩ لصاحبها عبد اللطيف ثنيان وفي نفس العـــام صدرت الصحف التـــالية وهي : الارشاد في ١٢ شباط لصـــاحبها حســـين فريد ، والانقـــلاب في ٢١ آذار لصاحبها ح . ثريا و م . رؤوف ، والتعاون في ٢٥ نيسان لرشيد افندي ، وروضة في ٢٢ حزيران لعبد الحسين الأزري ، والحقيقة في ٢٥ حـزيران لطلعة افندي ، وصائب في ٣ آب لصاحبها م . عارف ، وصـدى بابل في ١٣ آب لداؤد صليوا ويوسف غنيمة ، والزهور في ٤ تشرين الثاني لصاحبها ن . يوسف ، وبين النهرين في ٦ كانون الاول لمحمد كامل .

وقد تناسى المؤرخ طرزي ذكر اسم جريدة (العراق) وهي ثاني صحيفة تصدر في بغـــداد سياسية عربية لصاحبها عبد الجبار باشا الخياط وصدر العدد الاول منها في اول كانون الثاني عام ١٩٠٩ .



انستاس الكرملي



وفي عام ١٩١٠ صدرت الصحف التالية : الرياض في ٧ كانون الثاني لصاحبها سليمان الدخيل ، وبيلدبرم في ٩ كانون الثاني لمحمد صادق الاعرجي ، والظرايف في ١٢ كانون الثاني لابي الصفا طلعت ، والفرات في ١٣ نيسان لعبد الحسين الأزري ، والرصافة في ١٧ حزيران لمحمد صادق الاعرجي ، ومصباح الشرق في ١ آب للحاج محمد تقي اليزدي ، وصائب في ١١ آب لأبراهيم فهمي ، وسبيل الرشاد في ٢٨ ايلول لمحمد بهجت ، ووجدان في ١٢ كانون الاول لابي الصفا طلعت . ويذكر المؤرخ الحسني ، انه صدر بجانب هذه الصحف ، جريدة (قنلج) وتعني السيف ، وهي سياسية وباللغتين العربية والتركية اصدرها حسين فوزي افندي في ٣١ كانون الاول ١٩٠٩ . كما يذكر جريدة (خان جغان) وهي هزلية انشأها في بغداد طلعت افندي في ٥ آذار سنة ١٩١١ ثم يذكر كلا المؤرخين اسماء الصحف التي صدرت عام ١٩١١ وهي :

بالك صدرت في ٣ آذار لصاحبها ابو الضياء شكري افندي ، والحقوق في ١٨ كانون الثاني لصاحبها معروف افندي علي اصغر ، عاشت ٦ ايام فقط ، وجريدة المضحكات في ٢٣ كانون الثاني لمحمد سعيد لطفي ، والفسطاس في ٥ شباط لعبد الجبار الاعظمي ، وتفكر في ٢١ شباط لسلمان عنبر ، والمصباح في ٧ آذار لعبد الحسين الأزري ، وخان الذهب في ٢٢ آذار لمحمد سعيد لطفي ، وسيف الحق في ٣٠ آذار لعثمان نوري اورزلي ، والبلبل في ١٦ نيسان لمحمد سعيد لطفي ، وافكار عمومية في ١٨ نيسان لحسين عوني ونزهت كامل ، ويكي مودة في ٤ آيار لعبد الرحيم صائب ، وكرمه نرمه في ١٦ آيار للطفي فكرت واحمد هادي ، والاسرار في ٢٣ آيار لعبد الرحيم صائب ، والصاعقة في ٨ حزيران لعبد الكريم الشيخلي ، ودونبلا في ١٥ آب للطفي فكرت ، والنوادر في ٦ ايلول لمحمود وهيب (تقول مجلة المعلم الجديد ان صاحبها امي وقد طالب بتأميم الثلج) والمصباح الاغر في ١٤ تشرين الثاني لعبد الحسين الأزري .

وفي عام ١٩١٢ صدرت جريدة مكتب في ٦ آذار لصاحبها يونس وهبي، ومعارف في ١ آب لأبراهيم فهيم، والنهضة في ٣ تشرين الاول لأبراهيم حلمي، وغنجة اتحاد في ٣ كانون الاول لصلاح الدين كركوكلي، وصدى الاسلام في ٢٣ تموز عام ١٩١٥ لعطا الله آل الخطيب وهي باللغة العربية والتركية، وصدى الاسلام في نفس اليوم باللغة الفارسية والتركية.

اما الصحف التي ظهرت في الالوية للتأريخ المذكور قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى فهي تلك التي صدرت في البصرة :

الايقاظ ظهرت في ٢ آيار عام ١٩٠٩ لسليمان فيضي، والتهذيب في ١ حزيران لأمين غالي، واظهار الحق في ١ حزيران لقاسم جلميران، ومرقعة الهندي في ٢١ تشرين الثاني لاحمد حمدي، والفيض في ٦ ايار عام ١٩١٠ لداود نيازي (واغلقت في نيسان ١٩١١ على اثر انتحار صاحبها) والبصرة الفيحاء في ١٠ آب لاحمد حمدي ومحمد حمدي، والرشاد في ٢٩ آب ليونس السامرائي، وأتي في ٢٣ تشرين الاول لعمر فوزي، والتاج في ٢٢ تموز عام ١٩١١ لمحمد نجيب، والمنبر في ١٢ تشرين الأول لاحمد جودت كاظم، والدستور في ٢٢ كانون الثاني عام ١٩١٢ لعبد الله الزهير، وصدى الدستور في ٢٥ ايلول عام ١٩١٣ لعبد الوهاب طباطبائي.

وفي الموصل، صدرت الصحف التالية :

نينوى في ١٥ تموز عام ١٩٠٩ لفتح الله سرسم، والنجاح في ١٢ تشرين الثاني ١٩١٠ لمحمد توفيق، وجكه باز في ٢٧ حزيران ١٩١١ لعبد المجيد خيالي، ودعوة الحق في ٧ نيسان ١٩١٥ لمحمد رشيد الصفار.

وقد تناسى المؤرخون من ذكر جريدة النجف التي صدرت باللغة الفارسية عام ١٩١٠ في مدينة النجف الاشرف وشارك في تحريرها المفكرون والكتاب يتقدمهم رئيس تحريرها الشيخ حسين الطهراني وكان مديرا

مسؤولا لها الحاج محمد الدهنوي النجار وقد ساعد على انشاء مطبعتها اليدوية صاحب جريدة (الحبل المتين) في الهند .

وفي كربلاء ، صدرت جريدة (الاتفاق) في ٧ آذار عام ١٩١٦ لصاحبها الحاج مرزة علي الشيرازي .

يقول رفائيل بطي في كتابه « الصحافة في العراق » .

« بديهي ، عندما نستعرض تاريخ الصحافة في قطر من الاقطار لايمكن ان نسرد اسماء جميع الصحف واحوالها ولا سيما اذا كانت الواحدة لاتعش اكثر من بضعة اعداد او بضعة اشهر . كما هي الحال مع صحفنا في العهد العثماني ، بحيث صارت (اللازمة) لاحدى مجلاتنا العلمية عندما تقرض جريدة جديدة ان تختم كلمتها بالدعاء لها بالحياة لئلا تكون كغيرها تلتمع ولاتلبث ان تختفي بسرعة . فخليق بنا ان نبحث الجرائد ذات الشخصية والأثر في مجتمعنا » ،

ويذكر المؤلف جريدة الرقيب كنموذج لصحيفة حرة تميزت باسلوبها الكتابي وسلاسة عبارتها ونقاء لغتها بالقياس الى الصحف الأخرى في تلك الفترة . وقد اجمعت الاراء على انها كانت اجرأ الصحف واكثرها شعورا بالواجب ، اذ زينت صدر اعدادها الاولى العبارة التالية :

« جعلت خطة (الرقيب) حرة الى آخر درجة تذكر المسيء وتقبح فعله مهما كان شريفا عالما فاضلا غنيا ، وتذكر المحسن وتقدر احسانه مهما كان خاملا فقيرا بلا فرق بينهما ، اذ بدون ذلك تذهب مزية المحسن ضحية عدم شهرته وغناه وذلك مما يخالف العقل لأن الحسنة حسنة وان كانت من بيت الاحسان فهي الاحسن ، والسيئة سيئة وان كانت من بيت الشرف فهي اسوأ » .

ومن الصحف البارزة الاخرى جريدة بين النهرين التي اصبحت فيما بعد لسان حال حزب (الحرية والائتلاف) المعارض للسلطة آنذاك ، وشارك في التحرير فيها الشباب المنضوي تحت راية الحزب المذكور وخاصة العراقيون واقبل عليها القراء مما دفع بصاحبها الى جعلها تصدر ثلاث مرات في الاسبوع بدلا من مرة واحدة . واعتبرت اول جريدة في تلك

الفترة تنتصر للفكرة القومية العربية ، جنبا الى جنب مع جريدة مصباح الشرق لعبد الحسين الأزري في بغداد . وفي البصرة سارت جريدة (الايقاظ) في المسيرة القومية التي سارت فيها الصحف (الوطنية) الاخرى المطالبة بالحقوق الكاملة للمواطنين العرب .

ففي مقال رئيسي لجريدة الرقيب كتبت تقول :

« لايخفى على عموم اخواننا العثمانيين ماكنا نلاقيه في الدور السالف المنصرم من انواع الظلم والتعدي والاستبداد والاستعباد وماكنا نئن تحت ثقله ولا يمكننا التشكي مما اثقل كواهلنا حتى في خلواتنا لأن على كل منا حسب اعتقاده وظنه الف جاسوس ينقل عنه مايقوله حتى صار البعض يعتقد ان الخليفة المخلوع كالحاكم بأمره الفاطمي وحتى كاد يدعي علم الغيب لتسلطه على العموم بواسطة جواسيسه المنتشرين على وجه القطعة العثمانية كالجراد حتى قيض الله سبحانه لهذه الملة المظلومة من قام بنصرتها وهم جمعية الاتحاد والترقي الذين طالما ذكرنا فضلهم على الامة ونوهنا بذكرهم وحمدنا الله عز وجل على انهم تمكنوا بعونه تعالى من قلب ذلك الدور النحس بلا اراقة دم ولا اثارة حرب ولكن أبى الله عز وجل تغيير سنته في ان الانقلاب لايكون سلميا وان الحرية لايمكن اخذها بغير السيف واذا اراد الله امرا هيأ اسبابه ، فقام جماعة ممن ختم الله على قلوبهم وحبب اليهم الظلم وحب الجاه ، فارادوا معاكسة الجمعية وهم يعلمون ان اعظم معاكسة لها احباط مساعيها (ولا أهم واعظم على الجمعية من اعادة الدور السالف ولو ادى الامر بسفك دماء الالوف) واعادة عموم الرعاية الى العبودية بعد الحرية والى ترفع البعض على بعضهم بعد المساواة والى الظلم والجور بعد العدالة والى الضغائن والعداوة بعد الاخوه . . . »

وقيل في جريدة الايقاظ الصادرة في البصرة عام ١٩٠٩ على لسان صاحبها سليمان فيضي في مذكراته :

« ان الرغبة الملحة في القيام باعمال وطنية مفيدة كانت تتأجج في نفسي ، فازمعت على اصدار صحيفة حرة تنادي بالاصلاح ، وتهاجم الباطل حيثما كان ، وكيف ما كان ، وتفصح عن رغبات الشعب في تعميم اللغة العربية في دوائر الحكومة ومعاهد التعليم ، وتطالب بفتح المدارس وانشاء المستشفيات ومجانية التعليم ، الى غير ذلك من الاصلاحات . وبعد لأن

حصلت على اجازة لاصدار جريدة (الايقاظ) وقد صدر العدد الاول منها بتاريخ ٢ مايس ١٩٠٩ فكانت اول صحيفة اهلية في البصرة ، عدا الجريدة الرسمية التي تنشر القوانين والانظمة باللغة التركية مع تعريب مقتضب .

وقد لاقت جريدتي رواجا منقطع النظير بالنسبة الى الاوضاع السائدة في ذلك الوقت. فبلغ عدد مايوزع منها اسبوعيا الف نسخة ، وكانت ترسل بانتظام الى مشتركيها خارج العراق كالهند والمحمرة والكويت والبحرين وعدن ومسقط وجدة وسنغافورة وغيرها . ويعلم الله كم لاقيت بسبب صحيفتي هذه من المتاعب والمشاكل ، وفي تعنت المسؤولين وتجبرهم . » ودام صدور الجريدة حتى اواخر تشرين الاول عام ١٩١٠ ثم توقفت بسبب سفر صاحبها الى الحجاز ولم تصدر بعد ذلك التاريخ .

ومن المقالات الهامة التي درجت الايقاظ على تناولها ما كتبه صاحبها في العدد ١٥ حول الحرية يقول :

« الحرية - هي كما يلزم على الامة من الاطاعة التامة للحضرة الملوكية كذلك واجب عليها الاطاعة والانقياد لأوامر الحكام والمأمورين العادلين وهيئة الحكومة المجموعة لانه لو تحققنا اساس هؤلاء لوجدنا جميعهم وكلاء الحضرة السلطانية وذلك مثلا ان الوالي والمتصرف والقائمقام والمدير هم وكلاء السلطان في اماكن وظيفتهم من حيث الضبط والربط واما النواب فكذلك وكلاء عن حضرة جلالته في امر الاحكام الشرعية واما رؤساء المحاكم واعضاؤها فهم كذلك لأجل تنفيذ الاحكام الشرعية والقانونية بأذنه وهكذا الاطاعة لهؤلاء الجميع والامتثال لاوامرهم .

« المساواة - هي ان يكون الغني والفقير والكبير والصغير والوزير والحقير والمسلم وغير المسلم في الحقوق الشخصية سواء لافرق بينهما وفي سائر الاحوال بمقتضى التطبيق لاصول والاداب والعرف العام مثل احترام الصغير للكبير ورعاية الكبير للصغير والتجنب على الخطوات للآداب المشروعة والنظامات الموضوعة ويلزم ان يعرف كل واحد مقامه . »

اما بالنسبة للمجلات الأدبية والاجتماعية فقد ظهرت في بغداد المجلات التالية :

زهيرة بغداد ، وهي مجلة دينية ادبية اصدرهـا الاباء الكرمليون في ٢٥ اذار عام ١٩٠٥ وكان من ابرز محرريها اللغوي الكبير الاب انستاس ماري الكرملي . وصدرت بجانبها في نفس التاريخ مجلة الأيمان والعمل باللغة الفرنسية ، والعلم شهرية دينية ايضا صاحبها السيد محمد علي هبـة الدين الشهرستاني صدر عددها الاول في ٢٩ اذار عام ١٩١٠ ، وتنويـر الافكار وهي ادبية دينية شهرية صاحبها عبد الهادي الاعظمي صـدرت في ٢٦ آب عام ١٩١٠ احتجبت بعد سنة واحدة ، ومجلة العلوم او خـردلة العلوم لصاحبها رزوق عيسى صدر عددها الاول في تشرين الثاني عام ١٩١٠ ولعددين فقط ، ولغة العرب وهي ادبية شهرية لصاحبها الاب انستاس الكرملي ومديـرها المسؤول الشيخ كاظـم الدجيلي صـدرت في ١ تموز ١٩١١ ، توقفت اثناء الحـرب العالمية الاولى وعاودت الصـدور بعـدها حتى بلغ عـدد مجلداتها ٩ سـنوات اوقفهـا صاحبها ، والحياة وهي اجتماعية تهذيبية شـهرية صاحبهـا ابراهيم حلمي العمـر ومديرها المسؤول سليمان الدخيل صدرت في كانون الثاني ١٩١٢ لاربعـة اعداد فقط ، والرصافة ادبية اجتماعية دينية لصاحبها السيد محمد صادق الآعرجي صدرت في ٩ نيسان ١٩١٣ ، وجهاد باللغة التركية لصاحبها عثمان عزت آل كانب الفارسية صدرت في نيسان ١٩١٣ صدر منها ٥ اعداد فقط ، وشمس المعارف وهي اسبوعية لصاحبها الكاتب المعروف ابراهيم صـالح شكر صدرت في ٢٥ نيسان ١٩١٣ ، وسبل الرشـاد وهي دينية اجتماعية شهرية لصاحبها محمد رشيد الصفار صـدرت في ١٨ آيار عـام ، ١٩١٢ والغرائب وهي اول مجلة فكاهية انتقادية تعرضت لسيرة والي بغداد انذاك ناظم باشا باسلوب قصصي هزيل انتقادي صدرت مرتين في الشهر لصاحبها داؤو صليوا في شباط ١٩١٣ لمدة ٦ اشهر فقط ، ومقتبسات باللغتين العربية والتركية لصاحبها عيسى ديزهلي صدرت في ١ أيار ١٩١٤ ، والنور وهي

ادبية شهرية لصاحبها السيد محي الدين فيض الله الگيلاني صدرت في تموز ١٩١٤ لثلاثة اعداد ، وبنك كرد باللغتين العربية والتركية لصاحبها جمال الدين بابان صدرت في ٨ شباط عام ١٩١٤ لـ ٥ اعداد فقط .

وفي الموصل ، صدرت مجلة اكليل الورد للاباء الدومينيكيون صدرت في ١ كانون الاول عام ١٩٠٢ ، استمرت في الصدور ٦ سنوات اختفت في عشية صدور الدستور العثماني الجديد عام ١٩٠٨ . وصدرت في كركوك مجلة كوكب المعارف في ٢٠ كانون الثاني ١٩١٦ ، بينما يذكر المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني ان هناك مجلة صدرت في كركوك باسم معارف في ١١ نيسان عام ١٩١٤ وهي باللغة التركية لصاحبها محمد جواد لمدة ٣ اشهر .

تعتبر مجلة لغة العرب ، من اقدم وارقى المجلات الفكرية والادبية التي صدرت في العراق في تلك الفترة وحتى بعد الحرب العالمية الاولى . كتب فيها كبار الادباء والكتاب العرب والعراقيون كأحمد زكي ابو شادي واحمد حامد الصراف ويعقوب نعوم سركيس والجواهري والرصافي وعلي الشرقي وعيس اسكندر المعلوف ومحمود الملاح وغيرهم . وكانت في بداية كل سنة منذ صدورها تنشر فهرس الفهارس لكافة الاجزاء الصادرة تدون فيه اسماء الكتاب الذين شاركوا في التحرير واسماء المطبوعات التي تناولها الكتاب في النقد وكل الامثال والاقوال المأثورة الواردة والالفاظ الاجنبية ولكافة المواد واسماء المطبوعات من كتب ومجلات وجرائد ، واسماء المدن والقرى والانهر والجبال والمدارس والجوامع واعلام الناس من الرجال والنساء والقبائل والعشائر .

ومجلة العلم ، اعتبرها النقاد والشعراء آنذاك من ارقى المجلات العلمية الفلسفية . وقد جاء في مقدمة عددها الاول :

« والامل من حملة العلم وحماة الدين ومن يشاركنا في الغاية والغرض ان يسعى في نشر هـــذه الصحيفة ويساعدنا بفيض يراعه ويجد في ان يجـــد ما يتمناه من تمرس اصول الدين والعلم في اراضي القلوب وتكميل الافكار واصلاح الشعوب وفك مقاليد التقاليد المضرة عن عقولهم » .

في تلك الفترة من تاريخ الصحافة ، كانت الصحف والمجلات تخضع لقانون المطبوعات التركي ومن اهم بنوده التي كانت تقيد حرية الفكر :

« يجوز ان تعطل مؤقتاً الجريدة او المجلة التي تنشر ما من شأنه ان يخل بامان الدولة الداخلي او الخارجي بقرار من مجلس الوزراء بقصد محافظة السكينة والامان . » والملاحظ ان كل قوانين المطبوعات التي اعقبت القانون المذكور قد نصت على مثل هذه القيود المطلقة في (كيفية التعطيل) والاسباب الموجبة لذلك حسب ما نصت عليه المادة المذكورة ، مما يجعل حرية الفكر مقيدة باهواء وسياسات الفئات الحاكمة التي تتخذ من هـذا القيد حجـة لحجب الحريـة عن هـــذه الجـــريدة او تلك .

ومن المواد الاخرى :

« يحكم على الشخص المسؤول وفقا لاحكام المادة الحادية عشرة من ٣ اشهر الى ٣ سنين عند نشر تعبيرات والفاظ ومقالات تتضمن قدح الذات الملوكية او ذمها . »

« .. وعندما يقع ذم على خاندان السلطنة او مجلس النواب والأعيان والمحاكم وغيرها من الدوائر والهيئات الرسمية والجيش العثماني واسطوله والمأمورين السياسيين للدول المتحابة وقناصلها المقيمين في البلاد العثمانية يعاقب الشخص المسؤول بموجب المادة الحادية عشرة يوماً الى ٦ اشهر او بغرامة من خمسة ليرات الى ٥٠ ليرة او بكلتا هاتين العقوبتين . . »

وكانت تصدر بين الحين والاخر تعليمات تحريرية الى الصحف منها :

ـ محظور على الصحف نشر ابحاث مطولة مهما كان نوعها ، ادبية كانت ام فنية بحيث لايتسنى للصحيفة او المجلة نشرها مرة واحدة . ولايجوز مطلقا استعمال كلمة (يتبع) او غيرها من التعابير التي تدل على ان للبحث صلة .

ـ لما كان ترك الفراغ او وضع نقط متتابعة في المقال مما يسبب التشويش ويترك المجال لتقولات وفرضيات لاطائل تحتها فلا يسمح باستعمال ذلك في المقال مطلقا .

ـ يجب ان لايعطى اي مجال للطعن في الشخصيات واذا اسندت تهمة السرقة او الرشوة او القتل لاحد الولاة او الى احد المتصرفين فينبغي كتمانها بسبب عدم امكان اثبات صحة تلك التهم لذلك ينبغي عدم افساح المجال مطلقا لنشر امثال هذه الامور في الصحف .

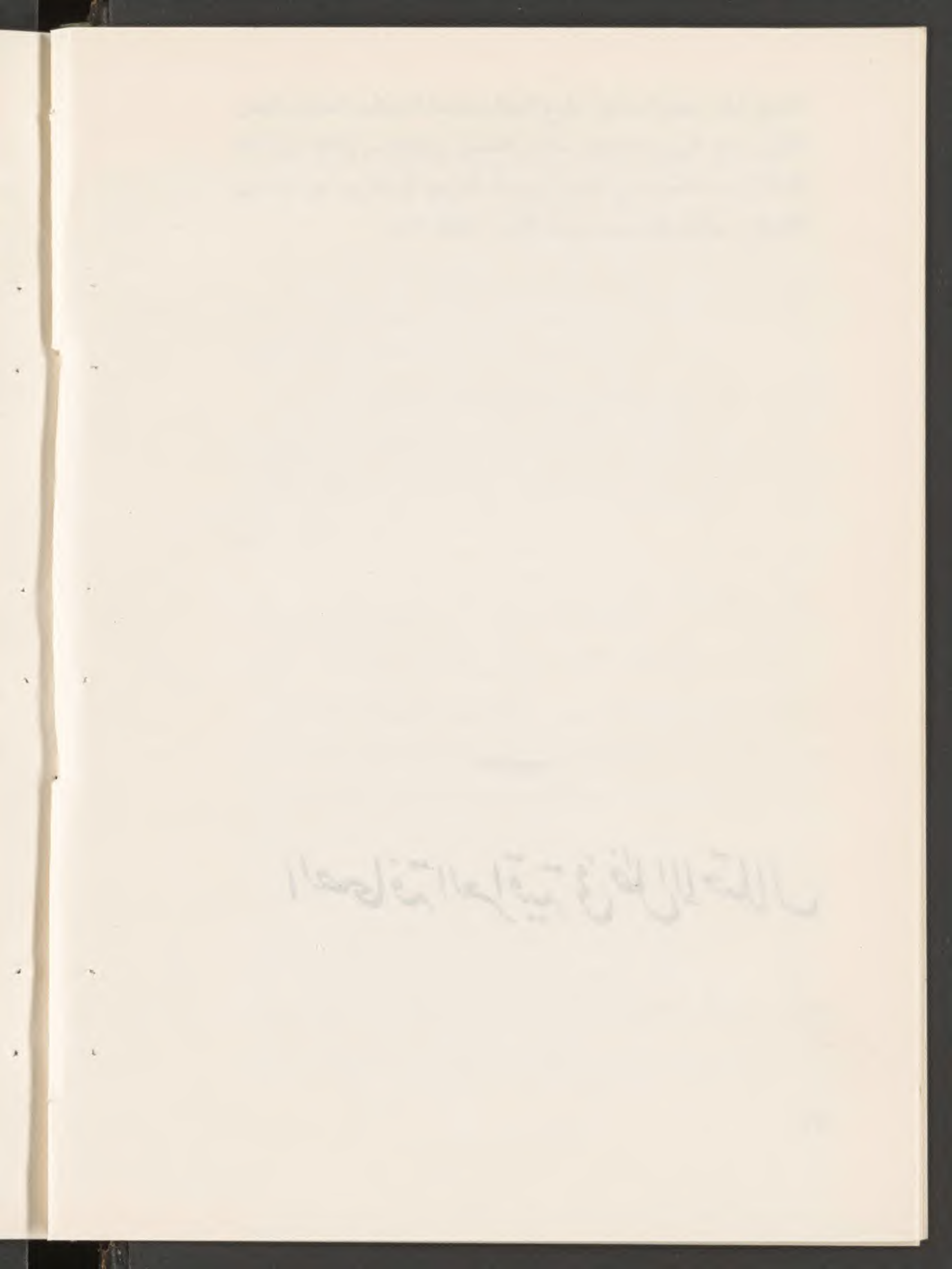
ـ محظور على الصحف نشر ظلامة اي او اية جماعة من الشعب تشير الى سوء تصرفات موظفي الدولة . كما انه محظور على الصحف الاشارة الى امر شكاوى من هذا القبيل طرقت مسامع الذات الملكية المقدسة .

ـ بما ان شعبنا الصادق الامن يجب ان لا يطلع على اي خبر يتعلق بمحاولات الأغتيال التي قد تقع ضد الملوك في البلاد الاجنبية او على اي مشاغبة او مظاهرة يقوم بها المفسدون في تلك الممالك فمن الضروري الحيلولة دون تسرب امثال هذه الاخبار الى الشعب بصورة مطلقة .

ان معظم الصحف الصادرة آنذاك كانت اسبوعية وبحجم صغير والمجلات شهرية لاتدوم اكثر من عددين او خمسة بسبب ضعف الامكانات الفنية اولا وقلة التوزيع ثانيا مما يجعل استمرارها ـ مستحيلا ـ لضعف القدرة المالية لدى اصحابها رغم انها كانت تمتاز بقـــوة التعبير وبدافع فكري . الا ان رداءة الطبع وسوء الادارة وانعدام القراء بجانب اسباب

اخرى كسفر بعض اصحابها خارج الدولة وملاحقة السلطات العثمانية للبعض الاخر حدد تاريخ واحتجاب صدور الصحف والمجلات ، واضافة كل تلك الاعداد من الاسماء التي تضمنتها صحيفة التاريخ المدونة من قبل المؤرخين الاوائل ، والمحفوظة لدى مديرية الآثار والمكتبة العامة .

الصحافة العراقية في ظل الاحتلال



لم يكن عهد الاستعمار البريطاني باحسن حال بالنسبة للشعب العراقي قياسا الى التحكم العثماني . اذ ان الفرق بين العهدين ، يعود الى تطور التاريخ ماديا ، واتخاذ الاستعمار طريقا استغلاليا نجم عن تطور الرأسمالية وصراعها مع الاقطاع الذي انتهى عهده في اوربا على اثر النهضة الصناعية وتوجه انظار الرأسمال الغربي الى ماوراء البحار حيث الارض لاستغلالها واستثمارها ، لصالح الاحتكار الاستعماري ، ورخص اليد العاملة ووفرة الذهب الأسود ، وتقسيم الاسواق بين (المستثمرين) ، بينما كان الدافع

الاول للسلاطين العثمانيين بجانب الدافع الاقتصادي ، الـــثراء الشخصي والمجد (اللاهوتي) ، وتوسع رقعـــة الامبراطورية بحجة حماية التراث والممالك الاسلامية .

فان سلك الاستعمار العثماني أبشع أنواع الارهاب والاضطهاد ، فان الاستعمار البريطاني بعد احتلال العراق عام ١٩١٧ ، سلك اخس الاساليب وابشعها لارهاب الشعب وكبت الحريات وخنق الافكار ليجعل من العراق وشعب العراق سوقا نفطيا يغطي بها عجز (تركيا) السياسي والاقتصادي .

احتلت القوات البريطانية البصرة في ١ كانون الاول عام ١٩١٤ وتولت أمر الصحافة الخاصة والعامة وشرعت فـــوراً سلطات الاحتلال العسكرية باصدار نشرات يومية باللغتين العربية والتركية متضمنة اخبار الحرب وانتصارات الحلفاء . وتطورت هذه النشرات فيما بعد ، لتصدر في البصرة على شكل صحيفة يومية اطلقوا عليها اسم (الاوقات البصرية) والاسم كما يبدو تقليد بريطاني في تسمية الصحف ، اتبعته جميع الصحف التي نشرت بالانكليزية في الشرق والغرب حيث تضاف عبارة (اوقات) ترجمة (للتايمس) البريطانية المعروفة والى اسم القطر الذي تصدر فيه الجريدة لتدون فيها انباء محلية تتعلق بالبلاد .

صدرت هذه الصحيفة بأربع لغات هي العربية والتركية والفارسية والانكليزية وكان الهدف من اصدارها الدعاية لسياسة الحلفاء وايهام الناس بأن بريطانيا تعمل لمصلحة الوطن !

وعندما احتلت القوات البريطانية بغداد عام ١٩١٧ ، انتقلت حكومة الاحتلال المركزية الى بغداد وصدر أمر بتعيين عطا أمين من وجوه البصرة مديرا لادارة (اوقات) البصرة حيث استمرت الصحيفة المذكورة على الصدور

حتى عام ١٩٢١ على اثر تشكيل حكومة ماسمي بالاستقلال .

وفي بغداد أسست حكومة الاحتلال المركزية جريدة بصفحتين تظهر بين يوم وآخر صدر منها العـــدد الاول في ٤ تموز عام ١٩١٧ بأسم العرب ، وحملت في صدر صفحتها عبارة تشير الى سياستها وهي (جريدة سياسية تاريخية ادبية بناءة قومية وطنية عربية) كان الهدف من صدورها محاولة فرض الرأي السياسي لسلطات الاحتلال على جماهير النـاس تحت ستار (هم منكم واليكم) .. اي ان جريدة العرب تصدر في بغـــداد ويحررها ابناء الشعب من العراقيين في سبيل العراق . انها سياسية اتبعها المستعمرون ايام الحرب لغرض التقرب اكثر للعرب والاستفادة من اثارة النعرات القومية وبث روح الحقد تجاه الاتراك .

واصدرت سلطات الاحتلال كذلك في بغـــداد نشرة مصورة باسم صدى الحقيقة في ١ تشرين الاول ١٩١٧ استغلتهـا لنشر صور انتصارات الحلفاء في الحرب . كما اصدرت ملحقـا مصورا لجريدة العـرب في ٢٣ حزيران ١٩١٨ بعد ان أسست جريدة (الاوقات البغدادية) باللغـــة الانكليزية في الاول من كانون الثاني عام ١٩١٨ عززتها بملحق مصور بين الحين والآخر . ثم اصدرت جريدة اسبوعية ادبية في بغداد ايضـا باسم دار السلام في ٢٣ حزيران من العـام المذكور تحولت بعد اربعـة عشر عددا الى مجلة اي في ٦ تشرين الاول تولى امر ادارتها اللغوى انستاس ماري الكرملي واستمرت في الصدور ثلاث سنوات .

وفي الموصل ، اصـدرت سلطات الاحتلال جريدة (الموصـل) في ١٤ تشرين الثاني ١٩١٨ واستمرت عشر سنوات تحولت بعـــدها شـبه رسمية على يد الحكومة العراقية وعهدت بتحريرها الى يونان عبو اليونـان احد الكتاب الموصليين المعروفين .

واصدرت السلطات البريطانية في كركوك ايضا جريدة بأسم نجمة كركوك صدر العدد الاول منها في ١٥ كانون الاول عام ١٩١٨ باللغة العربية تحولت كذلك الى شبه رسمية بعد الاستقلال .

وفي السليمانية اصدر الانكليز جريدة اسبوعية سياسية هي سليماني بيشكوين اي (التقدم) صدرت في ٢٩ نيسان ١٩٢٠ باللغة الكردية ، لم تستمر اكثر من اربعة اشهر عطلتها الحكومة بعد الاضطرابات الدامية التي وقعت هناك في اواسط شهر ايلول .

لقد خضعت الصحافة العراقية طيلة الاحتلال لمشيئة المستعمرين ولم تكن هناك صحيفة واحدة تستطيع التعبير بصدق عن آماني الشعب . فانعدمت اهميتها في وقت كان الواجب الوطني الذي حتمته التطورات السياسية ونمو الحركة الاستقلالية واتساعها ان تلعب دورها القيادي في هذا المجال . الا اننا لانستطيع التغاضي عن اهم العوامل التي لعبت دورا بارزا في التأثير على نمو وتطور الصحافة بعد ذلك التاريخ ، وعلى رأسها مرحلة الكفاح القومي من اجل الاستقلال ، وفترة الثورة العراقية لعام ١٩٢٠ ، وما اعقبها من احداث ارساء الحكم الوطني المستقل عام ١٩٢١ ، وانبثاق الحياة الحزبية في السنوات المتعاقبة .

السنة الاولى
﴿ الاثنين ﴾

العراق

AL 'IRAQ.

EDITOR & PROPRIETOR,
RAZZUQ D. A. GHANNAM
All communications should be addressed to the Editor AL 'IRAQ Bridge Street, Baghdad.
Subscription rates :—

	Local	Postal
12 months	20	28
6	10	14
3	6	8

RATES FOR ADVERTISEMENT.

Contract advertisements Rs. 40 per inch per mensem 5 per cent. deduction for contracts of three months or more.
Other advertisements As. 8 per line or Rs. 2 per inch 5 per cent. deduction for 10 insertions or more.

صاحب الجريدة ومديرها
رزوق داود غنام

... ويدفع سلفاً
في الخارج
٣٠ ربية ٢٥ ربية
٩ ربيات ١٤ «
٥ ربيات
... حزيران ١٩٢٠ — جريدة يومية سياسية ادبية اقتصادية — الموافق ١٩ رمضان ٣٣٨

... ت رويتر

... الروسي في انكلترة

... ايار : بلغ رويتر ان الحكومة ... لبداء رصاصها ياسم ... الى ...

... ويجد ... البريطانيين ... التجارية من وجهتها السامة ولم ... البحث في مسألة الاعتراف . لان ... هو الاطلاع على ما تحتاج ... ية وما تستطيع اصداره الى الخارج ... ح المندوب الروسي انه لا يمكن ... سلطة التجارة وفي بث الدعوة في ...

... بين بريطانية والولايات المتحدة

... في ٢٦ ايار : خطب اللورد (ريدن) ... الي القيت في نادي (الوش) وتطرق ... عن المسابقات التي بين بريطانية ... فقال ان الاميركيين والانكليز ... ان التضامن الذي كان ... الحرب ينبغي ان يوسا عليه ... لم وان يزيداه قوة . وقال ... واسعنا ان مستقبل العالم ... في يدي اميركة وبريطانية ... الدولتان في المستقبل في

... يكونان متر ... قتين .
ولا تتوقع ... ية ان تنفق عن شيء مما عليها من الديون لا سيما تلك الديون التي اقترضتها منها في زمن الحرب بل انها ستؤديها باجمعها .

جواب تركية على معاهدة الصلح
... العدد

جواب حكومة على معاهدة الصلح .

تقاويم دور المكس (الكمرك) في العراق
— (١) —

من انفس ما ظهر اخيرا من المنشورات الرسمية في العراق تأليف موسوم بالعنوان الآتي : «مجموعة البيانات في تقاويم دور المكس في العراق الى نهاية كانون الاول سنة ١٩١٩» وما قد جاء به هذا السفر من الفوائد الكبرى هو مدة ... كان يشعر به سابقا عند ... الحاجة الى استمداد الافادات المفصلة في شأن مميزات التجارة واتساع نطاقها في هذه البرد قبل الحرب وبعده . والكتاب يحوي ستة جداول ارقام تظهر منها التفاصيل الآتية :

١ : مجمل قيم الداخلات التجارية الى البصرة في السنين التابعة وهي ١٩١٠ و ١١ و ١٢ ، ثم ١٥ ، و ١٦ ، و ١٧ ، و ١٨ .

٢ : مجمل قيم الصادرات من ميناء البصرة في سنة ١٩١٩ .

٣ : تقرير شهري للداخلات الى ميناء البصرة سنة ١٩١٩ .

٤ : تقرير شهري للواردات من البحر على طريق النهر الى بغداد سنة ١٩١٩ .

٥ : تقرير شهري للصادرات من البصرة سنة ١٩١٩ .

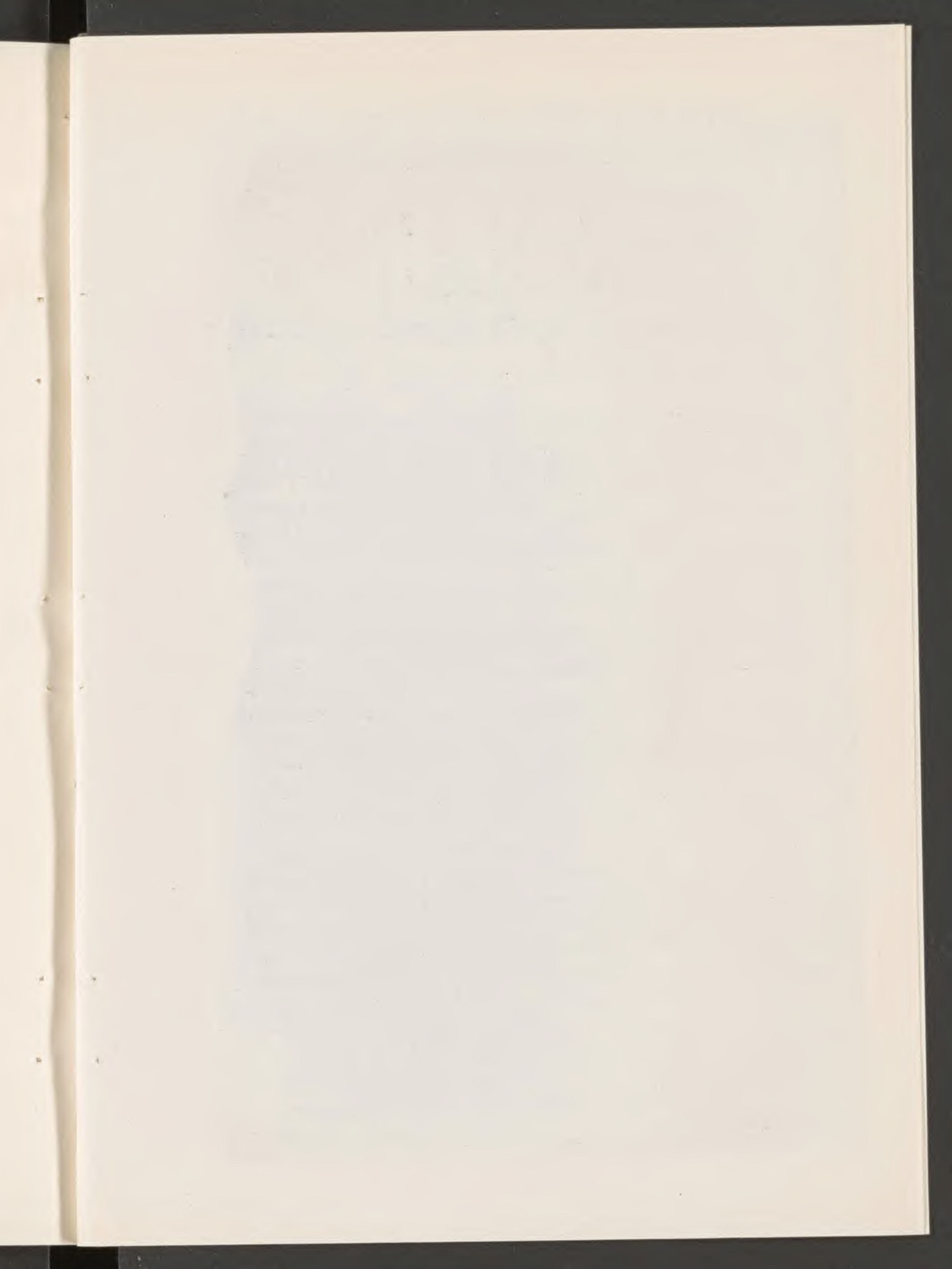
٦ : تقرير شهري للصادرات من بغداد سنة ١٩١٩ .

... بدي هوان الارقام المذكورة راجعة الى التجارة الخصوصية ولا تشمل شيئا من صادرات او داخلات الحكومة .

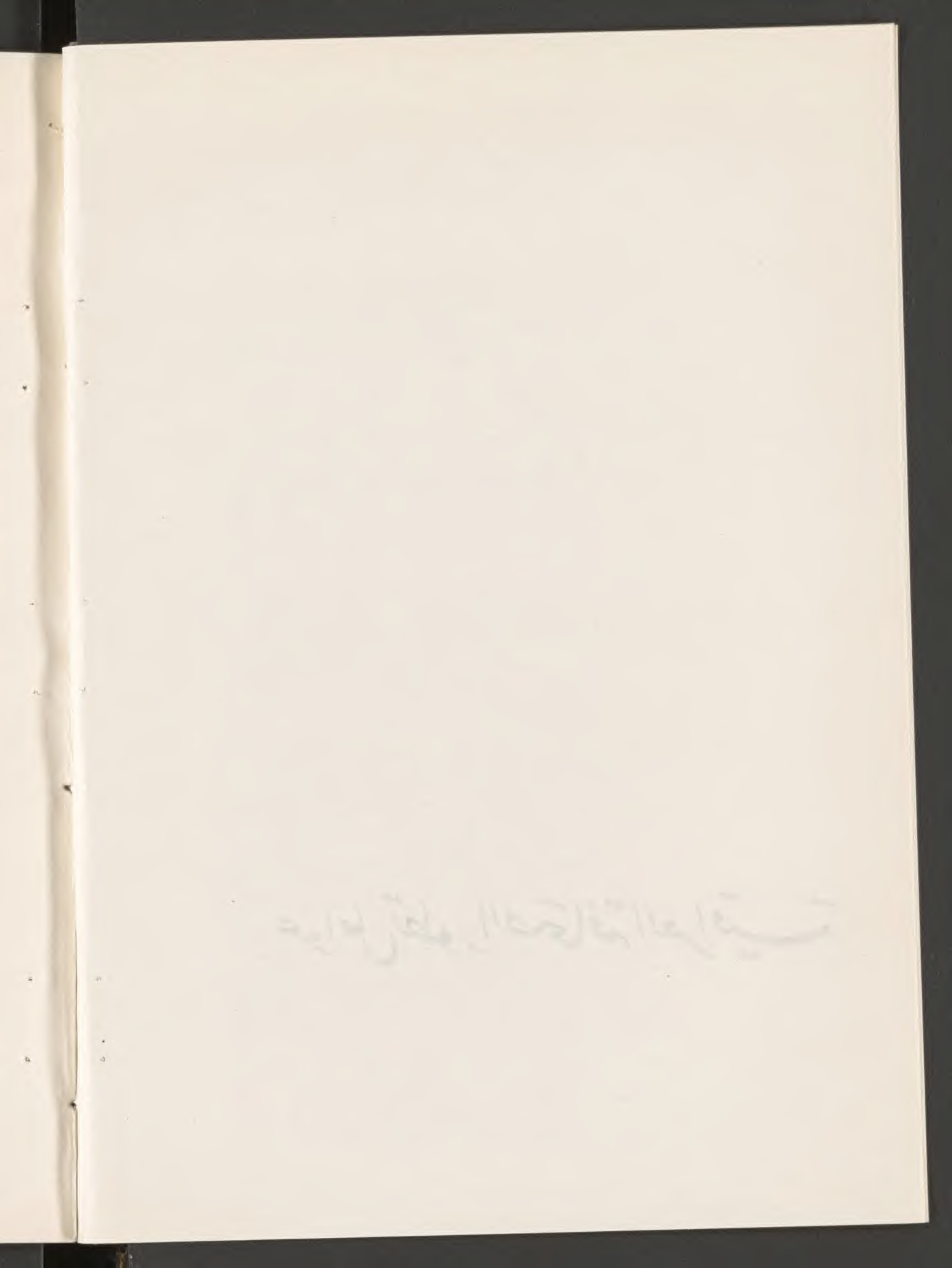
والارقام العائدة الى كل سنة من السنين الثماني المندرجة في الجدول الاول تشمل الداخلات الى البلاد على طريق البحر ، ما خلا سنة ١٩١٩ ، فان قيم المستحلبات فيها تتضمن جميع الداخلات المرسلة الى بغداد وقد دفع رسم مكسها هنا . واذا اردنا مقابلة السنين الحاضرة بالغابرة تحتم علينا ان نضيف الى ارقام البصرة ارقام الداخلات الى بغداد سنة ١٩١٩ المذكورة في الجدول الرابع . وهذا الذي صنعناه . فان الارقام الموضوعة ادناه تبين بعدد مئات الالف ربية مجمل المطلوبات التجارية في العراق مدة السنين المذكورة .

سنة	مئات آلاف ربية	سنة	مئات الالف ربية
١٩١٠	— ٣٠٣	١٩١٦	— ٥٠٤
١٩١١	— ٤٢٨	١٩١٧	— ٦٢٥
١٩١٣	— ٣٩٨	١٩١٨	— ١١١٠
١٩١٥	— ٩٤	١٩١٩	— ١٨٤٠

اما ارقام الثلاث السنين السابقة للحرب



عوامل تطور الصحافة العراقية



١ - الكفاح من اجل الاستقلال

عقد مؤتمر السلام الأول في باريس ، وخرج المؤتمرون بمعاهدة فرساي الدولية الشهيرة عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى . وطالب الوطنيون (الاصلاحيون) آنذاك سلطات الاحتلال البريطاني تنفيذ ما جاء في بعض نصوص المعاهدة المذكورة حول تقرير المصير تحت بند ايقاظ الشعور للشعوب الصغيرة . وفي خضم تلك الاحداث ، قام جيش التحرير العربي بقيادة فيصل الأول بتأسيس حكومة مستقلة عربية في دمشق ، وبدأ الضباط ورجال الفكر من العراقيين

الذين شاركوا في الثورة العربية يعودون الى بغـداد وهم يحملون افكارا تحريرية قومية . وتجاه هذا المد الفكري والاصلاحي، تقدم بعض المثقفين العراقيين الى السلطات العسكرية البريطانية بطلب خاص للسماح لهم باصدار صحف يومية في بغداد والبصرة والنجف والموصل. واتضح ان هذه البادرة من قبل الرجال العراقيين جاءت متفقة مع خطط السلطات البريطانية التي كانت تفكر باحلال نوع من النظام المدني بدلا من نظـام الاحتلال العسكري المباشر لكسب ثقة المواطنين واسناد مشاريع سلطات الاحتلال . فوافقت السلطات العسكرية على أصـــدار ثلاثـة صحف هي العـــراق والشرق ، والاستقلال .

صدرت جريدة (العراق) في بغداد في الاول من حزيران عـام ١٩٢٠ لصاحبها رزوق غنام ، وجريدة (الشرق) في ٣٠ آب من العـام المذكور لصاحبها حسين افنان ، وجريدة (الاستقلال) في ٢٨ ايلول لصاحبها عبد الغفور افندي البدري .

لقد ذكر بعض المؤرخين بان جريدة العراق صدرت بدلا من جريدة العرب التي كانت تصدرها السلطات البريطانية . وقد اثبتت الجريدة منذ صدورها هـــذه الحقيقة عندما كتبت (العرب) في عـــددها الاخير الصادر في ١ آيار خبرا ، قالت فيه :

« يصدر غدا » العدد الاول من جريدة (العراق) وهي جريدة يومية تبحث في السياسة والادب والاقتصاد لصاحبها الوحيد رزوق داؤد غنام . وهذا العدد من جريدة العرب هو العدد الاخير . »

— وتم فعلا طبع جريدة العراق في نفس المطبعة التي كانت العرب تطبع فيها . وهذا لايكفي للتدليل على ان سياسة (العراق) سوف تكون استمرارا لسياسة العرب التي خضعت منذ تأسيسها لتوجيهات سلطات الاحتلال .

اذ اثبتت هـــذه الجريدة في الاعداد القليلة التي اعقبت صـدور وليدها على انها اختطت لنفسها سياسة مستقلة دونت خلال سـطورها ، التاريخ السياسي القومي والاجتماعي وتعمقت في القضايا الفكرية والاقتصادية ، ولكنها في نفس الوقت لم تكن تمثل القطاع الوطني التحرري الصاعد ، بالرغم من وجود بعض الكتاب المتحررين من الشباب القومي والوطني الذين لم يجدوا غير (العراق) طريقـا للتعبير عن افكارهم ، ورغم ان سياستها لم تكن معارضة لسلطات الاحتلال بصورة جدية .

ومن كتابها الاوئل ، شكري الفضلي وحسن غصيبة وعطى أمين ورفائيل بطي (وهـو محــررها الاول) ومحمـد عبد الحسين (الصحفي المعروف والكاتب في ثورة العشرين) .

كانت هذه الجريدة تصـدر باربع صفحات صغيرة لتعذر وانعـدام الامكانات الفنية الطباعية الحديثة آنذاك . وجل مقالاتها الافتتاحية بسيطة ، واخبارها المحلية نادرة لم تـزد في بعض الاعـداد عن خبر واحد تافــه او رسمي واحيانا صدرت دون اخبار محلية واغلب اخبارها خارجية نقـلا عن وكالات رويتر ، وبجانب مقال رئيسي أو افتتاحي مقتبسات عن الصحف العربية وصفحة كاملة اعلانات رسمية قصيرة . في عـــددها الاول كتبت افتتاحيتها تحت عنوان (المطبوعات) جاء فيها :

« لاشك أن المطبوعات هي المرآة الصقيلة التي تنعكس عليها خطوط ارادة الامة واراءها ونقاط امالها وعواطفها . لذلك هي اليوم في المجتمعات الراقية المتقدمـة من الاهمية بمكان عظيم فان علماء الاجتماع وجهـابذة السياسة لايتمكنون من رؤية ناصية الحق ومحيا الحقيقة عندما تغبر هـــذه المرآة . لان الامور النافعـة والضارة تتشابه عليهم ويلتبس البـاطل بالحق والخيال بالحقيقة لديهم فيركبون في ادارة المملكة متن عمياء ويخبطون في سياستها خبط شعواء غير مميزين بين جواهر الاراء واعـراضها ، وهيولي

الافكار وصورها ، لان المطبوعات هي التي تقبل العثرات ، وتقلل الزلات والسقطات ، وتكثر الحذر من التورط في النكبات . »

ثم نأتي على خلاصة المقال :

« والخلاصة ان المطبوعات الحرة هي معـــرض حياة الامة السياسية والاجتماعية ومنار فخرها ومباهاتها فان عدمتهما تشبه المخزن المشحون بالنفائس وليس فيه سراج وهاج يظهر مالها من البهاء والرونق ويقدر بين امواج نوره ما تسواه من الثمن والله على ما نقول وكيل . »

وفي مقال آخر في العدد ٥٥ ، ظهر المقال الافتتاحي التـالي تحت عنوان « دستور حياة القرن العشرين » ، نقتبس منه بعض فقراته :

« لاشك ان حاجات الانسان تتزايد شيئاً فشيئاً بصورة تناسب حياته الاجتماعية وترقياته المادية والادبية . ومن يمعن النظر في الحاجات المقتضاة للقرن العشرين يرى العجب العجاب ، لانها تزايدت وتنوعت الى درجة تحير العقول والالبـاب ومن البديهي ان السـعي اذا لم يكن كافيـا للحصول على هذه الحاجيات المتسلسلة لاتنال السعادة ولا تلذ الحياة . وان الوسائط التي تقتضيها اليوم راحة الاوربيين وسعة حالهم تكون عندنا سببـا لضنك العيش واضطراب الحياة فيضرنا مـا ينتفعون به لاننـا لم نسع على قدر الاحتياج ولم نتحرر الطرائق المؤدية الى السعادة .

« . . . ولا يخفى ان امم الغرب قد سعدت بمواد دستور حياة القرن العشرين ، وارتفعت الى مكان علي من تهذيب الفـرد والجماعة ، وفازت باماني المدنية والعمران ، وانفتحت امامها طرق الاقتصاد والسياسة فوصلت الى ماهي عليه اليوم من النجاح والفلاح . »

يلاحظ من النموذج السابق اعلاه ، ان المقالات الافتتاحية لهـذه

الجريدة كانت سطحية وبعيدة عن عمق التحليل المطلوب في مثل هـــذه المقالات والتي في الغالب تتناول ، ويجب ان تتناول ، القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تهـم المواطنين . وكاتب المقـال كان يحـاول تنميق وتنسيق العبارات الانشائية الجوفاء دون ادراك معنى ومغزى التحليل المطلوب في افتتاحية الصحف التي نشهدها في الاعوام اللاحقة بعد الاربعينيات او في عصرنا المعاصر .

لقد احتوت كل صفحة من صفحات الجرائد آنذاك على ثلاثة اعمدة فقط لحجم الصفحة الصغير الذي يقـابل ١/٤ الحجـم الاعتيادي للصحافة العامة سواء في العراق او في العالم الخارجي . والعناوين تكاد تكون معدومة وكذلك الصور الفوتغرافية اللهم الا القليل من العناوين والتخطيط المطلوب في الاعلان التجاري حيث كانت (الكلايش) الزنكغرافية تجلب من خارج العراق لهذا الغرض .

اما صياغة الاخبار العالمية او المحلية ، فكانت ركيكة ، ضعيفة الكيان الخبري الهـــرمي ، تكاد تكون (رواية) يتداولها عامة الناس ، فتصاغ كالخبر التالي المنشور في عدد ٤ آب عام ١٩٢٠ :

« في الساعة ١٢ ظهرا من نهار امس شبت النـار في (السيف) جانب الكرخ فالتهمت الدار الذي يحوى بانزين ومطاط السيارات فبـادر للحال رجال المطافىء وسعوا جهدهم في توقيف اندلاع لسان النار الى الاطراف المجاورة وكان يخشى على البيت الملاصق لها الخاص ببيت خالد جلبي لكنه سلم منها غير انها امتدت الى بعض بيوت صغيرة بجنبها واصليت فيهـــا النيران والآن ونحن نكتب هذه السطور الساعة اربعة ونصف زوالية لاتزال النار مشتعلة بعد ان خضدت شوكتها . »

اما جريدة « الشرق » فكان صاحبها ابان الحرب الأولى معاون امر

معتقل للاسرى من الضباط العراقيين والعرب في سمربور ثم تولى منصبا كبيرا في ديوان الحاكم البريطاني العام في بغداد .

كتب في العدد الاول يقول :

« نرى امامنا بلادا عم فيها الاضطراب وكثر الويل وقد اخذنا في هذا البحران على عاتقنا مسؤولية انشاء جريدة يومية سياسية عالمة بهول الموقف ومصير الامور . فالشرق جريدة حرة معتدلة مبدؤها خدمة البلاد ، وغرضها نشر الافكار الحرة والمبادىء القومية وبث روح السياسة المسالمة ونشر الحقائق الناصعة ولا ندعي بان الحق في جانبنا فيما نقوله في جميع الاحيان غير اننا سنتحراه بلا تردد ولا تأخذنا فيه لومة لائم . »

ساندت هذه الجريدة السياسة البريطانية ورشحت في احد اعدادها طالب النقيب ملكا على عرش العراق . ولم تستمر اكثر من شهرين حيث توقفت عن الصدور في ١٨ تشرين الثاني ، وذلك على اثر تعيين صاحبها سكرتيرا لمجلس الوزراء العراقي . فكان من اوائل الصحفيين الذين قبضوا اتعاب خدمتهم (اللاصحفية) في بداية عهد العراق بالحياة السياسية الجديدة . بينما تعرض قبله آبان الحكم العثماني الى المطاردة والنفي وتعطيل صحفهم امثال عبد الحسين الأزري ورزوق داوّد وداوّد صليوا والاب انستاس ماري الكرملي وابراهيم صالح شكر وعبد اللطيف اثنيان وابراهيم حلمي العمر . كما سيق الى المجالس العرفية على يد جمال باشا كل من احمد عزت الاعظمي صاحب مجلة (لسان العرب) وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة اشهر قضاها موقوفا دون أن تثبت المحاكمة جرما معينا ، وابراهيم حلمي العمر الذي أرسل الى لبنان لمحاكمته ولكنه نجا من السجن أو الموت بعد أن أصدرت الحكومة المركزية أوامرها بالغاء المجلس العرفي واطلق سراحه .

٢- ثورة العشرين في الفرات

شهد العراقيون مماطلة سلطات الاحتلال البريطاني في تنفيذ وعودها، وبدأت تمارس حكما ارهابياً عسكريا أشد قسوة من حكم العثمانيين. ونهض الوطنيون الاصلاحيون يطالبون بالحاح وبتأثير مباشر من قيادة حزب العهد المعارض بمنح الشعب حقوقه الطبيعية ومنها اطلاق حرية الصحافة. وبقي هذا المطلب يتصدر كل ظرف أو مناسبة يعبر فيها الوطنيون عن مطاليبهم، حتى اذا ما اندلعت شرارة الثورة العراقية في حزيران عام ١٩٢٠، نجح الثوار في فرض ارادة الشعب بانتزاع صحافة رأي من السلطات البريطانية تعبر عن اهداف وخطط الثوار وترسم طريق ثورتهم وتقود الرأي العام الى التآلف والاتحاد من أجل نيل الاستقلال الناجز.

وصدرت في اعقاب تلك الفترة الصحف والمجلات التالية:

جريدة الفرات في النجف صدرت يوم ١٥ ايلول حين كانت المدينة مركزا لقيادة الثورة لصاحبها محمد باقر الشبيبي، والاستقلال في بغداد لصاحبها عبد الغفور البدري صدرت في ٢٨ آيلول، تعطلت الاولى بعد صدور العدد الخامس على اثر ضعف واختفاء زعماء الثورة وعطلت الحكومة الثانية في ٩ شباط ١٩٢١ ثم عاودت الصدور في آواخر عام ١٩٢٢، ومجلة اللسان لصاحبها أنطوان لوقا وعلي رضا الغزالي في بغداد في الاول من آب عام ١٩١٩، ومجلة العدلية، أصدرتها نظارة العدلية في ١ ايلول ١٩٢٠، وجريدة الاستقلال في النجف لصاحبها محمد عبد الحسين صدرت في الاول من تشرين الأول من العام المذكور وكانت لسان الثورة، لم تدم أكثر من ٨ اعداد.

لقد استقطبت الصحف المذكورة بعد ثورة العشرين الاقلام الحرة الشابة وتناولت مختلف القضايا القومية والوطنية والاجتماعية بروح جديدة

مستهدفة التعبير عن مشاعر الشباب من أجل اقامة حكومة الاستقلال وتوفير الحرية لابناء الشعب . وكانت جريدة الاستقلال والفرات والاستقلال النجفية نواة الصحافة الوطنية آنذاك ، خاصة تلك التي عاصرت ثورة الفرات .

كتبت مجلة (اللسان) في عددها الاول :

« أن من ينظر في احوال المجتمع العراقي الاجتماعية والادبيـــة ، ويفكر فيما آل اليه أمره لابد وأن تضطرب حواســـه ويضيع صـوابه ، كيف لا ، وقد اصاب العراق في السنين الاخيرة امـراض كثيرة ينـــؤ بحملهـا : ضعف في الاخلاق ، خلل في النظام ، فساد في التربية ، فوضى في الاجتماع . فغاية (اللسان) التي ترمي اليها ترتيب محاسن المدنيـــة العربيـــة التي لعبت بهـا يـد الاهوال منذ قرون على مسامع ابنـاء العـــراق الاعزاء وتذكيرهم بما كان لأمتهم من المكانة السامية بين الامم والمنزلة العليا من التمدن . »

وفي ٩ شباط ١٩٢١ أصدرت جريدة الاستقلال عددا خاصا بمناسبة عودة المنفيين الى بغداد وكتبت في صدر صفحاتها تقول :

« نهنىء الامة العراقية بقـدوم منفيينا الكـرام ، ونطلب أرجـاع جميع المنفيين بلا استثناء كمـا اننـا نواصل الطلب في تنفيـــذ سائر المواد السبع وهي :

١ ـــ اطلاق حرية الصحافة وتطبيق قانون المطبوعات العثماني الى أن يسن غيره وفقا لنظامات الاحتلال .

٢ ـــ اطلاق حرية الاجتماعات وتشكيل اندية سياسية رسمية .

٣ ـــ أصدار العفو العام الخالي من كل قيد وشرط عن جميع المجـرمين السياسيين واطلاق سراح المسجونين .

٤ ـــ أرجاع المبعدين والمنفيين والسماح للمشتتين بالرجوع الى اوطانهم .

٥ ــ رفع الادارة العرفية العسكرية والاحكام الكيفية التي اناخت على الشعب العراقي منذ الاحتلال حتى الآن لتتمكن الامة من التفاهم مع السلطات بكل حرية واطمئنان .

٦ ــ رفع المحاكم العسكرية والقضاة والقوانين التي رتبت اخيرا وتطبيق القوانين الجزائية والحقوقية السابقة (بمقتضى الاحتلال أيضا) .

٧ ــ الاسراع في الانتخاب الحر وتشكيل المؤتمر العام من دون مداخلة رجال الاحتلال وبدون أي تضييق على افكار الاهالي بخصوص الانتخابات ، هذا ما طلبه الشعب العراقي وسيواصل الطلب بكل الحاح لأنه يعتقد انه لايمكن أي مفاوضة تؤدي الى التفاهم مالم تنفذ هذه المواد السبع . »

لقد أدى هذا المقال الى تعطيل الجريدة لمدة سنة والحكم على صاحبها بالسجن لمدة سنة ، وعلى رئيس تحريرها قاسم العلوي ستة أشهر ، واحد كبار محرريها محمد مهدي البصير تسعة أشهر .

ومن مقالات جريدة الاستقلال النجفية لصاحبها محمد عبد الحسين ، أحد كتاب ثورة العشرين التي احدثت ضجة في الاوساط الرسمية ما جاء تحت عنوان (الحصار في الكوفة أو مقبرة الاعداء) :

« لايخفى أن جيش الأعداء في الكوفة قد اضمحل اكثره وتلاشى جوعاً وقتلا رغما عن اتخاذه لكل وسائل الاحتفاظ وتأكد بأنه استولى على البقية الباقية منه الضعف والوهن كما استولى عليه القنوط واليأس فأصبح وهو اسوأ حالا من ذي قبل .

قام المدافعون عن حقوقهم والناهضون في طلب استقلالهم فشددوا عليه الحصار حتى نفذ ماعنده من مواد الغذاء وانقطع رجاؤه من كل نجدة أو سبب يخلصه من تلك الورطة التي وقع بها .

وأي نجدة تنقذه وقد تقاص نفوذ حكومته الجائرة في العراق حتى اصبحت أشغل من ذات النحيين بسبب ما انتابها من رجال النهضة وزعمائها التي انقضت عليها من كل جهة تطالب بحقها الصريح ، وتدافع بنفوسها ونفسها عن استقلالها الطبيعي بشعور يتوقـد غيرة وحماسا يمثل الشـــدة والبأس ويظهر للملأ الحمية العربيـــة وكيف تدافع عن وطنها المحبوس فتفديه بأرواحها . »

وجريدة الفرات الصادرة بالنجف ، اعتبرت وثيقة هامـة من وثائق ثورة العشرين ، ولم تصدر من اعدادها سوى خمسة فقط تناولت فيها قيادة الثورة كل ما يهم الثوار والمواطنين وشرحت مطـاليب الشعب وهاجمت خطط السلطات الاستعمارية . ومن أشهر وثائقها ماكتبه باقـــر الشبيبي ، صاحب الجريدة في عـــددها الخامس والاخير حين قال ردا على قـــرار الحاكم العام بتعطيلها :

« .. هون عليك يا ممثل الدولة الانكليزية ، أن الأمة التي ناصبتهـا العداء وحكمت فيها السيف فأرقت دماءها وازهقت أرواحها عداء محضـا وتحكمـا صـرفاً ، بلا خـــوف من الحق ، ولا وجل من العـــدل ستقف واياك أمـام محكـمة التـاريخ ليعلم من هو المجـــرم الذي أتلف النفوس وجنى على البشرية بلا رحمة ولا عطف ، فالويل لمن صبغ الأرض بدماء ابرياء .

يا ممثل الدولة الانكليزية .. ماذا صنعت أمـة العراق المظلومـة حتى تستحق من ضباط الاحتلال هذا الفتك الذريع والتمثيل الشنيع والهتـك الفظيع ، أفعال تخجل منها العصور الاولى وتشمئز من فجايعها قرون الظلمة والظلم ، ويل لكم ياضباط الاحتلال من ظلامة أمـة كان جواب مطالبها الشرعية حز الرؤوس وتوصيل الاعضاء وحـــرق الجثث والتمثيل بالنفوس المحترمة .. ليت الذين رفعوا مقامكم في العراق لتغرسوا محبتهم

في القلوب يشهدون ماذا انتم تعملون وتقترفون . ليت الذين بعثوكم للحرية والمساواة يشهدون فصلا واحدا من المأساة التي قمتم بها بظلمكم وتظليلكم ، فالمحنة التي اوجدتموها في العراق سوف تبقى اثارها بالمقام الرفيع .

« ... يا ممثل الدولة الانكليزية .. أتعزى المقام الروحاني ومنك الرزية اتعزيه بقولك .. أن المقام يستوجب التعزية والتسلية لا التبريك والتهنئة في هذه الايام التي انتابت العراق وسائر الممالك . فيا حضرة الحاكم العام أن ما نزل بالامة من المصائب التي هيأت أنت اسبابها فالامة بريئة وأنت المذنب ، الست الذي سحقت الحقوق ودست القانون فخنقت الامة بما اعدته من الجيش المجهز بالنار ووسائل الخراب والدمار ، فاجهزت به على النساء والاطفال على الشيوخ والكهول ، ولوثت البلاد الطاهرة بالشرور ، كان ذلك لان الامة ابت أن تعترف بوصايتكم ، ابت أن تعيش في ظل حمايتكم ، واغرب من ذلك ياحضرة الحاكم انك نسبت المصائب الى فقيد الاسلام بقولك .. وكان هذا من اراء سلفكم . آل الله ، أي الاعتداءات تغفرها لك الامة ؟ اتعزيتك لشيخ الاسلام بما انزلته من الرزايا على العرب والاسلام ؟ ام نسبتك المصائب الى الفقيد الذي طالما حذرك من الغرور والفتك الى عواقب الامور ونبهك الى نتائج الاستهتار الى ممانعة الامة المظلومة ، وعدم تمكينها من حقوقها المهضومة ، واعطائها الاستقلال التام . وكم اراك في كتابه الابيض فجر هذا اليوم الاسود ؟ »

وبعد اسهاب في كشف مساوئ الاحتلال وقساوة الحكم القسري انتهى الى القول : « ايها الحاكم العادل ! هل وراء مايشهدونه كل يوم من ضروب الظلم وأنواع الاعتساف ، هل وراء التعذيب والانتقام شيء آخر من العذاب ليطمئن بال « المشايخ وغيرهم » فهذا عدلك وهذه رحمتك اما طلب المفاوضة وتعيينك لها « حضرة الكولونيل هاول » فان ذلك

يعود الى رأي المشايخ واقطاب الامة الذين قلت أن الحكومة الانكليزية ستجازيهم عملا بقواعدها ، فيا ايها الحاكم ، أن الامة عملا بقواعــدها الانسانية ، واعتمادها على أصول المدنية لاتمتنع عن المفاوضات الدولية ، ولكنها لاتدخل في المفاوضة معكم الا على الشروط الآتية :

١ ـــ سحب الجيش من البلاد .

٢ ـــ أرجاع المنفيين .

٣ ـــ حضور قناصل الدول في مجلس المفاوضات .

وخلاصة القول « أن الامة لاتريد الا الاستقلال التام للعراق بحدوده المعروفة وهي لاتدخل بالمفاوضة الا على تلك الشروط . »

٣- تأسيس الحكم الوطني « الاستقلال »

في آذار عام ١٩٢١ ، وبعد أن اشتدت الحركة الوطنية الرامية الى الاستقلال ، وتلاحمت المعارك البطولية التي خاضتها العشائر الفلاحية في الفرات الاوسط . . في خضم تلك الاحداث ، عقد في القاهرة المؤتمر البريطاني الممثل لسلطات الانتداب في الشرق الاوسط حيث تقرر فيه اقامة حكم وطني (شكلي) في العـــراق ومنح الاستقلال الذاتي لشعبها تحت التاج الهاشمي . . وكان لابد للسلطات الاستعمارية في محاولة تنفيذ قرارها أن تسعى الى الدعاية والتطبيل لايهام الناس وخدعهم بهذه السياسة الجديدة ، ولو أنها اضطرت الى الاعتراف (بالاستقلال) مرغمة نتيجة تفاقم وتصاعد العمل الوطني المسند بالرأي العام العالمي . فمهدت سلطات الاحتلال في العراق لهذا الحدث صحافة (موجهة تفرض شروط بريطانيا ليتقبلها الشعب العراقي) ، وصدرت في بغداد خمس صحف هي :

جريدة الفـــلاح لصاحبها عبد اللطيف الفلاحي ، صدرت في ٢٠ حزيران عام ١٩٢١ وادت واجبها المرسوم على الوجـــه الاكمـل ، وتم بعـــد ذلك تعيين صاحبها مـديرا للشـرطة واوقف أصـــدارها في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٢ .

وجريدة لسان العرب لصاحبهـا ابراهيم حلمي العمر ، صدرت في ٢٣ حزيران من العـام المذكـور وكانت تدعـــو الى اسناد العرش لفيصل بكل قوة ، اذ سبق له أن أصدر جريدة تحمل نفس الاسم في دمشق عـام ١٩١٨ .

وجريدة دجلة لصاحبها داؤد السعدي ، صدرت في ٢٥ حزيران ، وكانت أكثر الصحف التي صـــدرت في تلك السنة أو التي سبقتها عرضة للنقد والتهجم من قبل الفئات والشخصيات السياسية مما دفع بصاحبها الى أدخال لغة السباب والقذف لاول مرة الى الصحافة في مقـاله الشهير الذى نشر تحت عنوان « الحر ممتحن باولاد الزنا » توقفت عن الصدور في ٢٦ تشرين الاول من العام التالي .

وجريدة الرافدان لصاحبها سامي خوندة ، صدرت في ٢٦ ايلول ، فكان أحد محرري جريدة الاستقلال ، الذي استطاع منذ أن حصل على امتيازها أن يتجه بها الى الاحزاب والحركات السياسية وينتشلها من السيطرة البريطانية التي كانت تســير بقيـة الصحف وتدعـــوا الى تسليم عرش العراق لفيصل .

ومنذ ذلك الوقت لحين انبثاق الحياة الحزبية ، صدرت في بغـــداد الصحف التالية :

عـام ١٩٢٢ : صــــدرت جريـدة المفيد لصاحبهـا ابراهـــيم حلمي العمر ، لتعوض عن جريدة لسان العرب في ١١ نيسان وتعرضت للتعطيل ثم الغاء الامتياز في ٢٤ كانون الثاني عام ١٩٢٦ ، وجريدة التوحيد

لصاحبها محمد صالح ومجيد طلعت آل الواعظ ، صدرت في ٢٤ حزيران ، وجريدة العاصمة لصاحبها حسن غصيبة في ٥ تشرين الثاني ، وجريدة الناشئة الجديدة لصاحبها ابراهيم صالح شكر في ٢٧ كانون الاول ، لم يكن عهدها طويلاً اذ عطلتها الحكومة بعد اعداد قليلة .

عام ١٩٢٣ : صدرت جريدة بابل لصاحبها حسن سامي في ١٠ تموز ، والبدائع لداوُد العجيل في ٣٠ ايلول ، والأمل للشاعر الكبير معروف الرصافي في ١ تشرين الاول - استمرت على الصدور سنة ونصف - والعراق المسائي لرزوق غنام ، وهو ملحق مسائي لجريدة العراق اعتبر اول حدث جديد في عالم الصحافة العراقية ، صدر عددها الاول في ٥ تشرين الاول ، والمراقب لصاحبها عثمان الزهير في ١٦ تشرين الأول ، وجحا الرومي لرشيد الصوفي في ١٩ تشرين الأول ، والغربال لمكي جميل في ١٧ تشرين الثاني .

وفي هذا العام ، اصدرت الحكومة العراقية جريدتها الرسمية (الوقائع العراقية) بادارة مديرية المطبوعات لنشر القوانين والتشريعات الرسمية .

عام ١٩٢٤ : صدرت الحقائق لصاحبها عباس حسين آل الجلبي في ٢٢ شباط ، والظرائف لصالح السيد عبد في ٢٨ شباط ، والعالم العربي لحسون مراد ومديرها المسؤول سليم حسون في ٢٧ آذار ، والمصباح لسليمان شينه في ١٠ نيسان ، والشعب لمحمد عبد الحسين في ١٠ نيسان .

ومن الصحف التي لم تكتب في السياسة مطلقا ولكنها حملت اسم الجريدة ، - وحبذا لو كانت (مجلات) - الربيع لصاحبها رفائيل بطي في ١٢ ايار ، والحضارة لمنير اللبابيدي في ١ حزيران ، والضاد لمحمد صالح سليم في ٢٩ تموز ، والادب لمحمد باقر الحلي في ٧ أيلول ، والهزل لعلاء الدين عوني في ٢٤ تشرين الأول ، ومرآة العراق لمحمد ناجي صالح

السنة الاولى — الاحد

(صاحب امتياز الجريدة)
سليمان فيضي الموصلي

(قيمة الاشتراك)
[illegible]
ثمن النسخة ٢٥ پاره

(المدير المسؤل ومحرر التركي)
مكتوبي زاده عمر فوزي

محل الادارة مكتب ([illegible])

[illegible]

الايقاظ

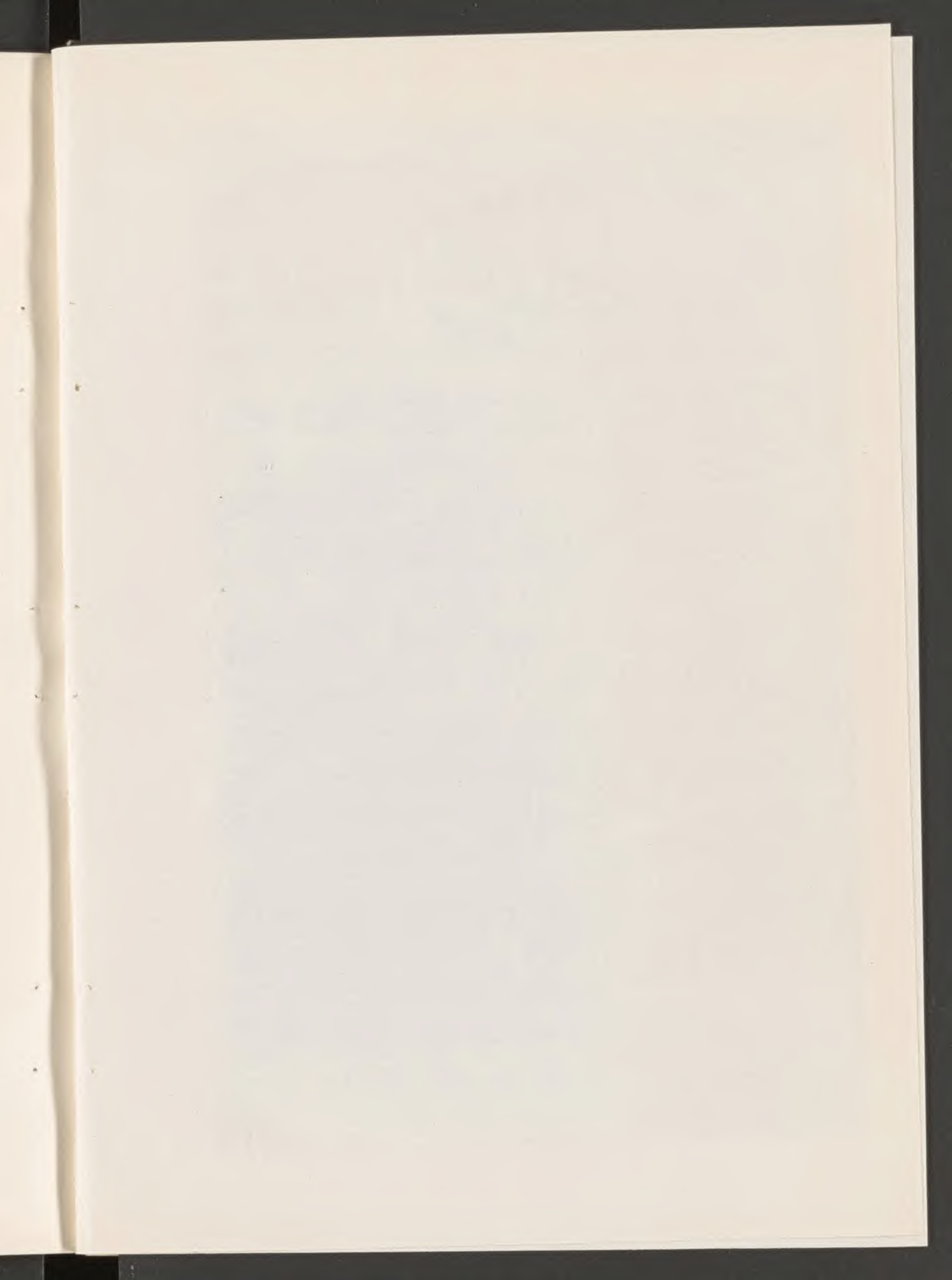
جريدة ١٣٢٧

في ٢٣ جمادى الثانية ١٣٢٧ — جريدة ادبية [illegible] — وفي ٢٨ حزيران ١٣٢٥

— استيقاظ الهمم —

ايها الاخ الكريم ايها الوطنيون
[illegible] ايها السادة من اهل البصرة ايها
[illegible] من اهل النصرة اما اجتذبكم
[illegible] الايقاظ اما حركتكم [illegible]
[illegible]

[illegible]



في ١٧ تشرين الثاني ، والصحيفة لحسين الرحال في ٢٨ كانون الأول .

وفي الموصل ، صدرت جريدة الجزيرة لصاحبها محمد مكي صدقي في ٢٤ آذار ١٩٢٢ وفي مدينة الكاظمية صدرت اليقظة لصاحبها سلمان الصفواني في ٥ ايلول ١٩٢٤ .

اما المجلات فقد صدرت في بغداد مجلة الناشئة لصاحبها ابراهيم صالح شكر في ٢ كانون الاول عام ١٩٢١ ، وقد اعقبها باصدار جريدة الناشئة الجديدة ، كما ذكرنا سابقاً .

وفي عام ١٩٢٢ صدرت المجلات التالية :

نشرة الاحد اصدرتها الكنيسة السريانية لصاحبها الخوري عبد الاحد جرجيس ، صدرت في الاول من كانون الثاني ، ومجلة اليقين لصاحبها محمد الهاشمي صدرت في ١٣ نيسان ، والتجارة العراقية اصدرتها وزارة التجارة في ١ حزيران ، ومجلة الزنبقة لعبد الاحد حبوش في الاول من تشرين الاول ، والتلميذ العراقي لسعيد فهيم في ٩ تشرين الاول ، ونادي الالعاب الرياضية في ٢٢ تشرين الثاني ، وشط العرب والمحيط عام ١٩٢٣ . وصدرت مجلة الخزانة اصدرتها مكتبة السلام باللغتين العربية والانكليزية في الاول من كانون الثاني ، ومجلة ليلى ، وهي أول مجلة نسائية اصدرتها بولينا حسون في ١٥ تشرين الثاني لمدة عامين فقط ، ومجلة الحقوق لعبد الرحمن فيضي ومنير القاضي في ٢٠ كانون الاول لمدة عام واحد .

عام ١٩٢٤ ظهرت المجلة العسكرية اصدرتها وزارة الدفاع في الاول من كانون الثاني ، ومجلة المعلمين لصاحبها هاشم السعدي في ١٥ شباط ، والكشاف العراقي لمحمود نديم في ١٥ حزيران ، والحقائق المصورة لصالح الوردي في ١٣ تموز ، والحرية لروفائيل بطي وعبد الجليل اوفي في ١٥ تموز ، والاصلاح اصدرها نادي الاصلاح وحررها عبد الحسين الأزري في ٢ آب .

لقد تميزت تلك الفترة من تاريخ الصحافة العراقية، بتعدد المجلات اكثر من الصحف اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان اكثر من نصف الصحف الصادرة لم تكن سياسية وهي اقرب الى المجلة الفكرية والادبية او الاجتماعية شكلاً ومضمونا. وسجلت الصحافة (الفكرية) تقدماً ملموساً في مضمار الفكر الحر، وساهمت في نشر الوعي الوطني والقومي الى حد ما لتناول الكتاب ورجال الفكر آنذاك المواضيع الفكرية والسياسية التي تهم المواطنين. وقد شارك في هذه النهضة الفكرية كل من ابراهيم حلمي العمر وابراهيم صالح شكر وانستاس مارى الكرملي ومحمد عبد الحسين كاتب ثورة العشرين، وباقر الشبيبي ومعروف الرصافي ورفائيل بطي، ووضعوا لبنات صحافة رأى تلتزم بالواقع المصيري لتقدم وتطور المجتمع العراقي.

كان المقال منذ ان نشأت الصحافة العربية، والعراقية بالذات هو الطابع المألوف للصحافة اليومية والاسبوعية. وكانت الجريدة التي تصدر بأربع صفحات في ذلك الوقت تخلو من الانباء الخارجية والمحلية الا القليل، لضعف الوسائل الحديثة في نقل والتقاط الانباء، بجانب ضعف الامكانيات وانعدام الاركان والصور الخبرية والعناوين، بل حتى قلة الاعلانات كلها كانت عاملاً لسد فراغ تلك الصفحات بالمقالات المطولة. وكانت صفة المقالات المتغلبة في جل الصحف اجتماعية فكرية. وفي جريدة واحدة كنا نقرأ خمس مقالات او أكثر يتناول كتابها القضايا الادبية والاجتماعية وفي بعض الاوقات، السياسية، حتى غدت تلك الفترة التي تميزت بها، صحافة رأي أكثر من كونها صحافة عامة او خبرية. وكان الكاتب يلجأ الى الاطالة في (الحديث) لسد الفراغ، بالرغم من مكانته الادبية وقوة اسلوبه.

ولو تصفحنا مثلاً جريدة الناشئة الجديدة لابراهيم صالح شكر

لعددها الصادر في ٤ تموز ١٩٢٤ ، لوجدنا في الصفحة الأولى من العدد ، مقالاً واحداً بعنوان « على رسلك ياسليمان » شغل كل أعمدة الصفحة ، وفي الصفحة الثانية ، وجدنا كلمة بعنوان « ذاكرة السيد محمود الكيلاني » وكلمة أخرى بعنوان « الحمى وايمان الناشئة الجديدة » ، واخرى بعنوان « آصف افندي ومذكرات المجلس » وفي الصفحة الثالثة قرأنا مقالاً بعنوان « دهاء الحاج حسين الشبوط » وكلمة بعنوان « ابو الطيب المتنبي » للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني الكاتب المصري المعروف ، وكلمة اخرى بعنوان « المخلصون » . اما الصفحة الرابعة فكانت تحتوي على مقال واحد بعنوان « بطل القضية العربية يقدم العراق » وعريضة استرحام من قبائل الغراف .

نشرت جريدة « مرآة العراق » في عددها الصادر في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٦ مقالا تحت عنوان « نحن ومديرية المطبوعات — الخروج عن الخطة » ، جاء فيه :

« . . ولكن او ليس من الغريب ان تجابهنا مديرية المطبوعات باخطار تحريري يزعم به اننا خرجنا عن الخطة المعينة لنا .

اننا نقدر سعادة المدير من جهة ولا نقدره من جهة اخرى ، نقدره لان الناس في هذه البلد الفوا الاستبداد والفوا كم الافواه وكسر الاقلام فكل من في قلبه مرض وفي فؤاده غرض يسعى بكل قواه لحمل السلطة المختصة الى سد كل صحيفة تنطق بالحق والحقيقة ، فكثرة المراجعات وكثرة التلفتات وكثرة الرجايات والتوسلات من الاشخاص المختفين وبينهم من يعدون انفسهم من ذوي الجاه والنفوذ يجبر مدير المطبوعات الى تحرير مثل هذا الاخطار الغريب في بابه ولهذا عذرناه ومن حيث اننا نعلم ان مدير المطبوعات شاب قد اخذ من العلم نصيبا وافرا وهو ممن يقدرون حاجة البلاد الى حرية صحافية واسعة والى اقلام جريئة لاتأخذها في الحق لومة لائم من حيث نعرف به ذلك استغربنا الأمر . لم نخرج عن الخطة كما يقول اخطار سعادة مدير المطبوعات وكل ما عملناه ان اتخذنا من يراعنا مسبارا لامسنا به الجروح المثخنة في جسم مجتمعنا وذلك لكي نستأصل الجراثيم الضارة وامحائها من جسمه ولا شك ان ذلك يؤلم مواضع

الجروح ويوجها ولابد ان يكون نتيجة ذلك الصراخ والعويل فهل وجب علينا ان نعير اذنا لهذا الصراخ وذاك العويل مع ان المصلحة العامة تقضي علينا ان نداوي هـذه الجروح ونضمدها في سبيل صيانة جسم الامة من الاوجاع والالام . »

ونشرت جريدة « البرهان » في ٥ كانون الأول ١٩٢٧ مقالا تحت عنوان « نحن ومسألة الأجور » جاء فيه :

« لقد نشرت الاستقلال مقالا للكاتب محمود احمد عن لزوم تخفيض اجور المساكن وقد طلب اولياء الأمور بهذا اللزوم الا انه لم يورد لنا الادلة التي تبرر التدخل في ذلك وان حرية العقود التي اقرتها القوانين مصونة ومكفولة ومع هذا فان المسألة اقتصادية بحتة خاضعة لقاعدة العرض والطلب لايصح لنا ايقافها عند حد واحد وليذكر حضرة الكاتب بان اجور المساكن الآن قد نزلت نزولا هائلا بينما كانت الدار التي تؤجر قبل ثلاث سنوات في الفين ربية فالآن تؤجر بألف ربية بل وبثمانمئة ربية وان لهـذا لهبوط « مرضيا » بالنسبة للاوضاع الحاضرة . اما اذا اريد جعل بعض المساكن التي تؤجر الآن في الفين ربية او اكثر فانهن لايكن مقياسا ومعيارا نقيس عليه الحالة فان هـذا خاضع للقلة والندرة مالية الشخص فهناك من تعود سكن القصور الشاهقة من الاغنياء التي تساعدهم حالتهم على اداء الألفين او مازاد عن ذلك كما انه هناك من تعود على سكن الدور التي تتراوح اجورها بين الستمئة والاربعمئة ربية . »

وفي العدد الاول من مجلة « المعرض » الصادر في تشرين الثاني ١٩٢٥ ، كتب مؤسسها يقول :

« . . . نعم نعود لان الأمر يدعو الى العودة الى النطق بعد ذلك السكوت الطويل . ليس باستطاعتنا ان نعمل مقياسا بين تلك الايام التي كانت تبشرنا بمستقبل جميل وبين هذه الايام التي فقدنا فيها السكن والسكن ، منذ لعبت بنا الاهواء ففرقتنا شيعا واحزابا كأننا لم نكن بالأمس تلك الأمة التي فاق ابناؤها الى رشدهم وقاموا بوجه الظلم الذي كان ينتابهم صبحا ومساء .

« سنحت للأمة العربية فرصة من احسن الفرص لتحطيم اغلال العبودية ولكن ذوي المظاهر المزيفة والشخصيات المنتحلة تسربلوا بالبسة الوطنية والاخلاص فاستخدموا تلك الظروف لنزعاتهم المموهة وصالحهم الذاتي ودفعوا بالأمة التي لاتزل تعطف عليهم الى هاوية الاستعباد .

أن أهم مارزئت به الأمة العربية هم اولئك الاغيار الذين يلبسون لكل حالة لبوسها ، ولاهم لهم الا الاثراء باية كيفية كانت بدون مراعاة لصالح الوطن الذي يؤويهم ويدر عليهم خيراته ، ولا ينظرون الى مايعود على من قبلوهم بينهم من المضار . »

لقد تناولت المجلة المذكورة القضايا التاريخية والادبية والاجتماعية بجانب الشعر والقصة ، وشارك في التحرير فيها بعض الادباء والكتاب المعروفين ، كمشاركتهم في المجلات الأخرى الصادرة آنذاك التي لم تخرج عن طرق الموضوعات الحقوقية والاجتماعية والأدب وخمائله امثال عادل ارسلان ورفيق العظم والشيخ احمد طبارة واحمد حافظ عوض ومحمود تيمور وعبد المسيح وزير وعلي محمود ومعروف الرصافي ورفائيل بطي وطه الهاشمي وخالد الشابندر وغيرهم .

٤ - انبثاق الحياة الحزبية

ومن العوامل الرئيسية المهمة التي ساهمت في تطوير الصحافة بعد اعلان الحكم العراقي (الاستقلال) ، انبثاق الحياة السياسية وانشاء الاحزاب العديدة التي اصدرت بدورها عدة صحف حيث بدأ الشعب يتحسس أهمية تنظيمه وتوحيد كلمته من أجل التعبير عن اهدافه القومية والوطنية .

فقد تكالب الاستعمار على العراق وتآمر على شعبه منذ ان وطأت اقدامه ارض البصرة في بداية الحرب العالمية الأولى ، وحاول جاداً تثبيت اقدامه والهيمنة على سياسة واقتصاد البلاد واخضاع الشعب الى ارادته ، وجاء بحكام خونة وبنظام ملكي رجعي مقيت من أجل تأسيس ما اسموه بالحكم الذاتي (الوطني) على أثر ثورة العشرين الكبرى . فكانت تجارب الشعب قاسية ، وخاصة بعد أن أخذ الاستعماريون يعدون العدة لامرار معاهدة

١٩٢٤ الرامية الى ربط العراق بعجلة بريطانيا ربطاً وثيقاً (دستورياً) .

وفي ٢٧ آذار من العام المذكور ، تقدمت الحكومة العراقية آنذاك بصيغة المعاهدة العراقية – البريطانية لعام ١٩٢٢ الى المجلس الوطني لاقرار بنودها بعد أن مهدت لها بشتى الوسائل السائدة على صفحات الجرائد الرسمية وشبه الرسمية . في هذا الوقت بالذات ، اجتاحت العاصمة العراقية وبعض المدن الرئيسية موجة من السخط والاستنكار لهذه المعاهدة الجائرة ، وتقدم لفيف من الاصلاحيين (الشيوخ) الى الحكومة بطلب أجماعي لتغيير بعض البنود الواردة في المعاهدة ، بينما أصر الآخرون وبينهم رجال الثورة وكبار الكتاب والادباء على رفض المعاهدة دون قيد او شرط . وكان على الصحافة العراقية أن تدخل المعركة وتخوضها كجزء من الكفاح الوطني السياسي . وعلى رأس الذين قادوا المعركة الصحفي محمد عبد الحسين .

اصدر هذا الصحفي الثائر جريدة الشعب وبدأ بتدبيج المقالات والآراء المعارضة لعقد مثل هذه المعاهدة ، وقد أدت مواقفه الجريئة الى تعطيل جريدته بعد صدور اعداد قليلة جداً منها . وكانت جريدة الشعب ، الصحيفة الوحيدة التي دأبت على الجهر باراء كتابها وصاحبها .

وفي الوقت نفسه ، أرسلت عصبة الامم لجنة دولية الى بغداد للتحقيق في قضية الموصل التي أثيرت بين تركيا والحكومة العراقية والتي انتهت لصالح العراق ، واعتبرت الموصل جزءاً من ارض الوطن بعد ان لعبت المساومة دورها بين البريطانيين والفرنسيين ، وسلبوا مقابل تنازلهم عن الموصل العراقية ، لواء الاسكندرونة من ارض سورية ، وزيادة حصة فرنسا من واردات النفط العراقي .

وتجاه هذه الاعاصير العدوانية ، برزت الى الوجود ضرورة تشكيل الاحزاب السياسية كتنظيم قيادي للشعب في تلك المرحلة التأريخية من

مراحل الكفاح الوطني . وارتبطت هذه الضرورة بمرحلة التطور الفكري والمادي للصحافة العراقية لما للصحافة من أهمية كبرى في نشر مبادىء وافكار واهداف تلك الاحزاب . فالتقت ضرورة آنبثاق الحياة السياسية مع ضرورة تطوير الصحافة ، بل كان للاحزاب السياسية ، الأثر الكبير في دفع عجلة التطور الفكري والفني للصحافة عبر تاريخ النضال السياسي للعراق .

ففي بدء الحكم الاستقلالي ، وفي ظل حكومة عبد الرحمن النقيب تم تأسيس (الحزب الحر العراقي) في ٣ أيلول عام ١٩٢٢ ، واصدر جريدة (العاصمة) في ٥ تشرين الثاني بعد ان عهد لتحريرها وادارتها الى احد اعضاء الحزب وهو حسن الغصيبة ، وبدأت بنشر النظام الداخلي للحزب المذكور وتدعو المواطنين الى الانضمام اليه .

واعتبرت (العاصمة) آنذاك (مدرسة) الفكر الجديد الذي بدأ يغزو الصحافة العراقية ، وانتصرت لقضايا الحرية الفكرية والدفاع عن كرامة الصحفيين ، ووقفت ضد الاعتداء الذي تعرض اليه الكاتب الجرىء ابراهيم صالح شكر صاحب جريدة (الناشئة) كما دعت الى الانتخابات للمجلس التأسيسي بجرأة وباستقلالية تامة عن سياسة الحزب نفسه ، ولاقت نجاحا وانتشارا بين كافة الاوساط الشعبية . الا ان ضعف الحزب وانحلاله بعد اقل من سنة ادى الى توقف الجريدة عن الصدور في ٢٤ آب ١٩٢٣ .

وفي الموصل ، تأسس حزب الاستقلال ، واصدر جريدته (العهد) في ٢٠ كانون الثاني عام ١٩٢٥ وترأس ادارتها وتحريرها عثمان قاسم وهو سوري الجنسية . صدرت ثلاث مرات في الاسبوع وحرر فيها الكتاب والادباء الموصليون اعضاء الحزب المذكور . ولكنها لم تعمر الا لفترة قصيرة حيث عطلتها الحكومة ، فاصدر الحزب بدلا منها جريدة (فتى العراق) لصاحبها متي سرسم ، ثم انتقلت ملكيتها الى سعد الدين زيادة .

وفي بغداد أسس ياسين الهاشمي حزب (الشعب) ، وأصدر جريدة (الشعب) في ٢٥ تموز ١٩٢٥ ودخلت في تأريخ الصحافة كاول جريدة ناطقة بلسان حزب سياسي علني حيث كتبت تحت اسم الجريدة (لسان حزب الشعب العراقي) تولى تحريرها ابراهيم حلمي العمر وشارك في الكتابة فيها اعضاء الحزب ومنهم نصرت الفارسي ومحمد رضا الشبيبي وابراهيم كمال ومحمود رامز وعبد اللطيف الفلاحي .

لقد نجحت هذه الجريدة نجاحا سريعا لتبنيها قضايا الشعب ومهاجمة المعاهدة العراقية البريطانية والرد على الصحف المؤيدة للمعاهدة كجريدة العراق بأسلوب حاد بعيد عن المهاترات الشخصية أو اسلوب القذف . كما انها دأبت على تعرية سياسة الانتداب والدفاع عن حرية الصحافة عندما تعرضت بعض صحف المعارضة الى التعطيل الاداري من قبل الحكومة . وتعطلت هي نفسها تلقائيا على اثر اشتراك الحزب في وزارة جعفر العسكري وتعيين غالبية محرريها موظفين في الدولة ، فتوقفت عن الصدور في ٦ تموز عام ١٩٢٧ .

وأسس عبد المحسن السعدون ، عند توليه الوزارة آنذاك حزب (التقدم) ولم يصدر جريدة ناطقة بلسانه لأن غالبية الصحف كانت تؤيد سياسته وتعاضده ، وعلى رأسها جريدة (العالم العربي) . ولكنه عاد وأصدر بعد ثلاث سنوات من تأسيس الحزب جريدة خاصة بأسم (اللواء) في ٢٠ آيار ١٩٢٨ وعهد بتحريرها الى محمد سعيد العزاوي ، لكنها تعطلت بعد ايام معدودة ، فأصدر بدلا منها جريدة (التقدم) في ١٦ تشرين الاول من العام المذكور وتولى أدارتها وتحريرها سلمان الشيخ داوّد ، وتوقفت عن الصدور في خريف ١٩٢٩ بعد أن أقدم رئيس الحزب على الانتحار .

أما حزب (النهضة) المؤسس عام ١٩٢٢ ، فانه لم يصدر أية جريدة منذ ذلك الوقت حتى عام ١٩٢٧ ، حين أصدر جريدة (النهضة العراقية)

في ١٠ آب واعتبرت من أقــوى الصحف السياسية واجــرأها في تاريخ الصحافة العراقية خاصة أن الذين ساهموا في تحريرها والكتابة فيها من ابرز الكتاب السياسيين الوطنيين أمثال باقر الشبيبي وعلى الشرقي ومحمد عبد الحسين ويوسف رجيب . وكمثال لقوة أسلوبها ومتانته الذي ميزها عن غيرهـا من الصحف الحزبية والسياسية الأخــرى مانشرته في العدد الصادر يوم ١٧ آب بعد اسبوع واحـد من صدورها :

« . . جاز عندهم الكذب فكذبواعلى الله وكذبوا على الحقيقية والتاريخ . تاهوا فلم يحسبوا للمستقبل حسابه ولم يلتفتوا لما أضمرته الايام للمارق الخؤون ومـا حملته بين طياتها من النقمة والعذاب وقـالوا ان ساعة الحساب بعيدة ، وان روح التساهل الذي تلبس به الشعب وخلوده الى السكينة كفيلان باجتياز هذه السبل بسلام وطمأنينة . وقد جهلوا نفسية الاقوام وروحية الشعوب اذا تمخض فيها الغضب واذا تصاعد من قرارها حب الانتقاموالتشفي من الظالمينالقساة . »

وفي ايلول عـام ١٩٢٩ ، تعرضت للتعطيل على اثر حملتها الشديدة على بريطانيا في الشرق العربي ، فأصدر الحزب عوضا عنها جريدة (صوت العراق) لصاحبها مزاحم الباجهجي في ٨ ايلول ، الا انها لم تلبث أن تعرضت للتعطيل ايضا بعد ايام .

ومن صحف الاحزاب آنذاك جريدة (صدى الاستقلال) لسان حال الحزب الوطني الذي أسسه الزعيم الوطني جعفر ابو التمن في آب ١٩٢٢ ، صدرت في ١٥ ايلول عام ١٩٣٠ ، وتعرضت للتعطيل بعد مرور شهر واحد ، حيث كانت جريدة الاستقلال لصاحبها عبد الغفور البدري تنطق بلسان الحزب وتؤيد سياسته قبل صدور صدى الاستقلال طيلة فترة الكفاح السياسي الذي اعقب تأسيس الأحزاب السياسية . ولما تعطلت صدى الاستقلال ، اصدر الحزب جريدة (صدى الوطن) وتولى مسؤوليتها محمود رامز في ٢٥ تشرين الثاني ، تعطلت أيضاً بعــد شهر ونصف فأصـدر أيضاً جـريدة (الثبات) بعد ان حصل محمود رامز على امتياز جديد في ٣٠ كانون الأول .

لقد لعبت صحف الاحزاب دوراً كبيراً في تعميق الوعي السياسي الوطني للشعب العراقي، وفتحت أمام الصحافة العراقية منذ عام ١٩٢٥ ــ ١٩٣٠ آفاقاً جديدة للتطور الفكري، وأضافت الى التاريخ الصحفي زخماً من « المادة » الصحفية مضموناً لا شكلاً لم تشهد الصحف العديدة التي صدرت بعد تلك الفترة مثيلاً لها الا في فترات زمنية متقطعة كانت قمة « المجد الصحفي » هي ما عاشته صحافة ما بعد ثورة تموز الخالدة .

ومن المواد الصحفية التي شاركت في تطور الصحافة، شكلاً ومضموناً ما احتوتها صحافة فترة (١٩٢٩ - ١٩٣٠) حين بدأت الصحف تصدر بشكلها الاعتيادي بست صفحات وبأركان ثابتة واخبار متنوعة عالمية ومحلية وعربية، سنأتي على ذكرها فيما بعد حين نبدأ بتدوين تاريخ صحف حزب الاخاء الذي ترأسه ياسين الهاشمي والمجاز في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٠، بجانب تأسيس حزب العهد الذي شن حرباً على حزب الاخاء الوطني ورفع راية العمل السياسي المشترك مع الحكومة لاسناد السياسة البريطانية . فأصدر حزب العهد جريدة (صدى العهد) في ٧ آب لصاحب امتيازها عبد الرزاق الحصان وبدأت تشن حملاتها على الصحف المعارضة وتطالب بتشديد الخناق على حرية الصحافة . وبعد أربعة أشهر ترك الحصان رئاسة تحريرها وأمتيازها وأصدرها بدلاً منه عبد الهادى الجلبى وفي ٦ آذار ١٩٣٣ أصدرت إدارة الجريدة صحيفة (الطريق) واعتبرت أول جريدة عراقية متذبذبة مع سياسات الوزارات المتعاقبة على كرسي الحكم . فلا هي معارضة ولا هي حزبية أو حتى حكومية . لكنها انتهت على أثر الانقلاب العسكري لبكر صدقي واحتجبت في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٣٦ .

وبجانب صحافة الأحزاب التي ذكرناها بالتفصيل آنفاً، صدرت في بغداد عام ١٩٢٥ الصحف التالية :

السياسة لصاحبها يوسف غنيمة صدرت في ٣ آذار ، وكناس الشوارع . وهي غير سياسية وعلى شكل مجلة صغيرة بحجم الكتاب لميخائيل تيسي في ١ نيسان ، وجريدة بالك غير السياسية لعبد الحميد فخري في ٢٨ آب ، والفضيلة لعبد الرزاق الحسني في ١ أيلول ، والادب والبدائع لداود العجيل في ١٢ كانون الأول .

وفي عام ١٩٢٦ صدرت جريدة بانك كردستان ، وتعني نداء كردستان لصاحبها مصطفى باشا شوقي في ٢٨ كانون الثاني ، وجريدة المداعب ، وهي غير سياسية لصاحبها حسين يحيى في ٣٠ كانون الثاني ، والارشاد غير السياسية أيضاً لعبد الجليل آل جميل في ٥ تشرين الثاني ، سينما الحياة الهزلية لميخائيل تيسي في ١٧ كانون الأول ، والاخلاق لعبد الرحمن البناء في ٢٤ كانون الأول .

وفي عام ١٩٢٧ ، صدرت جريدة الكرخ الادبية لملا عبود الكرخي في ١٠ كانون الثاني ، والزمان السياسية لابراهيم صالح شكر في ١١ تموز ، والنظام لتوفيق الفكيكي في ٢٢ آب ، وصدى الحقائق لصاحبها عباس حسين الجلبي في ٣٠ نيسان .

وصدرت في عام ١٩٢٨ ثلاث صحف غير سياسية هي صدى الكرخ لصاحبها الملا عبود الكرخي في ١٧ نيسان ، والبرهان لسلمان كوهين في ١٧ تشرين الأول ، والصراحة لهاشم الرفاعى في ١٦ شباط .

كانت هذه الصحف ، أشبه ما تكون بالمجلات الادبية والاجتماعية من كونها صحف عامة وهي بعيدة عن السياسة ولم تشارك في كافة مجالات العمل الصحفي التوجيهي بقدر ما اهتمت بالنقد الهزلي والادب الرومانسي والفكاهي الذي لم يجد آنذاك أذناً صاغية لمن يتفهمة ، خاصة ان صحف الاحزاب والمعارضة كانت تلعب دوراً كبيراً في ايقاظ الوعي الوطني والقومي

للشباب العراقي . فدخلت تلك الصحف وهي أحسن مايقال عنها (انصاف) صحف باب التاريخ الصحفي من أضيق فتحاته ، أن لم يكن موصداً بوجهها ، اذا استثنينا جريدة الزمان لابراهيم صالح شكر وصدى الكرخ لعبود الكرخي .

والحال مع بقيـة الصحف التي صدرت عام ١٩٢٩ باستثناء القلة منها حيث صدرت الصحف غير السياسية التالية :

جريدة الحاصد لانور شاؤل صـــدرت في ١٤ شـباط ، والثمرات لعبد الرضى الجبيلي في ١٠ آذار ، والناظرة لفائق الكيلاني ومحمد عـــلي عبد الله في ١٢ نيسان ، والدليل لصاحبها س اسحاق في ١٢ آيار ، والناقد لسلمان الشيخ داود في ١٣ حزيران ، والكواكب لصاحبها فخري الوسواسي في ٨ حزيران ، والنـــور لعبد الرحمن البناء في ٢٣ حزيران ، والمزمار لأحمـد عزت الأعظمي في ١٦ تموز ، والشباب لسعيد السامرائي في ١٦ آب ، والمعارف لاحمد عزت أيضاً في ٢٢ آب ، والبرهان لشاؤل حداد في ١٧ تشرين الأول ، والحارس لعبد الغفور البدري في الاول من كانون الاول ، وصدى المزمار لأحمـد عزت في ٣ كانون الأول ، والمستقبل لابراهيم صالح شكر في ٢٩ كانون الأول .

اما الصحف السياسة ، فهي الوطن لصاحبها عبد العزيز ماجد صدرت في ٢ آيار ، وصـوت العراق لعلي محمود في ٨ أيلول ، والبلاد لروفائيل بطي في ٢٥ تشرين الأول ، واليقظة لسلمان الصفواني في تشرين الثاني .

وصحف الالوية ، صدرت جريدة الجمهور لصاحبها عيسى محفوظ في ٢١ شباط ١٩٢٧ في مدينة الموصل ، والمنبر العـام لسلمان الصفـواني في الكاظمية في ٢٠ كانون الاول ١٩٢٥ والمعارف لعبد الملك حافظ في الكاظمية أيضا في ١٣ ايلول ١٩٢٦ . وفي النجف أصدر يوسف رجيب جريدة النجف

في ١٧ نيسان ١٩٢٥ ، وفي العمارة أصدر أنور مجيد تحافي جريدة التهذيب في ١١ آذار ١٩٢٦ ، وأصدر عبد الرزاق الحسني جريدة الفيحاء في الحلة في ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٧ ، وفي العشار صدرت جريدة الأخاء لصاحبها سعيد عبد الرحمن في ١٥ آب ١٩٢٦ .

وفي البصرة صدرت جريدة الحياة مرتين في الاسبوع لصاحبها توما هرمز في الاول من تشرين الثاني ١٩٢٥ . صدر منها عشرون عددا فقط .

أن المجلات الادبية والاقتصادية أو شبه الاقتصادية التي صدرت مابين الفترة الواقعة ١٩٢٥ ــ ١٩٣٠ كانت من الناحية الصحفية (فكرا وهدفا) أكثر وضوحا من الصحف غير السياسية التي منحت للعديد من (الصحفيين) الذين دخلوا الى ميدان الصحافة وهم يجهلون المهنة حرفة ورسالة ، فنا ومضمونا ، وجعلوا تلك الفترة تتميز بضعف وركاكة الأسلوب الصحفي رغم بدائية العمل الصحفي ، بينما شارك آخرون مستغلين كل الظروف الممكنة لجعل مهنة الحرف (مقدسة) ، واستطاعوا أن يثبتوا لتاريخ الحقبة الممتدة بعد (الاستقلال) بعض الاسس التي استندت اليها صحافتنا المتسمة بطابع (صحافة الرأي) . وكذلك نجح البعض منهم كأبراهيم صالح شكر ورفائيل بطي وانستاس ماري الكرملي وباقر الشبيبي وعبود الكرخي وميخائيل تيسي ويوسف رجيب ومحمد عبد الحسين ، في جعل الصحافة (مادة) تاريخية للكفاح الوطني ، ورفعوا من مستواها الفني قدر المستطاع ، محاولين بذلك رسم الطريق امام اجيال الصحافة في محاولات ناجحة لمعرفة مبادىء الصحافة العامة والاستفادة من اخطاء السابقين ، وترك (الامثلة) السيئة التي عرفتها الصحافة في بدء نشوئها والعمل من اجل تطهير الوسط من المرتزقة والطارئين .

الا أن الحقيقة التي جاءت بها صحافة الثلاثينيات والاربعينيات بل حتى

بعد ذلك التاريخ ، خيبت مع شديد الأسف آمال اوائك الذين ارسوا اللبنات الاولى لصرح الكيان الصحفي كما سنأتي على ذلك عند تدوين الفترات الزمنية لتطور صحافتنا والعوامل التى تأثرت بها والتي أثرت فيها .

أما المجلات التي صدرت في بغداد عام ١٩٢٥ فهي :

هديت كردستان لصاحبها صالح زكي صدرت في ١١ آذار ، والمجلة الطبية البغدادية أصدرتها الجمعية الطبية وترأس تحريرها صائب شوكت صدرت في ١ حزيران ، ومجلة المحامي لصاحبها فائق القشطيني ورئيس تحريرها عبد الرحمن خضر صدرت في ١ تشرين الاول ولم تدم اكثر من سنة واحدة ، ومجلة المعرض لصاحبها أحمد عزت الاعظمي في الاول من تشرين الثاني ، والمرشد لصاحبها محمد الحسيني صدرت في الاول من كانون الاول .

وفي العام التالي ، صدرت المجلات التالية :

الجامعة لصاحبها سعيد الراوي صدرت في ١٥ آذار ، والمدرسة لمحمود نديم في ١٥ آيار ، وعادت مجلة لغة العرب الى الصدور للعلامة اللغوي انستاس ماري الكرملي في اوائل تموز ، ومجلة الاصابة لصاحبها الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي صدرت في ١٠ ايلول ، ومرآة الحال لميخائيل تيسي في ١٥ تشرين الأول .

وفي عام ١٩٢٧ صدرت المجلات التالية :

اثورية لنادي اثوريا صدرت في ١٣ آذار ، والحديث لنور الدين داؤد وفائق القشطيني في الاول من تشرين الثاني ، ومجلة دار المعلمين لصاحبها عبد الحميد الدبوني في الاول من كانون الاول .

وفي عام ١٩٢٨ ، صدرت مجلتان فقط : التربية والتعليم لصاحبها

المربي المعروف ساطع الحصري صدرت في ١ كانون الثاني واستمرت ٣ سنوات متتالية ، ومجلة الاقلام لصاحبها علي ظريف الاعظمي في الاول من شباط .

وفي العام التالي ، أصدر سعيد فهيم مجلة التلميذ في الاول من شباط ، وسعيد السامرائي مجلة الشباب في نفس التاريخ ، وأصدر عبد الله نسيم حاي مجلة الاقتصاد على شكل نشرة دورية مجانا تحتوي على الاعلانات والاخبار التجارية ، صدرت في ٢٩ كانون الاول لثلاثة اعداد فقط .

أما نصيب الالوية العراقية من المجلات في تلك الفترة فكان ضئيلاً اذ لم تصدر الا مجلة النشىء الجديد لصاحبها عبد الرزاق الناصري في البصرة في الاول من شباط ١٩٢٧ ، والثقافة لعبد الجليل برتو في الاول من كانون الاول من العام المذكور ، والاقتصاد لبديع شوكت في الاول من نسيان عام ١٩٢٨ . وفي مدينة العمارة صدرت مجلة الهدى لعبد المطلب الهاشمي في الاول من آب عام ١٩٢٨ . وفي مدينة النجف صدرت النجف ليوسف رجيب في عام ١٩٢٦ ، والحيرة لعبد المولى الطريحي في ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٧ . و في الموصل ، أصدرت البطريركية الكلدانية مجلة النجم في ٢٥ كانون الاول ١٩٢٨ .

لقد كانت لغة العرب من ارقى المجلات الفكرية التي دأبت على نشر المقالات الادبية والعلمية والتاريخية لكبار الكتاب والادباء والشعراء العرب والعراقيين منذ صدور اعدادها الاولى وذلك لما كان يتمتع به مؤسسها العلامة الكرملي من المعرفة والدراية والثقافة التيجعلته يتبوأ مركز عمادة الصحافة الفكرية طيلة الفترة الممتدة من عام ١٩٢٠ حتى ١٩٣٤ . فكانت المجلة المذكورة مدرسة يدخلها الشباب ليصقلوا مواهبهم ثم يتوزعون بعد ذلك على الصحف والمجلات الاخرى ، خاصة اولئك الشباب الذين زاملوا استاذهم

الكرملي وكانت لهم الاسبقية في حضور مجالسه الفكرية ، فتأثروا به ، ونجحوا فيما بعد في جعل صحفهم تسير على خطته في نشر النفائس الثقافية والتاريخية والاهتمام بالادب العربي وتخصيص الصفحات الكاملة لهذا الغرض .

ولو تصفحنا العدد الثالث من السنة السابعة الصادر في آذار عام ١٩٢٩ وجدنا أن المواد المنشورة فيه تناولت بحثاً مطولاً « الشمسية » وهم قوم جبليون سكنوا مردين (ديار بكر) ، يبحث في أصلهم ولغتهم وديانتهم ، وتعريف لامرهام في المنجد بقلم مصطفى جواد ، وبحث عن التطعيم الصحفي في العراق ، ومقال عن اللغة العربية والتجدد لكاتب من السودان ، وبحث ادبي عن ابن الجوزي وقبره في بغداد لعبد الحميد عبادة ، وبحث عن خزان كتب ايران لمحمد مهدي العلوي ، ومقال عن جامع قمرية والمدرسة العمرية ليعقوب سركيس ، وبحث عن عشائر الموصل للمؤرخ المعروف عبد الرزاق الحسني ، وبحث عن اللغة لمصطفى جواد . ثم يحتوي العدد جريا مع القاعدة المتبعه منذ صدور العدد الاول ، على أبواب ثابتة مثل باب المكاتبة والمذاكرة وركن الاسئلة والاجوبة ، وباب المشارفة والانتقاد للكتب الصادرة . وفي نهاية العدد سجل لتاريخ وقائع الشهر في العراق وما جاوره يتناول اهم الاحداث . وكمثال لتلك الوقائع ، ما جاء في العدد المذكور .

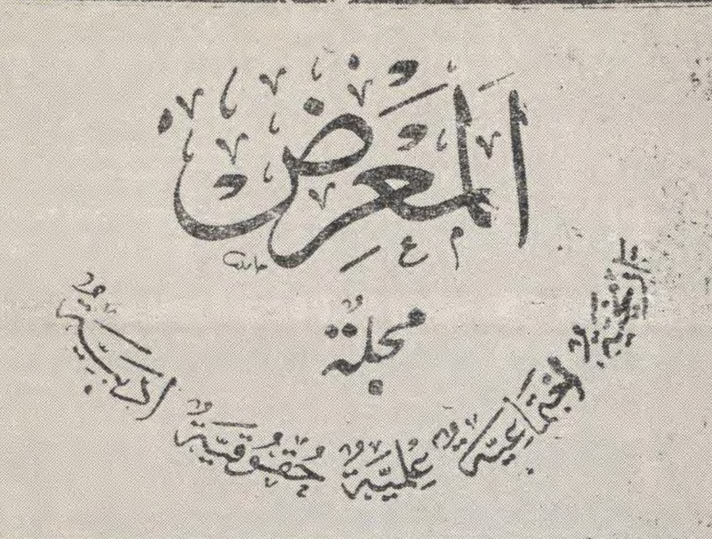
« انكشف الغطاء عن المطالب العراقية التي تظمنتها مذكرة السعدون رئيس الوزراء وقد بعث بها الى دار الأعتماد السامي وثبت ان الحكومة العراقية قد طلبت ما يأتي تفصيله :

١ ــ أن تكون قيادة الجيش العامة للعراق حتى في حالة اشتراكه مع الجيش البريطاني أو القوة الجوية .

٢ ــ أن يكون اعلان الادارة العرفية من حق العراق فقط .

٣ ــ أن يملك العراق السكك الحديدية مجاناً وان يسجل ميناء البصرة

الجزء الاول   للسنة الثانية



جمادى الاولى سنة ١٣٤٥ — تشرين الثاني سنة ١٩٢٦

المعرض في ..نتها الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ، ان تكون امة هي اربى من امة ، انما يبلوكم الله به، وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون .

ان الانقلاب الحديث ، هو اعظم انقلاب ثوري انتاب الامة العربية في هذا العصر . لقد عاش العربي في العصور المتقدمة عيشاً محوطاً ببيئة تضمنت كل بواعث السعادة . وهيأت كل عوامل الراحة والاطمئنان . اما الآن فقد انفصمت عرى وحدة هذا الشعب النبيل بصورة حلت بضروب الخداع والمكر . فافضت الى هذا الهبوط والانحطاط .

فقد اصبحنا بعد تلك الجهود التي بذلت في سبيل الفكرة المقدسة، شعبا

بأسم الحكومة العراقية .

٤ ــ فرض التجنيد الاجباري .

٥ ــ رفض دفع نفقات دار الاعتماد البريطاني .

٦ ــ قيام السفارات العراقية بحماية الرعاية العراقيين في الخارج .

٧ ــ الغاء الاتفاقية العدلية .

٨ ــ حرية التمثيل الخارجي بلا قيد ولا شرط .

٩ ــ رفع الرقابة المالية التي فرضتها الاتفاقية المعمول بها الآن .

٥ - دور حزب الاخاء الوطني وصحافته

تم تأسيس الحزب في ٢٥ تشرين الثاني عام ١٩٣٠ ، وكان من ابرز اعضائه بجانب مؤسسه ياسين الهاشمي كل من رشيد عالي الكيلاني وحكمت سليمان ويوسف غنيمة ورضا الشبيبي وغيرهم ، وكانت جريدة البلاد الصادرة في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٩ اللسان الناطق للحزب المذكور حيث كانت تربط صاحبها ومؤسس الحزب روابط صداقة قوية وافكار متقاربة حول بعض القضايا القومية والوطنية ، فجعل رفائيل بطي من جريدته منبرا لنشر وترويج مبادىء وافكار حزب الآخاء طيلة مدة اجازته . وتعددت الصحف الصادرة باسمه او لاسناده خمس صحف هي صوت العراق والجهاد والشعب والزمان ونداء الشعب ، اذا ما أضفنا اليها جريدة السياسة التي واكبت الحزب في ايامه الأخيرة .

يقول رفائيل بطي في كتابه « الصحافة في العراق » :

« .. واشتهرت الصحف التي أصدرتها (جريدة البلاد) في خلال غيابها بتعطيل الحكومة لها ، وفي ظل (حزب الآخاء الوطني) باللهجة الشديدة

والتفكير السديد وقوة الحجة كما كان لانتشار هذه الجرائد المريع في ١٩٦٠ القطر كافة وصوتها الداوي صداها في المجتمع العراقي ، بحيث تجسمت قـوة الصحافة كاداة حزبية في نشر الدعوة وتلقين الشعب وهز عواطف الجماهير . واهم القضايا التي عالجتها صحافة الحزب في هذه الفترة ، مقاومة معاهدة التحالف بين العراق وبريطانيا سنة ١٩٣٠ واتفاقية النفط الجديدة .

وتضافر فريق من كبار الساسة والكتاب في معالجة هـذه القضايا الحيوية والكتابة فيها مع هيئة تحرير جريدة البلاد وبخاصة فهمي المدرس ، وباقر الشبيبي ، مقالات صادعة تثير طبقات الشعب وتحرك مشاعر الناس فتعمد الحكومة الى تعطيل الجريدة تخلصا من تأثيرها وتمضي احيانا في ارهابها فتسوق الكاتب والمديـر المسـؤول الى القضاء او تنفيهما الى مكان بعيد » .

لقد ادت جريدة البلاد خدمة كبرى للصحافة العراقية ، وفتحت آفاقا جديدة ساهمت في تطوير الصحافة ، شكلا ، ومضمونـا . فصدرت لأول مرة بست صفحات ، حجم كبير ، كما هوحجمهـا اليوم ، وخصص صاحبها صفحات كاملة للقضايا العربية والعالمية ، وابوابا ثابتة للأدب والفن والمرأة ، مستخدماً طريقة الخبر القصير ، ومعتمداً على وكالات الانباء والاخبار الخارجية المنقولة عن طريق الراديو . واستطاعت «البلاد» ان تتحمل مسؤولية «الامانة» في نقل الخبر والافصاح عن حقيقة دور الكلمة الصادقة في التعبير عن اماني الشعب وقواه الوطنية ، واختطت لها سياسة معارضة منذ صـدور عددها الاول ، مما أدت سياستها الى تعرضها للتعطيل والتنكيل بصاحبها وتعدد اصدار الصحف بدلا منها كما ذكرنا سابقا . وقد ساهم في التحرير فيها كبار الساسة والكتاب والمفكرين امثال فهمي المدرس وابراهيم صالح شكر وياسين الهاشمي ورضا الشبيبي ومعـروف الرصافي ويوسف رجيب

ومصطفى علي والزهاوي ويوسف غنيمة وعلى الشرقي واحمد حسن الزيات وعيسى اسكندر المعلوف وعبد المسيح وزير ومحمود الملاح وغيرهم .

جاء في صدر صفحاتها الاولى الكلمة التالية :

« .. وأخيرا اتيح لنا أن نعمل في الصحافة احرارا مستقلين ، فأنشانا صحيفة البلاد عسانا نؤدي بها خدمة ضئيلة متواضعة في ميدان الجهاد ، جهاد هذه الأمة المظلومة على أمرها . فالصحافة لسان الأمة الناطق ومرآتها الصافية فهي معبرة عما يختلج في اعماق القلوب ، وهي المجلية صور النفوس .

سألني الكثيرون ما خطة جريدة البلاد ، فأجبتهم تقرأون خطتها بين سطورها اذ ليس بنافع لنا أن نتبجح بذكر خطة قويمة اليوم ونلتوي عنها في السير غدا .

واذا أبى القراء الا ان يسبق القول العمل فخطة جريدة البلاد ما تقتضيه مصلحة البلاد وكل مصلحتها بل اكسير حياتها الحرية والاستقلال ولا أقول الحرية ولا الاستقلال التام لأن الحرية لاتعرف الحدود والاستقلال لايكون منقوصا فمن اتفق مع هذا المبدأ فالجريدة معمولة عليه ناصرة له ، وما تنافر معه فهي حرب عليه هدامة له . ومن يعتدى على البلاد فهو عدوها سواء أكان محسوبا عليها ام أجنبيا عنها » .

وبعد ان استمرت البلاد على الصدور ، عطلت من قبل مديرية الشرطة تعطيلا اداريا مؤقتا بناء على قرار مجلس الوزراء وذلك على اثر صدور العدد ٢١١ بتاريخ ٢١ تموز ١٩٣٠ . فأصدر مؤسسها في ٢٣ تموز جريدة التقدم مشاركة مع سلمان الشيخ داؤد لمدة ثلاثة ايام ابدل

اسمها « بالجهاد » .

وفي ٢٥ آب ، عطلت الحكومة « الجهاد » وأصدر بدلا منها جريدة « الشعب » لصاحبها محمد عبد الحسين بعد يومين من تعطيل الجهاد ، وصدر عدد واحد فقط تعرض للتعطيل ايضا . فترأس مؤسس البلاد رئاسة تحرير جريدة « الزمان » لصاحبها ابراهيم صالح شكر في نهاية شهر آب ثم تعرضت للتعطيل ايضا في ٢٧ تشرين الاول وقدم رئيس التحرير للمحاكمة بتهمة الطعن في الذات الملكية في المقال المنشور بعنوان « الاستفتاء ومصيره » .

وفي ٢٧ آذار ١٩٣١ ، استأنفت « البلاد » الصدور لمدة خمسة ايام فقط . ثم اصدر صاحبها جريدة « الاخبار » لمدة قصيرة عطلتها الحكومة لأجل غير مسمى ، فصدرت عوضا عنها جريدة الآخاء الوطني .

ثم صدرت البلاد مجددا واستمرت في الصدور لسنوات عديدة كانت تتعرض للتعطيل الاداري بين الحين والآخر .

ومما نشرته « البلاد » في بدء تأسيسها في العدد ١١ الصادر في ٦ تشرين الثاني ما جاء في المقال الافتتاحي تحت عنوان « من مساوىء الانتداب على العراق » قال فيه رئيس تحريرها رفائيل بطي :

« .. وأول مايؤخذ على السياسة الانتدابية الروح الاستعماري المتغلغل فيها . فهي استعمار بثوب آخر مزركش لاتفزع منه العيون والا فالنفود الحقيقي هو للدولة المنتدبة والامتثال من شأن الاقطار المنتدب عليها . لو كان الانتداب يفترق نوعا عن الاستعمار لرأينا في سلوك الدول المنتدبة شيئا من الرغبة في تسليم زمام الامور بيد الاهالي وتعويدهم وتدريبهم على حكم انفسهم بانفسهم كما ينص عليه دستور الانتداب . ولكننا لم نجد اثرا

لهذا الحكم في سلوك الدولة البريطانية المنتدبة .

وتجيء بعد ذلك قضية الاستشارة والتدريب . فقـد زعمت الدول المتحكمة بمصائر بلادنا اننـا قاصرون ومفتقرون الى الاستشارة والتدريب وان هذه الاستشارة نتتلمذ بها على الانكليز . فصدقنا اولا وقلنـا هـاتوا رجالكم ليدربونا ويحضونا مشورتهم فما كانت النتيجة ؟ ان الاستشارة كانت ضئيلة جدا وخاطئة في كثير من الاحيان ومن امثلة خطأها تقـدير المياه لمشروع اصفر وقضية الكبتن براش في وزارة الدفاع وغيرهما » .

وقد تعطلت البلاد اداريا بعد صدور العدد ٢١١ في ٢١ تموز عام ١٩٣٠ على اثر نشر المقال الافتتاحي الموقع من قبل محمود رامز والمعنون « رأي الامـــة في المعاهدة : نداء لابنـاء الشعب فليتعظ الانكليز » ، جـاء فيه :

« .. لقد دنت الساعة التي نعالج قضيتنا على الوجه الذي يقرر مصيرنا مهما كلفنا الأمر . ان الندم وعض الشوارب بعد ذلك لايفيدان .

« هذه مقدمة ارسلها في موقفي هـذا . ولاتفيد التبرمات التي يتبرم بها امامكم الاشخاص الذين لايملكون ثقة الامة وليس لهم ما يبرر اعمالهم من المميزات التي خدعتم بها فعقدتم هذه المعاهدة البعيدة عن مصـادقة الاحرار والوطنيين وسيندم على التفريط في الأمور . »

« ادعو ابناء الامة الى التظافر ونبذ هذه المعاهدة ومحاربتها لأنهـا معاهدة انتدابية استعمارية احتلالية تفـريط بحقوق البـلاد قبل ان يؤلف المجلس ولنحافظ على شـــرف هــــذا الوطن البائس الذي دفن فيـــه اباؤنا واجدادنا .

كفتنا المهازل ايها الأخوان !

الى الاتحـاد والتضامن » .

وقد شارك في العدد المذكور حول المعاهدة الشيخ محمد مهدي كبة في مقال « المعاهدة الانكليزية العراقية في الميزان » .

وفي ٢٣ تموز ، اي بعد يومين من التعطيل الاداري للبلاد . اصدر رفائيل بطي جريدة التقدم لصاحبها سلمان الشيخ داؤد لتعوض للمشتركين والمعلنين في البلاد لمدة ثلاثة ايام ابدل اسمها بالجهاد . وكان رفائيل بطي يصدر الجريدة مشاركة مع جبران ملكون الذي كان مسـؤولا عن الشؤون المالية والادارية لجميع الصحف التي اصدرها معه .

والملاحظ في الصحف العراقية الصادرة في تلك الفترة ان الصحفيين الذين كانوا يتعرضون بعض الشخصيات يحالون للقضاء بتهمة القذف ، حيث تعرض القسم منهم للغرامة حسب قانون المطبوعات العثماني ساري المفعول آنذاك كالحكم الذي صدر على الملا عبود الكرخي صاحب جريدة الكـرخ بالغرامة لما قيمته ٣٠ ربية وتعويضا لثلاثين ربية اخرى وذلك بتهمة القذف الموجه لمحمد مهدي الجواهري صاحب جريدة الفـــرات ، ومحاكمة عبد الغفور البدري صاحب جريدة الاستقلال بتهمة القذف بالجواهري ايضا والتي انتهت بالغرامة المذكورة . وكذلك الحكم الصادر على محمد مهـدي الجواهري بغرامة ٢٠٠ ربية وتعويضات قدرها مائة ربية بتهمة القـــذف بشخصية نوري ثابت ، وغيرها من قضـــايا الطعن . كتعرض عبد الغفور البدري للمحاكمة بتهمة الطعن في الذات الملكية والتي حكم فيهـــا بستة أشهر مع ايقاف التنفيذ .

ومن اظرف المحاكمات التي تعرض لها احد الصحفيين آنذاك ، ماتتعلق بتهمة

قذف الحكومة من قبل المحامي على محمود الشيخ علي ، المدير المسؤول لجريدة « صوت العراق » ، والتي استمرت عدة جلسات . وقد جرت المحاكمة بعد التحقيق في المقال الذي نشره محمود في العدد ١٥٢١ الصادر بتاريخ ٢١ تموز ١٩٣٠ تحت عنوان « المعاهدة الجديدة وثيقة استعبادية » .

واحب ان ادون بعض ما جاء في اقوال الصحفي والحاكم اثناء المحاكمات لندلل على عقلية الحكام آنذاك ومسؤوليهم ولنفند بنود قانون المطبوعات العثماني التعسفي الذي لعب دورا كبيرا في الضغط على حرية الصحافة والتنكيل بخيرة الصحفيين في تلك الفترة الممتدة من ثورة العشرين حتى الانقلاب العسكري الذي قاده بكر صدقي عام ١٩٣٦ .

تقول المستندات !

الحاكم : ما معنى عبارة الوزارة العائمة .

المتهم : غلط مطبعي ، العائمة يجب ان تكون القائمة ، ويوجد غلط مطبعي آخر في العامود الاول مثلا على اساسين هما التخلص الى الاستقلال التام عن الاعتراف والصحيح عن طريق الاعتراف وبهذا التصحيح استقام المعنى ودائما توجد اغلاط مطبعية وهذه من جملتها .

الحاكم : اذا كنت تقصد بعبارتك ولسنا نؤاخذ الوزارة القائمة لماذا لم تذكر بدلا من القائمة او العائمة الحاضرة .

المتهم : في نظري ان القائمة اصح وعلى الاغلب عندما اذكر الوزارات الحاضرة استعمل الوزارات القائمة .

الحاكم : الم تقصد برجال الثورة الوزارة الحاضرة بالنظر الى ما تضمنه

صدر المقال ؟

المتهم : نظرا الى ماذكر في هـــذا المقال اني اقصد رجال الثورة على الاطلاق الذين اشتغلوا ومازالوا يشتغلون في سورية وفلسطين وشرقي الاردن والحجاز .

الحاكم : اما تعتقد ان التعبير الذي ذكرته في هذا المقال وهو : لان الوزارة التي اقدمت على المفاوضات لم تكن غنية بالمواهب العلمية او خصبة بالروح الوطنية ذم الوزارة الحاضرة. ان هذه العبارة من العبارات التي اوجبت ذم الوزارة فماذا تقول ؟

المتهم : كلا ان هذه العبارة ليس فيها ذم للوزارة الحاضرة لأني اعتقد كما اعتقد غيري من المشتغلين بالسياسة بان المعاهدة لم تكن صالحة للبلاد .

الحاكم : اذا قلت لشخص انك لم تكن غنيا بالمواهب العلمية اما يتأثر ذلك الشخص .

المتهم : اذا لم يكن مثقفا ولم تكن له مواهب علمية وقيل له ذلك لايتأثر ولا يمكن ان يتأثر واذا قيل له بالعكس فذلك كذب صريح . هذا عن الاشخاص العاديين اما الاشخاص السياسيون فهم معرضون للنقد ولا سيما اذا كانت الاعمال الصادرة منهم مخالفة لمصلحة البلاد وثبتت مخالفتها فالناقد وفقا لاحكام قانون المطبوعات لايلزم بشيء .

الحاكم : من هو المفاوض الضعيف الذي ذكرته في المقال ؟

المتهم : المفاوض العراقي هو رئيس الوزراء .

الحاكم : تعتقد أن اسناد الضعف الى رئيس الوزراء هو من الذم ؟

المتهـم : هل أن المعاهدة الجديدة هي وليدة قوة ؟ أن المعاهدة الجديدة هي نتيجة ضعف لانتيجة قوة وان اسناد كلمة الضعف الى رئيس الوزراء لايشكل ذما عن عمل يتعلق بوظيفته .

لقد شنت جريدة الجهاد حربا على المعاهدة العراقية البريطانية وساندت الحزب الوطني في سياسته القومية والوطنية . وعلى اثرها تعرضت للتعطيل الاداري كسابقتها البلاد على اثر نشرها مقالا افتتاحيا تحت عنوان : « سـخرية القدر – ينتفخون بالوهم ويهددون مستندين الى الاجنبي . » فاصـدر رفائيل بطي جريدة « الشعب » لصاحبها الصحفي الثائر محمد عبد الحسين في اليوم الثاني لتعطيل الجهاد . وكان العدد الوحيد الذي صدر عوضا عن البلاد والجهاد اذ عطلتها الحكومة في نفس اليوم ، فأصدر جريدة « الزمان » . وجاء في صدر صفحتها الاولى رسالة من صاحبها الصحفي الوطني ابراهيم صالح شكر الى بطي يقول :

« اخي رفائيل بطي !

هذا صريع في ميدان الكرامة ، يلقى السلاح وهو مثخن بالجراح ، ولكنه لايئن ولا يتلوى من الألم ، فانينه صامت . والامة خرساء .

وهذا بلد موبؤ ، لايستقيم العمل فيه ، لمن تمكنت في نفسه تقوى الوطن ، واعتصم باسباب الشرف وواجب الاباء .

وهذا شعب ساذج غلبت عليه الشقوة فهـو ضعيف الذاكرة ، كثير النسيان ، لايتفهم الواجب . ولا يتذكر الاساءة .

وان فالانزواء في « معاقل الأسر » خير من الامـراح على هـذه

الرقعة السبخة الوعرة ، وانا لله وانا اليه راجعون !

فبعد . . فان « الزمان » جريدة ، اني أصدرتها لاجعل منها « الشعلة المقدسة » التي تستنير بها الكرامة الوطنية ، في هذا البلد الحالك السواد ، وبين هذا الشعب المتخبط في ظلمات الصروف والحوادث ، فتضافرت الوزارات المتعاقبة على اطفائها ، المرة تلو المرة ، الى أن نضب الزيت ، واستحالت الذبالة الى رماد !

فاذا ابحت لك الآن التصرف في « الزمان » فانني انما ابيح لك التصرف في « شعلة منطفئة » فاذا وجدت في رمادها ناراً فذر هذه النار تتمشى في الهشيم الى ان تلتهم الاخضر وتتناول الاكواخ والقصور . فخير لك ان تحرق من ان تحترق . فيشمت بك .

واياك ان تتخذ مني قدوة . وان كنت « ولدي بالروح » فاني رضيت لنفسي « الاحتراق » من حيث لم استطع انارة العميان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

ثم استمرت الزمان على الصدور حتى عطلتها الحكومة واحالت مديرها المسؤول رفائيل بطي الى المحاكمة بتهمة القذف بالذات الملكية وحكم عليه بالسجن لمدة ستة اشهر ، وبعد استئنافه استبدل بالسجن شهرين فقط !

ومن المقالات الهامة التي نشرتها جريدة « نداء الشعب » المعوضة لمشاركي البلاد والزمان المعطلتين ولصاحب امتيازها ياسين الهاشمي المقال المنشور في العدد ٣٥٥ الصادر في ١٤ كانون الثاني عام ١٩٣١ تحت عنوان « الى الشعب ايابهم (وبقلم معارض) » :

« ومهما استهوتهم البروق الخلب التي ينخدع بها صغار الاحلام وقليلو

التجارب ، واندفعوا وراءها ظانين انهم في نجوة من الشعب .

ومهما طوحت بهم طوائح الآمال فعملوا بما يوعز اليهم غير مقيمين للشعب وزناً ولا محترمين له رأياً ، فانما (الى الشعب ايابهم) .

تولوا فغرهم ما هم فيه فشمخوا برؤوسهم واستهانوا بعواطف سواهم ، ثم رجعوا الى سيرتهم الأولى فخفضوا اجنحة الذل وبسطوا ايديهم يطلبون العفو والمغفرة .

وكان عليهم ان يحسبوا لهذه الحالة حسابها فليس من شأن الزمن الاستمرار على حالة واحدة ، ولكن . . .

ضج الشعب وصرخ مستنكراً فأبوا الا المضي فقاموا بأقصى مامكنتهم قوتهم ان يقوموا به حتى اذا ما حاق المكر السيء بأهله جاءوا اليه يستقطرون عفوه وغفرانه ، ويطلبون منه معونة وتأييداً .

كلا ! كلا ! !

ان للشعب حقوقاً يجب ان تصان وان للشعب مقدسات يجب ان تحترم أفيريدون منه ان يحترمهم وهم لم يحترموا له حقاً صريحاً ، ام يريدون ان يؤيدهم وهم في احرج المواقف قد خذلوه ؟ ام يحدثون انفسهم بانفضاضه عن اناس صانوا حقوقه وعبروا عما يريد . » .

« . . . لابد لهذا الاستهتار من امد ينتهي اليه ولابد لهذا الاستخفاف بحق الشعب ومقدراته من حد تقف عنده ولا بد لهذا الشعب المهيض الجناح من يوم يثأر فيه بنفسه من ظالميه الذين لم يرعوا له وزناً ولا ذمة . واذا ما غضب الشعب فانما غضبه من غضب الله الجبار الشديد البطش .

انه ليوم رهيب . . . يوم يقف فيه الشـــعب المظلوم مع ظالميه

يستقضيهم امام محكمة الحق والعدل . ذلك يوم يعض فيه الظالمون على ايديهم يقولون : ياليتنا اتخذنا مع المخلصين سبيلاً ...

ولات ساعة الندم ! ..

ذلك يوم تتلجلج فيه الالسن وتطيش فيه العقول . فلا ينبس المعتدون ببنبة شفة . ولا ترى منهم الا عيوناً تجري بلا دموع ساخنة . » .

« .. في هذه الحياة القصيرة الامد مقتهم الشعب . وغـــد — اذا ما لفظتهم الحياة — يورثون اخلافهم امرين مـا نظروا اليهما الا وطأطئوا رؤوسهم خجلا .

امران : هما الصحائف السود التي يخلدها لهـم التاريخ في عهـده هذا وقبور ينظر اليها كما كان ينظر الى « قبر » ابي رغال » .

وفي ٢٦ كانون الثاني من العام المذكور عطلت الحكومة الجريدة وصدرت عوضاً عنها جريدة السياسة لمديرها المسؤول عبد الاله حافظ . ومن ابرز مقالاتها ما جاء في العدد ٣٧٥ الصادر في شباط تحت عنوان « اساليب بالية يتشبثون بها لمكافحة المعارضة . » جاء فيه :

« لقد ضاقت الوزارة ذرعا في مكافحة المعارضة التي صمـدت لها فسدت عليها الانفاس . واوقعتها في حيص بيص وصارت تضايقها كثيرا والتصدي لفضح اعمالها من اطلاع الرأي العام على خططها وتدابيرها التي لاتتفق وما تتطلبه احكام القانون . فكان ذلك مدعاة تمـزيق للاستار التي حاكتها الايدي واريد الاختفاء وراءها . فأبت الايام الا ان تتجلى الحقيقة ويطلع الناس على الوزارة وهي في وهنها وهزالها » .

وبعد أن كشف المقال عن اساليب الحكومة في تزوير تواقيع الناس

وارسالها الى الصحف في ممانعــة فتح فــروع حزب الآخـاء الوطني ، قالت الجريدة :

« .. نقلنا تعابير المضبطة الموحدة بحروفها ، ليطلع الملأ على الاساليب البالية التي نزلوا اليها في مكافحتهم المعارضة المطالبة بحقوق البلاد والمتعهدة لقضيتها المقدسة من الهدر والضياع . ولا نعلم مـا هو المعنى المتحصل من هاتين المضبطتين ولا ما هي الشخصيات التي ترمز اليها هـذه التواقيع التي قد جمعت ولا ريب باساليب خاصة معروفة وكيف يسوغ المطالبة بما يخالف الحقوق القانونية الطبيعية والمنصوص عليها في دستور البلاد والقوانين التابعة لها . فهل يستطيع زيد او عمرو من المتزلفة أن يطلبوا الى الحكومة مثل هذا الطلب . وهل بمقدور الحكومة أن تسمع طلبهم وتعمل به . وفي اي عصر نحن عائشون حتى نسكت عن مثل هـذه التدابير تحـاك في الظلام ويطالع بها الناس بقصد اغفالهم والتغشية على اذهانهم » .

وفي ٢٤ آذار ، تعطلت السياسة وصدرت « البلاد » ثانية وتناولت في اول عدد لها قضايا الساعة الوطنية ، فكان المقال الافتتاحي لياسين الهاشمي حول رجال المجلس النيابي والساسة ، ومقـال عن « التضييق على الحريات» واخر عن اتفاقية النفط ، وبرقيات تأييد لسياسة اقطاب المعراضة . كما نشرت كلمة قصيرة حــول تعطيل جريدة « السياسة » وصدور « البلاد » قالت فيه :

« بلغت جريدة السياسة يوم الثلاثاء بعد الظهر بقرار مجلس الوزراء بتعطيلها تعطيلا اداريا لنشرها ما من شأنه الاخلال بالامن . ولا نعلم ما هي الامور التي نشرتها السياسة مما عدته الوزارة مخلا بالامن اذ لم تنشر غير الانتقادات السياسية والدفاع عن المعارضة ازاء الهجمات التي اطلقتها في قاعة مجلسهم النيابي وعلى صفحات صحيفتهم .

وكم كان الاجدر بالحكومة أن تمنع صحفها من تجاوز الحدود وتردع بعض اعضاء مجلسها عن الخروج عما هو مألوف في الجدل السياسي اذ المفروض ان تضرب الحكومة لحزبها والجرائد التي تعبر عن سياستها مثالا ساميا في هذا الجدل .

« واليوم ، تعود جريدتنا البلاد الى الصدور بعد أن افرج عنها وكانت قد عطلت في الصيف الماضي فاصدرنا بمكانها خمس جرائد اخرى : الجهاد والشعب والزمان ونداء الشعب والسياسة فكان نصيبها كلها التعطيل الاداري .

وستواصل البلاد سعيها في خدمة القضية الوطنية بما يوحيه الواجب ويتطلبه هذا الظرف الصعب الذي يجتازه الوطن . »

ولم تلبث ان عطلتها الحكومة ايضاً بعد صدور ستة اعداد فقط . فاصدر صاحبها بعد شهرين ونصف مع جبران ملكون جريدة الاخبار في ١٨ حزيران ١٩٣١ .

وقبل صدور الاخبار بيوم واحد ، عطلت الحكومة جريدة «الاستقلال» لصاحبها عبد الغفور البدري واقامت الدعوى عليه بنفس التهم السابقة التي تعرض اليها هو ورفائيل بطي وعبدالاله حافظ وغيرهم .

ثم تعطلت الاخبار الى اجل غير مسمى ، وصدرت بعد ذلك جريدة « الاخاء الوطني » ليشارك مؤسس الحزب ياسين الهاشمي مع كبار رجالاته في تحريرها مباشرة بعد ان ادت كل الصحف الصادرة التي ذكرناها في هذا الباب دورها في اسناد سياسة الحزب الوطنية والقومية وتعرضت كلها للتعطيل والحكم على مديرها المسؤول بالسجن والغرامات . فصدر عددها الاول في ٢ آب ١٩٣١ ، وكان صاحب امتيازها علي جودت ومديرها

المسؤول عبد الاله حافظ . وكانت اول جريدة رسمية ناطقة بلسان الحزب المذكور . ولم يبق عبدالاله حافظ طويلاً ، اذ استقال من مسؤولية الجريدة وتولى الزعيم الوطني المعروف كامل الجادرجي مسؤوليتها . وبعد اقل من ثلاثة اشهر عطلت الحكومة الجريدة ، وصدرت عوضا عنها في اليوم التالي جريدة « الاخبار » في الثاني من تشرين الثاني .

وفي تلك الايام بالذات ، بدأت المحاكمات بالجملة لرجال الصحافة . فقد احيل كامل الجادرجي لمحاكمته عن نشر كلمة حول المساجد والصحون في جريدة الآخاء الوطني قبل تعطيلها . وكان قد امتثل امام المحكمة قبل ذلك لنشره قصيدة « جرس الحرس » التي اعتبرتها الحكومة موجهة ضد الحكومة ، وكان احد شهود الدفاع الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي بصفته خبيرا في الشعر . وكذلك الحكم الصادر بحبس الكاتب الوطني المعروف ابراهيم صالح شكر لمدة سنة لما كتبه في جريدة الاماني ، وعلى مديرها المسؤول المحامي عبد الرزاق شبيب ستة اشهر والذي خفض بعد استئنافه الى اربعة اشهر بالنسبة لابراهيم صالح شكر وشهرين بالنسبة لشبيب .

ومن ابرز المقالات التي ظهرت في جريدة الآخاء الوطني ما نشر في العدد الصادر بتاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩٣٢ تحت عنوان « يستعذبون القضاء على الحريات » جاء في بعض فقراته :

« .. ولما كنا نستعرض كل يوم صفحة او صفحات من مآسي السياسة العراقية ونكشف عن جانب من الارهاب التي يئن منها جسم الوطن وبناء مجتمعنا فلا تخالنا بحاجة الى ايراد القضايا والمهازل واحدة فواحدة بل نود أن نمسك بالطرف النهائي من هذه السلسلة : وهي فكرة تعديل القانون الاساسي وقد المعنا امس .

فالمتسرب الينا من هنا وهناك عن فكرة الدستور والدعاية لتعديله نفهم فورا أن الهدف الاول في هذا التعديل سلب جانب كبير من حقوق الشعب المسجلة في الدستور العراقي ، وان كان حظ العراقيين من بعضها الان وفي عهد الوزارة السعيدية كونها مسجلة بين دفتي القانون الاساسي لا اكثر ويتصل بهذا الهدف تضئيل سلطة الامة المدونة في هذا القانون وان لم ينعم العراق بعهد صح فيه للامة ممارسة هذه السلطة ممارسة صحيحة بالمعنى الدستوري الحق المتعارف في عالم الديمقراطية .

يلوح لنا انه يتستر وراء تعديل الدستور والفكرة الرامية اليه انتهاز الفرصة لارتداء ثوب الديكتاتورية في هذه الرقعة البائسة وان جاء ثوبا فضفاضا فهناك نزوة ساورت بعض النفوس فتخيلوا أن الميسور اغتنام الوقت والاخذ بحمى الدكتاتورية على النحو الذي يجري اليوم في تركيا وايران بل وايطاليا . . . » .

« . . فكيف يحلم طلاب تعديل الدستور بهذا الحلم ؟ وكيف تسوغ لهم انفسهم ان يرفعوا في بلاد يرفرف على ربوعها علم القوات الامبراطورية ، علم الدكتاتورية وما يتطلبه من هيبة وتفرد في السلطان ؟ نعم قد يتيح القدر لهذه الفئة ان تعدل الدستور على هواها وتنزع من الورق ومن بين السطور هذه الحريات والسلطة الممنوحة للشعب العراقي ، فيتسنى لها ارتداء قميص الدكتاتورية الاسود في الاسم والمظهر ، ولكن نفوذ هذه الدكتاتورية لن يتعدى طبقات الشعب الامنة والحيف ينزل برأس الافراد الضعفاء ، بينما ستبقى حتما السيطرة الاجنبية المعقود لواؤها في المعاهدة الجديدة في حرز حريز . فرفقا بسمعة العراق في يوم يغلي بركان الهند في طلب الحق والاستقلال وتنشد سورية على قبور شهدائها اغاني الحرية المضاعة وحقوق الانسان المهدورة » .

عدد ٢ — الثلاثا — السنة الاولى

صاحب الامتياز ومديرها المسئول
باش اعيان زاده محمد امين عالى

شرائط الاشتراك
فى داخل ولاية البصره عن سنة ٢٥ غرش
وفى عموم الممالك العثمانيه » ٤٥ غرش
وفى سائر البلاد الاجنبيه » ١٢٠ غرش
وعن نصف سنه نصف القيمة المذكوره
وقيمة الاشتراك تدفع سلفاً

اجرة الاعلانات عن السطر الواحد لمشتر جريدتنا اربعة غروش ولغيرهم خمسة غروش

ثمن النسخة ثلاثون پاره

التهذيب
١٣٢٧

ترقى الوطن بالاتحاد

مدير ادارة الجريده
[illegible]

محل مكاتبات الجريده
محل الادارة فى محمد الولايه
يجب ان تكون جميع المكاتبات خالية اجرة البريد ومعنونة باسم صاحب الامتياز
الوالى [illegible] (بصره التهذيب)
ادارة الجريدة تقبل جميع ما يرد عليها من الرسائل الجارية عن [illegible] والاغراض الشخصيه وهى لا ترد [illegible]
من قبل [illegible] والثانى عد مشتركا

فى ٢٠ جمادى الاولى سنه ١٣٢٧

جريدة سياسيه علميه ادبيه اخلاقيه تصدر مرة فى الاسبوع موقتاً

فى ٢٦ مايس سنه ١٣٢٥

حفلة تقليد السيف لجلالة مولانا
السلطان محمد خان الخامس

قد جرت حفلة تقليد جلالة السلطان الجديد بسيف جده ساكن الجنان عثمان خان الغازى مؤسس الدولة العثمانيه وذلك يوم الاثنين الواقع فى ٢٢ من شهر ربيع الآخر سنه على احسن ترتيب واكمل انتظام فما بزغت شمس ذلك اليوم البهيج حتى بدأ الاهالى يخرجون من منازلهم مهرولين حيث يقيم الزينة امام بيته او حانوته وذلك ليأخذ له محلاً مناسباً ليشاهد الموكب السلطانى واخذت العساكر وامراؤها تمر بلباسها الرسمى وبعدهم الاعيان والامراء ورجال الدولة والسفراء والرؤساء الروحيون حتى غصت الشوارع بالخلق وتعسر المرور فوصلوا الى تربة ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه وهنالك كان الوزراء قد اجتمعوا بملابسهم الرسميه مع رئيس الاعيان والمبعوثان وسائر رجال الدولة من اصحاب رتب الوزارة والبالا والاولى اولى والامراء وما يقابلها من الرتب العلميه وامام التربة على الاكمة المسماة (بشيل

[illegible]) قد نصبت الخيام للمبعوثين و[illegible]بان والضباط وبينهما على راس الاكمة خيمة حمراء خصصت [illegible] السفراء .

وفى الساعة الخامسة من النهار و[illegible] ليخت المقل للحضرة السلطانيه [illegible] ثلاثة بواخر حربية [illegible] بالاعلام وعدد عديد من القوارب المذهبة فنزل جلالة السلطان فى المحل المسمى (بستان اسكله سى) المخصص لاستقباله الوزراء والمشيرون ورئيسا الاعيان والمبعوثان وجميع من كان هناك مشياً على الاقدام الى ابى ايوب يتبعه هؤلاء مع من كان فى معية جلالته من الامراء والحجاب الى ان وصل الى التربة فدخل اليها للاستراحة هنيهة ثم بدأ [illegible] من العلماء بتلاوة بعض الآيات القرآنيه الشريفة وبعد اذ فرغوا من ذلك [illegible] صاحب الرشادة چلبى افندى الذى جاء من قونيه لهذا الخصوص وقرأ دعاء وجيزاً لجلالة السلطان [illegible] السيف من بين التربة و[illegible] جلالته فاخذه باحترام و[illegible] رفعه الى جبينه وقبله ايادة الى چلبى افندى فاخذه هذا بالاحترام اللائق وقلده مولانا السلطان وهو يردد دعاء مخصوصاً لهذه الحفلة

عقيب ذلك خرج الوزراء وبقية الحاضرين لتشكيل الموكب [illegible] كان جلالته يصلى لله شكراً على ما وهبه من الملك والسعادة وكانت المدافع [illegible] الحربيه ومن الدوارع

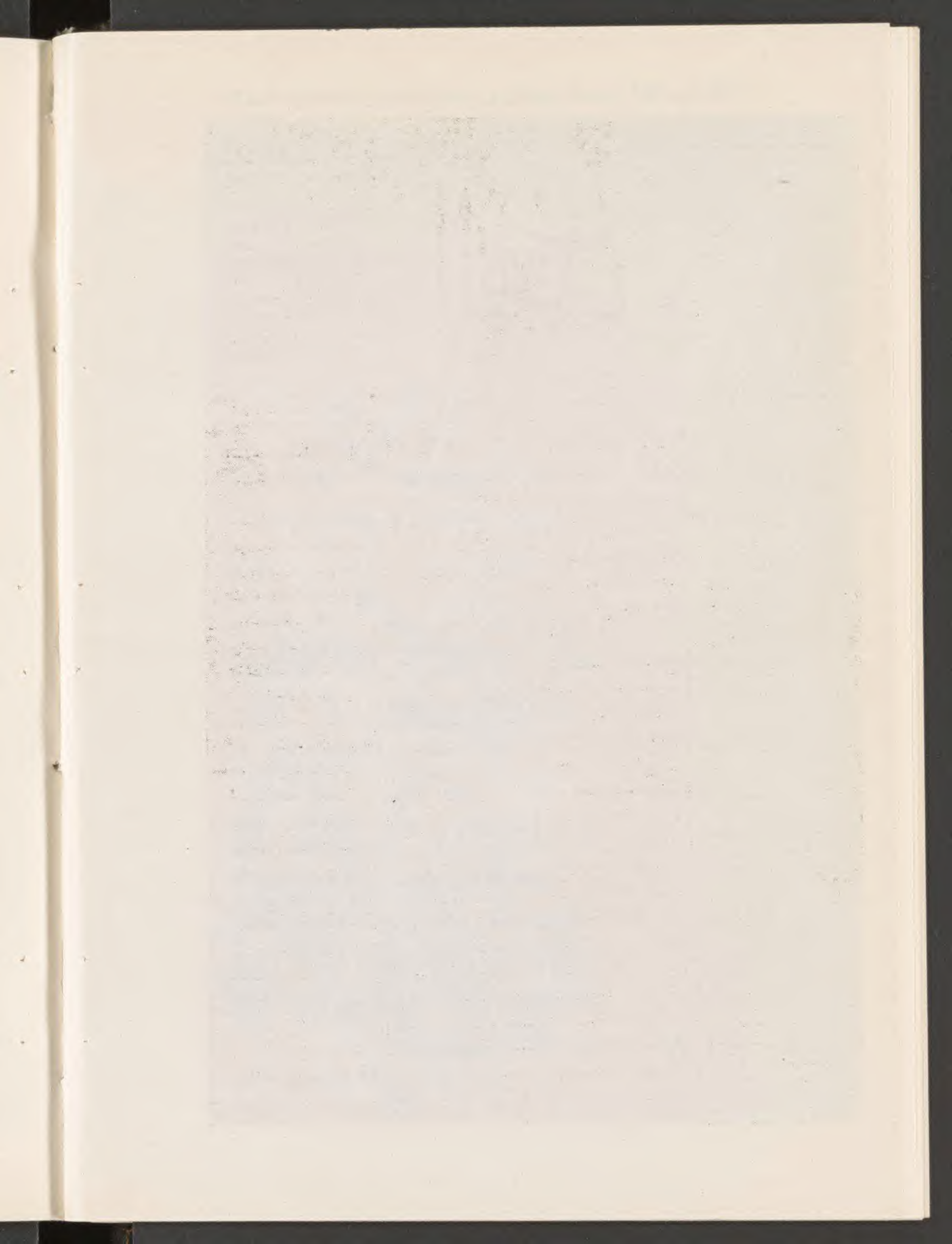
وفى الساعة السادسة خرج جلالته من تربة ابى ايوب رضى الله عنه وبعد ان وقف برهة تلطف برجال الدولة الذين كانوا مجتمعين [illegible] وفى صحن الجامع ركب العربه السلطانيه يجرها اربعة من الخيول المطهمة وسار الموكب فى نظام عجيب وترتيب بديع مهيب الى ان دخل المدينة من ادرنه قپو الذى دخل منه (السلطان محمد الفاتح يوم فتح القسطنطينيه) وسار الى تربة الفاتح المشار اليه و[illegible] جلالته قبر هذا السلطان المعظم وبعدها استأنف الموكب الهمايونى السير الى ان وصل الى سراى (طوپ قپو) وبعد ان [illegible] جلالته هناك برهة قبل فيها تهانى الرؤساء الروحيين عاد بالعز والاقبال عن طريق البحر الى سراى (ط[illegible] باغچه) مقر جلالته .

فنسئل الله ان يجعله احتفالاً ميموناً مباركاً على هذه [illegible] الاسلامية والامة العثمانيه آمين

النهضة الناجحه

[illegible] الله [illegible] بدون [illegible] حقائق الاشياء المادية والمعنوية [illegible] والبعيده [illegible] من امر [illegible] الارادة السبحانية والحكمة الربانية [illegible] والاسباب [illegible] الاسباب [illegible] المنتجة [illegible] فصارت [illegible] الاعلى [illegible] والادب [illegible] قدراً واعلاها ذكراً [illegible] واخلاق [illegible] [illegible] ان تكون [illegible] التحصيل [illegible] فى هذا الباب

بقدر الكد تكتسب المعالى
ومن طلب العلى سهر الليالى
ومن رام العلى من غير كسب
اضاع العمر فى طلب المحال



أن أثر صحف الحزب الوطني بزعامة جعفر ابو التمن وحزب الأخاء الوطني بزعامة ياسين الهاشمي على الصحافة العراقية واضح لكل المتتبعين والمعنيين بتاريخ الصحافة وتقدمها وتطورها . وقد كان روفائيل بطي اول صحفي يدخل مبدأ « التعويض » لمشاركي جريدة معينة تتعرض للتعطيل الاداري ، إذ يؤكد من وجهة نظره على :

« أن الشخص المشترك لا يخسر اشتراكه السنوي بمجرد تعرض الجريدة المشارك فيها للتعطيل . والسبب الثاني ، استمرار العمل الصحفي والترويج للآراء والمبادىء المختطة ضمن سياسة الجريدة المعوض عنها بجريدة اخرى كما حصل لمعوضي البلاد من الصحف : الشعب والجهاد ونداء الشعب والسياسة والزمان والاخبار والاخاء الوطني . ففي فترة لم تتعد ثلاث سنوات تعرضت كل الصحف المذكورة للتعطيل ، وكانت الجريدة الاخرى التي تعقب الاولى تعوض مشاركي المعطلة وهكذا . »

أن أثر الصحف المذكورة آنفاً يتضح في :

اولاً : لعبت دوراً بارزاً في تعميق الوعي السياسي الوطني والقومي للشعب العراقي ، وافهام السلطة انذاك بأن للصحافة رسالة مقدسة يحتضنها الجمهور ويدافع عنها . فكلما تعرضت جريدة ما اختطت لها سياسة وطنية معارضة الى التعطيل ، سارع القراء لاحتضان الجريدة الاخرى . فكان عدد الصحف المباعة تفوق أعداد صحف عديدة مجتمعة ، خاصة تلك الجرائد السائرة بركاب السلطة . فأختطت صحف الاخاء سياسة وطنية جعلت من الصحافة (كمرحلة) منبراً وطنياً حراً تقارع عليه الرجال المخلصون مع الحكومة والصحف المؤيدة لها ومع رجالات السياسة في البرلمان المؤيدين للسياسة البريطانية آنذاك .

ثانياً : رفعت تلك الصحف من مستوى الصحافة العراقية شكلاً ومضموناً

وميزت تلك الفترة بصحافة « رأي » قبل الخبر .

ثالثاً : استطاعت أن تشرك كبار الادباء والكتاب والساسة في تحريرها والمساهمة في المعارك الوطنية .

رابعاً : فضحت قانون المطبوعات لتعرضها للتعطيل الاداري (المزمن) وكشف سخف وبطلان مواده التعسفية وذلك لكثرة المحاكمات التي تعرض لها الصحفيون والمـــدراء المسؤولون للصحف وسجنهم وتغريمهم ، فعمقت مفهوم « حريه الصحافة » واهميتها للرأى العام .

خامسا: اوجـــدت مكاناً لائقاً (للصحف) في صفوف الوطنيين وحملتهم مسؤولية كبرى اذ جعلت من نفسها (المحامي) في سوح المعـارك القومية والوطنية .

فهل ادت الصحف التي استلمت الرسالة من مؤسسيهـا الاوائل هذه الامانة ؟

صحافتنا بين المعاهدة والانقلاب

قال ملتون : « **حيث توجد الحرية . . فهناك وطن .** »

ولهذه الحكمة الخالدة مضامين . . فهي تعبير صادق لمدلول الحرية في مفهومها الصارم . وهي قاعدة نشأت عليها مقومات الحياة الكريمة التي يتعشق ان يحياها كل انسان حر شريف . ومتى ماوجدت هذه الحرية في وطن مستقل . . لأن الحرية لا تنبع في ارض الا بعد ان تكون هذه الارض متحررة ملك اصحابها ، وجدت مقومات الحياة الشريفة . والصحافة من أهم موارد الحياة ، بل هي شريان الحياة النابض ، متى ما تقطع ، تقطعت معه سبل الحياة . . حياة الامة .

يقول « فولتير » في مقدمة كتابه عن الحياة البرلمانية : ان الحقيقة لاتبدو ناصعة الا في ظلال الحرية التامة ، وبعيداً عن المؤثرات التي يتعرض لها الباحث ، لذلك نرى الشعوب تقبل في عصور الاستبداد على الصحف المستقلة الرأي ، وتبعد عن الصحف الحكومية لان مصدر وحيها معروف » .

وتؤكد « مدام دي ستيل » على هذا القول بقولها ان حرية الصحافة لهي الحرية الوحيدة المعلقة عليها سائر الحريات .

فكيف توصلت صحافتنا في تلك الفترة الى حقيقة المفهوم لحرية الصحافة ؟ انها لم تطلب الحرية من قانون المطبوعات العثماني ، بل طبقتها عملياً ودفعت ثمنها غالياً .. تعطيل والغاء امتياز وغرامات ومحاكمات وسجن لخيرة الصحفيين الأحرار . ولم تكتف السلطات الحاكمة آنذاك بكل « مغانمها » بل ذهبت ابعد وشرعت القانون الجديد للمطبوعات المعروف بالقانون رقم ٨٢ لسنة ١٩٣١ والمنشور في الوقائع العراقية بتاريخ ٨ حزيران .

تضمن الباب الأول ، المواد الكلاسيكية في شروط منح الامتياز واصدار الصحف والمجلات . أما الباب الثاني المتعلق بالتعطيل والألغاء فقد كشفت الحكومة المشرعة له عن رجعيتها ومقاومتها للحريات وعلى رأسها حرية الصحافة الملتصقة بحرية العقيدة والرأي ، اذ نصت المادة الثالثة عشرة على :

— لوزير الداخلية ان ينذر صاحب الاجازة اذا نشر في المطبوع :

١ — ما يخل بأمن الدولة الداخلي أو الخارجي .

٢ — ما يسبب النفرة أو الكراهية بين افراد الشعب وطبقاته بصورة تخل في الأمن .

٣ ـ ما يؤثر على العلاقات والصلات الودية بين دولة العراق والدول الاجنبية .

٤ ـ ما يخل بالآداب والاخلاق العامة .

٥ ـ ما يخالف الحقيقة ويضر بالمصلحة العامة ! !

ففيما يتعلق بهذه المادة بالذات ، اصرت السلطة على صياغة بنود مبهمة مطاطية في اعتبار كل ما ينشر في تلك الحدود (ما يخل بأمن الدولة) ، أو يؤثر على الصلات الودية بين العراق واصدقائها ! أو ما يعتبر اثارة الشعور بالكراهية والبغضاء ضد الحكومة القائمة ، كما زخرت اسباب تعطيل الصحف الوطنية والمعارضة الصادرة في تلك الفترات بهذه الحجج والاسباب الواهية .

المادة الثامنة والعشرون من الباب الرابع : ١ ـ كل من نشر بسوء نية اخبارا محرفة أو كاذبة أو أي قانون أو نظام أو ارادة ملكية أو أي مستند بصورة التحريف والتزوير أو بنسبة تلك الاخبار بصورة غير صحيحة الى شخص يعاقب بغرامة لاتزيد عن ٢٠٠ ربية .

٢ ـ واذا كان النشر المذكور قد أخل في الأمن العام فيعاقب بالحبس لمدة لاتزيد عن ثلاث سنين أو بغرامة لاتزيد عن ٣٠٠٠ ربية .

المادة التاسعة والعشرون : ١ ـ كل من نشر في مطبوع اهانة للملك أو الملكة أو ولي العهد أو نائب الملك يعاقب بالحبس لمدة لاتزيد عن ثلاث سنوات او بغرامة لاتزيد عن ٣٠٠٠ ربيه أو بكلتيهما .

المادة الثلاثون : كل من نشر في مطبوع اهانة للجيش أو الحكومة أو احد اعضاء مجلس الامة أو اية محكمة يعاقب بالحبس لمدة لاتزيد عن

الستة أشهر أو بغرامة لاتزيد عن ١٠٠٠ ربية .

المادة الحادية والثلاثون : كل من نشر في المطبوع اهانة لشخص يعاقب بالحبس لمدة لاتزيد عن ثلاثة أشهر أو بغرامة لاتزيد عن ثلثمائة ربية وأما القذف والسب فيعاقب ناشرهما وفق قانون العقوبات .

ثم أصدرت الحكومة قانون تعديل قانون المطبوعات رقم ٨٢ لسنة ١٩٣١ رقم ٥٦ لسنة ١٩٣٢ لتزيد من تحكمها في الصحف ولتشدد من عقوباتها فاضافت مثلا على المادة السادسة : على صاحب الاجازة أن يخبر في مدة لاتقل عن ١٥ يوما من تاريخ صدور المطبوع وزير الداخلية في العاصمة ومتصرف اللواء في الالوية باسماء مكاتبيه ومحرريه ورساميه ومصوريه ومدير الادارة واسماء الاشخاص الذين يقيدون له اشتراكات أو يجمعونها ويجب أن لا يكون المخبر أو المكاتب أو المحرر أو المصور محكوما عليه بجنحة تخل بالشرف أو بجناية وأن لايقل عمر الواحد منهم عن احدى وعشرين سنة !

ويظهر أن دائرة المطبوعات بمساعدة وزير الداخلية تحولت الى « دائرة تحقيقات جنائية » بدلا من مديرية الشرطة العامة في السراي !

المادة السابعة : تضاف الى المادة ١٣ من قانون المذكور الفقرة التالية :

٦ — ما يؤدي الى اثارة الكراهية والبغضاء نحو الدولة أو يمس كرامتها .

لقد قال الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي اثناء ما كان نائبا في المجلس العثماني عن لواء بغداد بعد تشريع قانون المطبوعات العثماني

بالحرف الواحد : « .. لقد اثبت تأريخ الامم انه كلما اشتد تضييق الخناق على اصحاب الاقلام والافكار ، كلما كان الانفجار عظيما وسريعا . وها نحن اليوم نشرع قانونا يرمي الى محاكمة الكتاب والمفكرين قبل محاكمة المجرمين واللصوص . »

فماذا قال نواب الشعب في برلمان الحكومة العراقية المستقلة ! بعد تشريع قانون المطبوعات العراقي (الوطني) ؟ .

لقد قال احد الصحفيين المخضرمين اليوم ، أن احدى صحف تلك الفترة لم تشعر بوجود القانون ولا تعديلاته ، لأنها اعتادت أن لاتخالف بنود القانون ، بل تعارض مشرعيه ! ومن يحمى القانون في هذا البلد ؟ هل هم المشرعون أم الذين ارتبطوا به ؟ .

ولم يكتف حكام العراق المستقل بكل تلك العقوبات ، بل اضافوا للقانون العثماني مادة الغاء الامتياز وبتر الاقلام ، واضافوا تعديلا لتلك المادة تحت باب المادة العاشرة وجاءت بهذه الصورة :

١٧ — اذا عطل المطبوع بموجب المادتين الـ ١٥ والـ ١٦ بقرار من مجلس الوزراء ثم نشر فيه شيء مما هو مذكور في المادة ١٣ بعد انتهاء التعطيل فلمجلس الوزراء أن يلغى الاجازة كما أن له أن يلغي اجازة أي مطبوع صدر داخل مدة التعطيل .

ونحن بدورنا نقول انه بمجرد وجود نص قانوني في قانون المطبوعات يعرض فيه الجريدة الى التعطيل أو الالغاء ، يكون القضاء العراقي ، أو تعتبر الحكومة القائمة في ذلك العهد قد وضعت قيودا ثقيلة بوجه تقدم وتطور الصحافة والتي مانزال نعاني منها الكثير حتى الآن . ومن سيئات مثل هذا القانون هو أن صاحب المطبوع (وأن لم يكن صحفياً ممتهناً)

قد يجبر في مثل هذه الحالات على التخلي عن رفع مستوى الصحافة وذلك بعدم اقدامه على استيراد المكائن الحديثة التي تتطلبها مهنة الصحافة خوفامن تعرض جريدته للتعطيل أو الانذار ، وعدم وجود ضمانات كفيلة بالابقاء على الجريدة ليتسنى له التضحية وليتحلى بالشجاعة الادبية حتى يقدم على توسيع عمله . فمتى ماوجد الصحفي وخاصة صاحب المطبوع ضمانات تكفل له العمل بحرية ، استطاع الصحفي ارساء الاسس الصحيحة التي تقوم عليها الصحافة الحرة النامية . فالغاء الامتياز من القيود الثقيلة التي تكبل حرية الصحافة اولاً ، وتشكل عاملاً هاماً من عوامل ضعف وتأخر الصحافة .

لقد الغى التعديل المادة ١٨ واستعاض عنها بفقرات جديدة منها :

٣ - لايجوز اصدار اي مطبوع يذكر فيه بأنه قائم مقام مطبوع عطل او الغيت اجازته أو هناك ما يستدل منه بأن المطبوع الصادر على هذا الوجه يقوم مقام المطبوع المعطل أو الملغاة اجازته ومن يخالف ذلك يعاقب بغرامة لا تزيد على عشرة دنانير عن كل مرة .

ان هذا التعديل جاء خصيصاً ضد الصحف التي اصدرها رفائيل بطي بدلاً من الصحف المعطلة ، اذ كان يصدر جريدة جديدة تعوض عن مشاركي الجريدة المعطلة كما حدث للبلاد والاخبار والاخاء الوطني وغيرها . فارادت الحكومة ان تضع حداً لمثل هذه الظاهرة التي عرت السلطة في معاداتها للحريات العامة وعلى رأسها حرية الصحافة والفكر .

المادة الرابعة عشرة : تلغى المادة ٣٠ من القانون المذكور ويستعاض عنها بما يلي :-

كل من نشر في مطبوع اهانة بالكتابة او التصوير لهيأة الوزراء او

لاحد مجلس الامة أو أحد أعضائهما أو للجيش أو لاحدى الهيئات الرسمية أو لاحد موظفي الدولة او لقسم منهم بسبب قيامهم بالواجبات المودعة اليهم دون أن يذكر أسم أو أن تخصص مادة معينة سواء اكانت الاهانة المذكورة واقعة بصورة التمويه أو بكيفية تدعـو الى اساءة الظن بهم أو المساس بشرفهم أو بشرف أحدهم يعاقب بالحبس لمدة لا تزيد على ستة أشهر أو بغرامة لا تزيد على ٧٥ ديناراً .

هذه مادة مطاطية تضع السوط بيد السلطة لضرب كل من يرفع صوته بالنقد لاجهزة الدولة . فلمن تكتب اذن الصحف ، وعن من تدافع ؟ وماهي اذن رسالة المهنة هذه ان لم تكن رسالة نقد وبناء وتوجيه ؟

وبعد أقل من سنتين صدر قانون جديد للمطبوعات رقم ٥٧ لسنة ١٩٣٣ وتعديله المرقم ٣٣ لسنة ١٩٣٤ ، لم يختلف في جوهره عن القانون سوى بعض القيود في المخالفات والعقوبات .

لقد صدرت الصحف السياسية التالية في بغداد :

الرافدان لصاحبها عبدالغفور البدري ، صدرت في ١٨ شباط ١٩٣٠ ، وجريدة صديق الشعب لتعوض مشتركي جريدة الرافدان لصاحبها علي محمود صدرت في ١٦ نيسان ١٩٣٠ ، والفرات لصاحبها محمد مهدي الجواهري في ١٧ ايار ١٩٣٠ ، وبريد العراق اصدرتها شركة الطبع والنشر العراقية المحدودة في ١٠ كانون الاول ١٩٣٠ ، وصـدى العهد لصاحبها عبد الرزاق الحصان ، ثم توفيق السمعاني في ٧ آب وكانت تؤيد سياسة حزب العهد لنوري السعيد ، وهدى الاستقلال لعبد الغفور البدري في ١٥ ايلول ١٩٣٠ ، وبغداد لعبد الرحمن البناء في ٢٠ تموز ١٩٣١ ، والأماني القومية لعبد الوهاب محمود ومديرها المسؤول عبد الرزاق شبيب ورئيس تحريرها ابراهيم صالح شكر في ٣٠ تشرين الأول ١٩٣١ ، والجمهور

لكمال الدين داود في ١٩ كانون الأول ١٩٣١ ، والثبات لمحمود رامز في ٣ كانون الاول ١٩٣١ ، والكرخ لملا عبود الكرخي في ١٣ آب ١٩٣١ ، والأهالي لحسين جميل مع لفيف من الشباب الوطني المثقف ، صدرت في ٢ كانون الثاني ١٩٣٢ ، انتقلت ادارتها ومسؤوليتها لعزيز شريف ثم اسماعيل غانم فعبد القادر اسماعيل ، والطريق لتوفيق السمعاني في ٦ آذار ١٩٣٣ وكانت لسان حال حزب العهد لنوري سعيد ، والأحرار للدكتور عبدالجواد في ٨ حزيران ١٩٣٣ ، ويكي عراق باللغة التركية لجليل يعقوب في ٢٥ حزيران ١٩٣٣ ، والعقاب لصاحبها يونس بحري في ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٣ ، وصوت الاهالي لصاحبها ومدير سياستها كامل الجادرجي ، الزعيم الديمقراطي المعروف صدرت في ١٤ آذار ١٩٣٤ تعطلت في ٢١ آيار واستأنفت الصدور في ١٨ نيسان ١٩٣٥ ، تعرضت للتعطيل ايضاً في ١٠ آيار من العام المذكور ثم عاودت الصدور في ٢ اب ١٩٣٦ ، والبيان لحكمت سليمان في ١٢ كانون الاول ١٩٣٤ والمبدأ لصاحبها جعفر ابوالتمن في ١٣ كانون الثاني ١٩٣٥ .

اما الصحف البغدادية غير السياسية فهي :

الحوادث لصاحبها أحمد جمال الدين صدرت في ٧ آذار ١٩٣٠ ، والرصافة لكمال نصرت في ٢ حزيران ١٩٣٠ ، والعامل لعبدالمجيد حسن في ٨ أيلول ١٩٣٠ ، والتعاون لمكي الاشتري في ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٠ ، والتجدد لمحمود الملاح في ٢٤ تموز ١٩٣٠ ، والوميض لصاحبها لطفي بكر صدقي في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٣٠ ، والمعول لمصطفى علي في ٣٠ ايلول ١٩٣٠ صدر عدد واحد منها وصودر لأن عالما دينياً قال للسلطة آنذاك انها تحوي قصيدة للرصافي ضد الدين ، ونداء العمال لعباس حسين الجلبي ومديرها المسؤول توفيق الفكيكي في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٠ ، وهدى التعاون لراجي العسكري في ١٩ كانون الاول ١٩٣٠ ، والناس لعبدالقادر

السياب في ٣ كانون الثاني ١٩٣١ ، والرياض لمحمد الجزائري وتوفيق الفكيكي في ٢٣ شباط ١٩٣١ . وهناك أربع صحف أصدرتها جمعية الهدايا الاسلامية هي صدى الاسلام في ٢٠ كانون الاول ١٩٣٠ وتنوير الافكار والاعتصام والصراط المستقيم . ثم صدرت جريدة المزمار لصاحبها أحمد عزت محمد أصدرها الملا عبود الكرخي في ٦ آب ١٩٣١ تحولت الى سياسية في ٢٣ تموز ١٩٣٣ ، وحبزبوز لنوري ثابت في ٢٩ أيلول ١٩٣١ ، وجزيرة العرب لداود العجيل في ١٢ كانون الاول ١٩٣١ ، والسعادة لمحمد على الكاظمي في ٢٧ شباط ١٩٣٢ ، والممثل لمحمد القطيفي في ٢٧ شباط ١٩٣٢ ، وبهلول لمحمد حسن صبري في ٨ آيار ١٩٣٢ ، والكرخي للملاعبود الكرخي في ٢ تموز ١٩٣٢ ، والملا ايضاً في ٣٠ أيلول ١٩٣٣ ، وأبو حمد لعبد القادر المميز في ١٩ تشرين الاول ١٩٣٣ .

وهذه الصحف الاخيرة كانت البذرة الاولى لصحافة الهزل والنقد في تلك الظروف العصيبة التي مر بها العراق ، الا أن هزلها ونقدها كان سياسياً يعتبر فريداً بالنسبة للصحافة العربية ، وسنأتي على ذكرها في مجال آخر بعد تدوين اسماء صحف الالوية ومجلات العراق للفترة المذكورة اعلاه .

صدرت في البصرة جريدة الأيام سياسية يومية لصاحبها عبد الرزاق الناصري ظهر عددها الاول في ٤ كانون الثاني ١٩٣٠ ، وجريدة العمال في الموصل لصاحبها سعد الدين زيادة في ٥ أيلول ١٩٣١ ، وجريدة الراعي لجعفر الخليلي في النجف عام ١٩٣٢ ، والثغر في البصرة لصاحبها شاكر النعمة في ١٢ آذار ١٩٣٣ والفجر الصادق غير السياسية في النجف الاشرف لصاحبها جعفر الخليلي في ٧ آذار ١٩٣٠ ، والكحلاء في العمارة لصاحبها أحمد فائق في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٢ ، والهاتف في النجف الاشرف لجعفر الخليلي في ٣ آيار عام ١٩٣٥ ، وحمورابي في الحلة لصاحبها عبدالحميد حسن في ٢٧ حزيران ١٩٣٥ .

أما عدد المجلات التي صدرت في بغـــداد في الفترة الواقعـة بين ١٩٣٠ ــ ١٩٣٥ فهي ١١ مجلة :

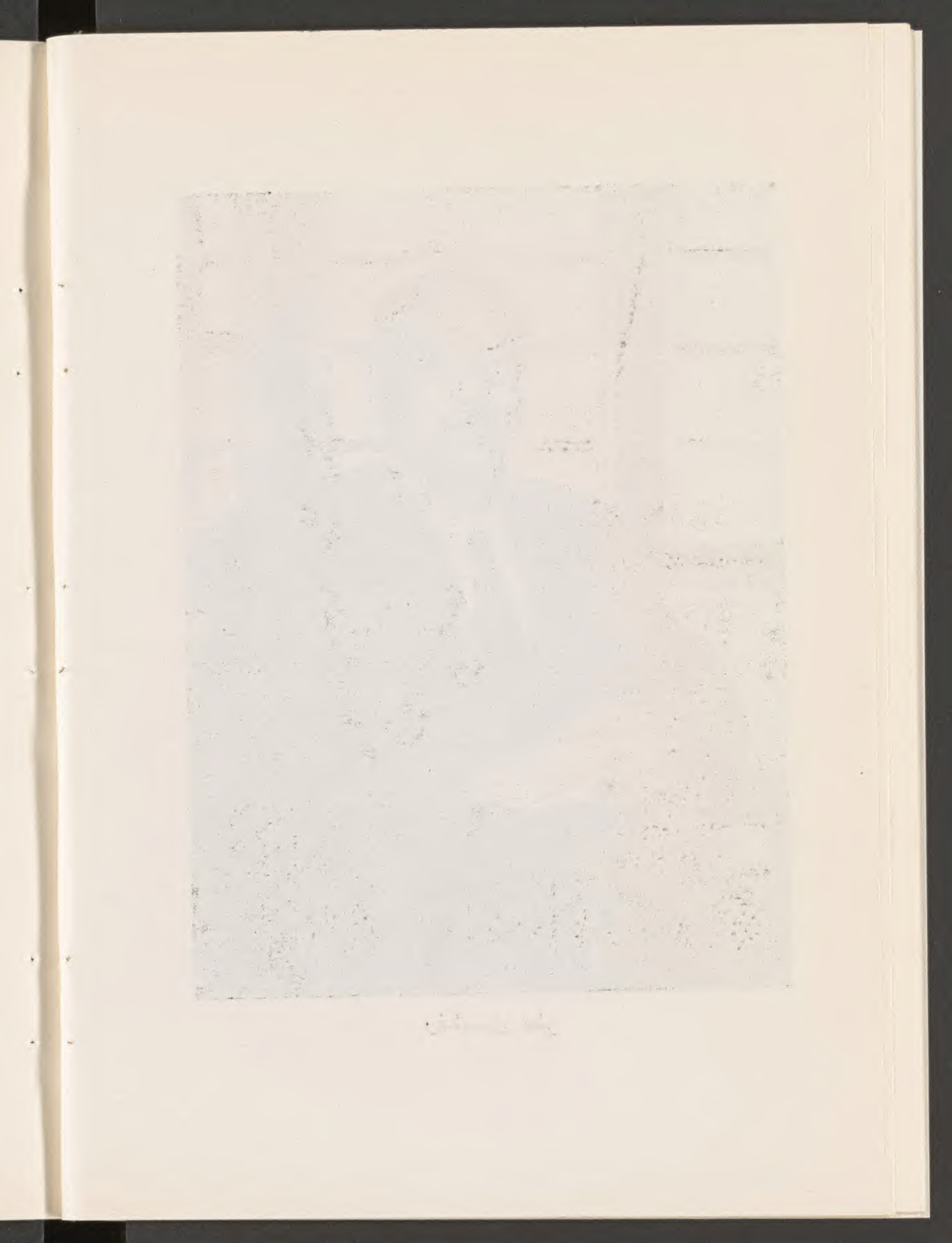
مجلة الرصافة لصاحبها كمال الدين نصـرت ومـديرها المسؤول فائق السامرائي صدرت في ٢٤ كانون الثاني ١٩٣٠ ، والمؤرخ لرزوق عيسى في كانون الثاني ١٩٣٢ . والطلبة لعباس فضلي خماس في الاول من كانون الثاني ١٩٣٢ ، والاقتصاد اصدرتها جمعية تشجيع المنتوجات الوطنية ويديـــرها مهدي حيدر صدرت في ٢٤ نيسان ١٩٣٣ ، والسائح لعبد الهادي الجواهري في ٧ آذار من العام نفسه ، والقضاء لجميل الاورفهلي في نيسان ١٩٣٢ ولم تدم اكثر من اربعة أشهر ، والقسطاس لعبد الأحد اليامودي في ٧ تشرين الثاني ١٩٣٣ ، والميثاق لعبد الرزاق التميمي في ٢٨ كانون الاول من العام نفسه ، والاتحاد لجمال الدين الجميل في ١٧ كانون الاول ١٩٣٣ ، والديوان لمحمد رضا شرف الدين ومديرها المسؤول عبد الرسول الخالصي في الاول من كانون الاول ١٩٣٥ لعدد واحد فقط .

اما في الالوية فقد صدرت مجلة الاعتدال في النجف الاشرف لصاحبها احمد جمال الدين في شباط ١٩٣٢ ، والمصباح في النجف ايضا اصاحبها محمد رضا الحساني في ١٠ تشرين الاول ١٩٣٤ ، والصبح لصاحبها نهاد الزهاوي في بغداد صدرت في ٢١ آذار ١٩٣٦ ، الغت الحكومة امتيازها بعد اسابيع قليلة لنشرها قصيدة سياسية لابراهيم ادهم الزهاوي حمل فيها على ملوك المسلمين الذين لم يؤازروا فلسطين في ثورتها آنذاك ، واعتبرتها الحكومة قد خرجت عن خطتها الأدبية .

صحافة الهزل والفكاهة



رفائيـــل بطي



يعتبر ميخائيل تيسي اول كاتب هزلي طرق ابواب الصحافة العراقية في العشرينات حيث كان يكتب في النقد الهزلي في بعض الصحف العراقية آنذاك كجريده الرافدان ودجلة بتوقيع كناس الشوارع ، حتى اصدر مجلته الاولى بأسم (كناس الشوارع) في الاول من نيسان عام ١٩٢٥ .

ذكر رفائيل بطي في كتابه « الصحافة في العراق » المحاورة التي جرت بينه وبين ميخائيل تيسي حول تسميته كناس الشوارع لقلمه ومجلته فقال : « اردت أن اختار شخصية آدمية كثيرة التجوال في شرايين المدينة وقلبهـا دوارة تقترب من الأبواب ، وتدخل البيوت ، بيوت الفقراء وقصور الأغنياء ، فلم اجد خيرا من (كناس الشـوارع) . ثم وددت واني اعتزم الانتقاد

والحملة على العادات والنواقص في الناس والمجتمع ، أن اختار أسماء يوافقه حمل سلاح للتهويش والضرب ، ولسميى مكنسة مشهرة دائما ، يحملها على كتفه ويكنس بها وينظف . وقد يستخدمها للضرب والدفاع عن النفس عند الحاجة . »

قال في العدد الاول من مجلته :

« خطتي معلومة واضحة كالشمس في خامسة الليل ، أحمل مكنستي واخذ اتجول في الطرق والأزقة فحيثما رأيت أحدا يأتي أمرا مخالفا للذوق والشم والنظام والقانون والكمنجة ضربته بمكنسة كافرة على رأسه فان انكسرت المكنسة راحت من كيسي وان انكسر رأسه راح من كيسه . » .

وفي اثناء زيارة الاديب اللبناني امين الريحاني بغداد نشر تيسي (قصيدة) على منوال قصائد الريحاني في تغزله ببغداد قال فيها :

زينة البلدان عجائب الزمان
عدوة الشيوخ عشيقة الصبيان
عجائب خرائب غرائب مصائب
انواع واشكال ارناك والوان
مزابل واوساخ واقذار واوحال
مبعثرة مكدسة مكومة في كل مكان
منازل وبيوت بالهواء واقفات
جدران مهدمة وحيطان مهشمات
بعضها داخلات وبعضها طالعات
متداعيات فمايلات برحمة الله واقفات .

وفي تعريضه بالانتخابات النيابية قال يوماً :

أجناس وأشكال للترشيح يتقدمون
الطابوق نائمون والشكنك قائمون

كل شيء بالكوة والعفترة يريدون
.. وزانها وضاع حساب الحاسبون .

تعرض كناس الشوارع للاغتيال على أثـــر اطلاق الرصاص عليه من قبل مجهول الهوية . فترك الصحافة لفترة ، ثم عاد وأصدر مع حسين الرحال جريدة (سينما الحياة) في ١٧ كانون الاول ١٩٢٦ لم تعمر طويلاً . ثم عاد بعد فترة طويلة للصحافة حين أصـدر جريدة (الناقد) في ٦ آيار ١٩٣٦ لتأخذ صـورة جديدة بجانب النقد الهزلي . ولكنه سرعان مـاسئم حياة الصحافة وأعتزم التوظيف حيث اوقف جريدته في ٢٦ شباط ١٩٣٩ .

ومن كلماته ومقالاته أيضاً :

... كنت قبلاً اذا شكوت ألما في رأسي اورجلي اوبطني اومصاريني استضحكوا ضحكة الهزاء وقالوا « هذا وسواس » . أقـول لهم أن رأسي يتفتت ألما فيستضحكون ويقولون : « هذا وسواس » اقول لهم أن في بطني مغصاً لايطاق فيقولون « هذا وسواس » واصرخ شاكياً من معتدي فيقولون « هذا وسواس » واصرخ من معدتي فيقولون « هذا وسواس » ! ، اتلوى من ألم في معلاقي الاسود فيقولون أيضاً ودائماً « هذا وسواس » وقد حـاولت مراراً أن أكتم الامي واكف عن الشكوى فلم اطق .

على أني أحمد الله على أن زمن الوسواس قد انقضى الآن وبات « موضة عتيقة » فقلت لعل المدينة الجديدة تريحني من هذه الكلمة الممقوتة ولم اكن أدري أن لكل « دور موضة » كما أن لكل زمان دولة ورجال . نعم انقرضت كلمة الوسواس غير مأسوف عليها ولكنها لم تنقرض الا لتفسـح المجال للفظة اخرى لا تقل عنها سماجة .

في البيوت الآن نغمة جديدة ذائعة بصورة مهولة ترددها الالسنة في

كل مناسبة وبلا مناسبة ، نغمة مكروهة انتشرت على السنة العجائز والصبايا والجميع انتشاراً هائلاً فغمرت بلطف وجه كل من تسول له نفسه لشكوى . وهذه النغمة بل اعنى هذا الكابوس هو كابوس [العصب] . »

ومن الكتاب الهزليين نوري ثابت المعروف « بحبزبوز » ، حيث بدأ حياته الصحفية في الكتابة بجريدة الكرخ لصاحبها الشاعر ملا عبود الكرخي بأسم مستعار (خجه خان) . ثم كتب في جريده البلاد تحت اسم (أ . حبزبز) مقالات اجتماعية انتقادية بأسلوب نادر تعرض على اثرها للفصل من وظيفته . فاصدر في ٢٩ ايلول ١٩٣١ جريدة « حبزبوز » وقد كتب في عددها الاول :

« من (أ . حبزبوز) الى الشعب العراقي الكريم :

الحمد لله والصلاة على خير خلقة وبعد يعلم القـراء انني اكاتب الصحف العراقية منذ بضع سنوات بأسماء مستعارة مختلفة فكان للاخير منها اسم (أ . حبزبز) ومن بعد أن ضايقتني الجهات المعلومة — وهي محقة بذلك — تقلص هذا الاسم فصار [أ . حبزبوز] وهو الذي على مـا اعلم قضى على حياتي في الوظيفة ومن أجل ذالك اتخذته عنوانا لصحيفتى هذه وكنت منذ زمن بعيد أشعر بالرغبة عن حياة التوظف راغبا في الصحافة ولا سيما الفكاهية منها . . والحمد لله على الخاتمة .

خطتي :

أن هذه الصحيفة فكاهية أدبية فنية بحتة [على طول !] لاعلاقة لها [توبة استغفر الله العظيم . . !] بالسياسة والاحزاب مطلقا .

تختلف الظنون على مبدأي وتحوم الشكوك حول نزعتي ! لذا وددت أن أزيح الستار وأقدم نفسي [بريزنته] الى القراء .

يراني البعض كثير الاتصال باشخاص الوزارة الحاليين معجبا برئيسهم الشاب النبيل فيظنني [عهدي] وفي الحقيقة أني اقسم لكم بقضبان الحديد في [البالكون المعهود] على انني لست ذاك .

ويراني البعض اكتب في جريدة الآخاء الوطني [البلاد] وشديد الاعجاب بادمغة الآخائيين فيظنني [أخائي] وانا أقسم لكم بالبيت [الهاشمي] الرفيع وبتربة [الكيلاني] المقدسة وبكل [جادر] ينصب في ايام الزيارات على انني لست هذا .

ويذهب البعض مذهبا آخر فيظنني [تقدمي] لصلة قرابة تجمعني مع بعض رجال هذا الحزب فأنا اقسم لكم (بالمنسماية مال خضر الياس) وأقسم لكم بمسبحة معالي القصاب على انني لست كذلك .. « اذا لم يبق الا شيء واحد وهو انني لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء أي بلا حزب يعني (حزب سز) وهنا أقسم لكم — وهو القسم الأخير بحياة الشيخ — على انني لست كذلك .

اذا من أنا وما هي نزعتي ... ؟!

انا حبزبوز .. وحبزبوز فقط .. خادم الجميع وساع وراء تحسين صحيفتي التي ستكون فكاهيه فنية فقط لعلي اصل بها حد الصحف المصرية والسورية مثل (الفكاهة) و (الكشكول) و (الدبول) و (المضحك المبكي) .. الخ .

وعلى الله وحده اتكالي وهو خير معين ونصير . »

واعتبرت (حبزبوز) قمة الصحافة الفنية الهزلية الانتقادية ، لم تدم طويلاً اذ اختفت على أثر وفاة صاحبها عام ١٩٣٨ .

ومن كتابات نوري ثابت الجادة في الصحافة « الرسالة من والد الى ولده » قال فيها :

بني :

ستدخل معركة الحياة في القريب العاجل ، فرأيت من واجب الابوة أن اجهزك واسلمك بما يقيك شر صدماتها العنيفة ..

وسأبدأ لك بتمشيط « تواليت » بسيط في اقوالك وافكارك .

يقال : أن الطريق المؤدية الى العقل هي واحدة . وهذه القضية — على ما أظن — معكوسة اذ أن العقل هو الذي ينوع الحقائق ويعكس لكل شيء بألف شكل (كمادة لها عدة وجوه) .

أن طرز التفكير يساوي عدد الماس على وجه البسيطة : أو ما ترى أن بيتاً واحداً من شعر المعري يرى حجة قاطعة صادق عليها المجلس الشرعي في نظر اتباع هذا الشاعر ؟ .

اليس سرعة السيارات والطيارات سوى ضرب من الجنون في رأي الذين يتذوقون من السفر على عجلات الثيران ؟ لان هؤلاء يعتقدون بأن قصب السبق تحرزه السلحفاة لا « الارنب » ..

.. اسع من جهة الى تحصيل فعالية عظيمة .

واجتهد من جهة اخرى في الكلام السلس . أن حركات الشفاه في هذا العصر اهم من مساعي الدماغ . لابأس في أن تفكر خطأ اذا كان في الامكان صوغ هذا الخطأ بعبارات منمقة ..

أن فكر البعض ضيق وكلامه طويل : هؤلاء هم الذين يبرزون

في عالم السياسة غالبا يدخل الكلام إلى المحافل السياسية قبل دخول العقل . . ولو لم يكن كذلك لنقص جمال المظاهرات . .

« . . اوصيك بقلة الكلام بقلة السمع ! فذلك مما يوافق حفظ الصحة والاقتصاد والبصيرة معا . اني احب الايجاز جدا للساني ولاذني ، لأن المنشأ الوحيد لاكثر البلايا هو الكلام .

آه ! لو تعلم يابني ؟

لو لم نكن قد خلقنا على هيئة [حيوان ناطق] لما سجل التاريخ كل هذه البلايا وسيسجل طبعا !

اوصيك بالتعلثم مرارا قبل التفوه بالكلام ، وأوكد لك بأنك ستضطر إلى السكوت غالبا . . وعلى كل اود أن انصحك في اسرار الكلام طالما لست [بأخرس] .

ليس في وسعك النطق بالصدق على علاته وكثيرا ما يجب عليه أن تمر بحواشي الحقيقة . .

أن وصية الحكماء بالسكوت لاتخلو من حكمة ! لأنه من الصعب القاء الحقيقة على علاتها دون أن تسيء إلى مخاطبك » .

ومن كتاباته ايضا تحت عنوان « نعمة الله » يقول :

« لم اسمع في بلاد الله بلدة تهمل « الراحة » العامة وتفديها « للراحة الخاصة » كبلدتنا هذه : بغداد هذه شوارعنا وهذه ازقتنا فما ترون فيها ؟ ترون اكوام التراب والحجارة — وقد كومتا هنا وهناك من الدور التي تبني أو تهدم — تعرقل السير في الأزقة فاذا طالبنا بحقنا « الراحة العامة » وقلنا ياناس كوموا هذه الحجارة والتراب في افنية الدور

نفسها قالوا : ذلك يؤذي جناب البيك ! وتنزعج منـــه حضرة الخانم !

عجيب والله هذا المنطق !

– يابه ! الحوش ! حوش جناب البيك ! والتعمير لحضرة الخانم ، لكن اني وامثالي ليش متعذبين ؟

الموسم شتاء والسطوح في حاجة الى رشق بالطين الأحمر ، لهـــذا نجد اكوام الطين تعجن هنا وهناك ثم لاتجـــد صـاحب انصاف يقول لهؤلاء المغفلين :

– يابه ! ايرحم والديكم ! اعجنوا هذا الطين بالحوش وخلصونا من هل الرحمة ومن الغرق في الطين لان السطح سطحكم موسطحنا ! هـذه هي الحالة في بغداد ومدينة الخلفاء ، خلفاء ذلك الشارع الاعظم « صلعم » الذي كان من جوامع كله رفع الاذى عن الطريق .

« قبل ثلاث ليالي بينما كنت راجعا الى داري اذ وجدت أن الفسحة الصغيرة المجاورة لجامع علي افندي قد فرشت ببساط احمر اصفر من الطين اللاذب الاحمر ، ومن التبن الذهبي الاصفر . فقلت في نفسي « انا لله وانا . . . » ثم وقفت في زاوية من زوايا الزقاق ارسم الخطة التي اسير عليها فأنجو من طمسة رذيلة كالاولى واذا بأحد الافندية قادم ، فوقف كما وقفت وما لبث أن التفت يمنة ويسرة فلم ير احـــدا لانني تواريت عن يمينه في الظلام . فتقـــدم نحـــو الطين واخـــذ يقضي « الحدث الاكبر » وقوفـا . . وبينما شرع في الأمـــر اذ صوت العس « البصوان » يدوي :

– يابه افندي ! افندي شد تسوي ؟

– دابول على الطين وانت شنو ؟

– شلون تبول على الطين ، مو هذا نعمة الله !

– عجايب ، ولك الطين اشلون يصير نعمة الله ؟

والله يابه هم زين دناكل خبز ! الطين مو نعمة الله بس ابونا آدم منين اختلق ؟

واذا سمعت هذا الكلام استلقيت على قفاي ضاحكا وفطنت للسبب الذي يحمل (امين العاصمة) على عدم الاكتراث برفع الطين من الطريق لانه من نعم الله تعالى علينا كما يقول « البصوان » !

وبالأخير : قفة من هذه النعمة الفضيلة على رأسي اذا اعارت امانة العاصمة كلمتي هذه اذنا صاغية . »

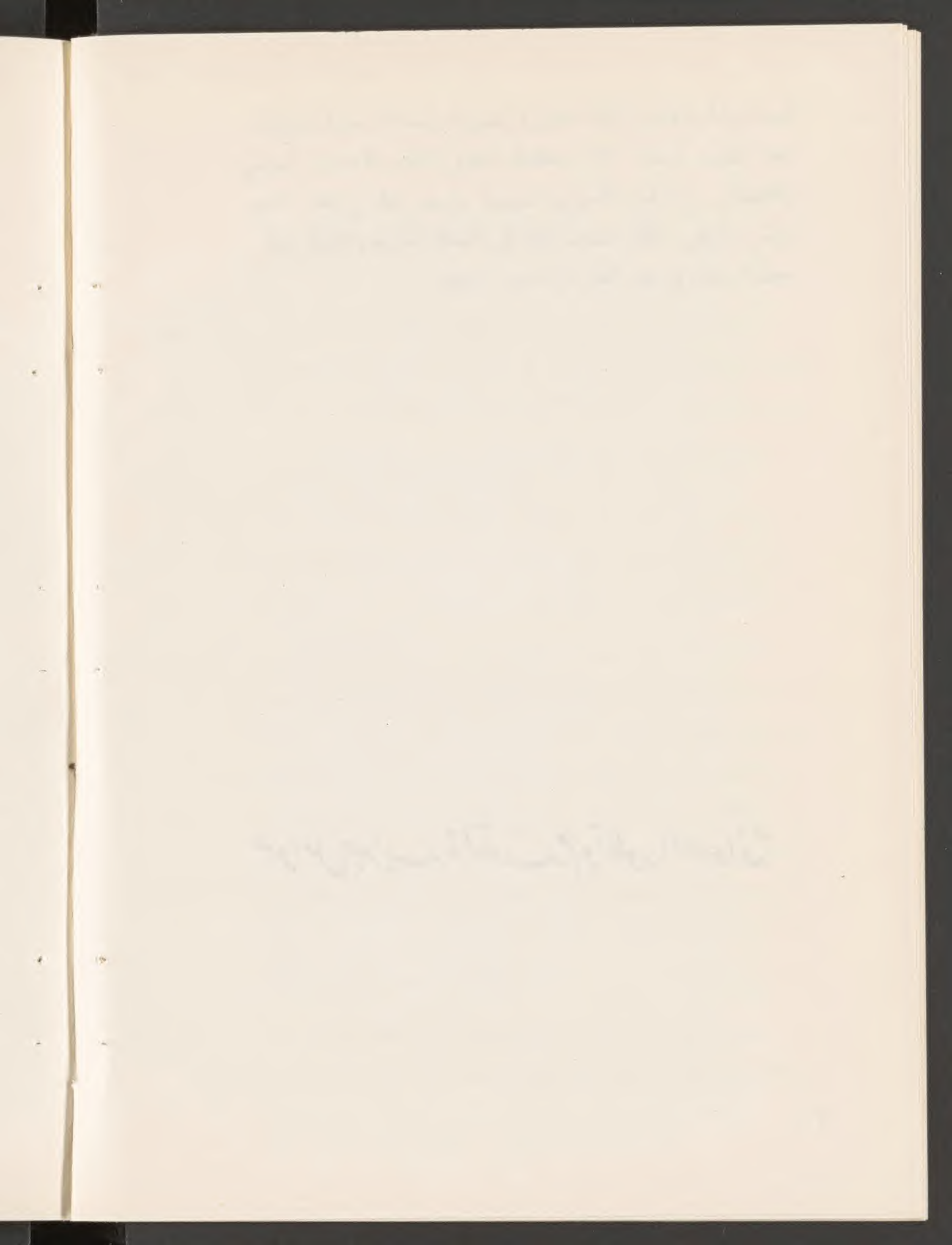
ومن الصحف التي اتسمت بطابع الهزل والفكاهة ايضا جريدة (الكرخ) باللغة العامية لصاحبها عبود الكرخي ، صدر عددها الاول في ١٠ كانون الثاني ١٩٢٧ .

أن هذا اللون من الصحافة لم يكن مألوفاً في الصحافة العربية بالصورة التي جاءت بها صحافة العراق سوى بعض الانتقادات السياسية الهزلية التي درج عليها صحفيو لبنان في بعض المجلات الاسبوعية العامة . ثم اتخذت الصحافة العربية طابعا جديدا حديثا هو فن (الكاريكاتور) السياسي التصويري . وقد نبغ من العراقيين فيما بعد وأبدع في التجديد لصحافة الهزل والنقد ما عرف عن عبد القادر المميز الذي أصدر جريدة [أبو حمد] على غرار جريدة [أ . حبزبوز] ، وكان يسجل فيها [النكتة] والطرائف التي اشتهر بها في مجالسه الخاصة .

الا أن الاقبال على هذا اللون من الصحافة كان ضعيفا جدا نظرا لصدور تلك الصحف في الفترات الحالكة التي مر بها العراق المتطلع

شعبه نحو الحرية والديمقراطية والذي كان يقاوم السياسة الاستعمارية البريطانية ، خاصة مقاومته لمعاهدة ١٩٣٠ وتطلعاته لتحقيق الرخاء والاستقرار السياسي والاقتصادي ، وما لعبته الاحزاب السياسية من دور فعال في ايقاظ الشعور القومي والوطني . فكان الشعب يلجأ الى الصحافة الحزبية والوطنية دوماً ، كما ذكرنا في مجال آخر من الفصل السابق .

عوامل جديدة لتقدم وتطور الصحافة



لقد مرت الصحافة العراقية بأدوار عديدة منذ فترة الكفاح من أجل الاستقلال قبل الحرب العالمية الاولى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، تأثرت خلالها بعوامل سياسية اتينا عليها فيما سبق .

وطيلة مدة نشوء الصحافة وتطورها ، وبالرغم من المستوى الفكري والفني البعيد عن المفهوم العلمي لشكل الصحافة الحديثة ، فأن صحافتنا العراقية تفخر بكونها قد وضعت أسساً صحيحة لما تكون عليه صحافة البلاد السياسية ، واستطاعت أن تدخر لنفسها بما زخرت به من المقالات والتحليلات ، ولكونها واكبت الفترات الزمنية لكفاح الشعب العراقي ، استطاعت أن تدخر [تأريخا] حافلا لحياة الأمة العراقية بجانب تأريخها الضمني لصحافـــة

نامية قابلة للتطور . وكل باحث أو مؤرخ يدون وقائع تاريخ الصحافة العراقية لابد وأن يعترف بالمستوى الفكري المتقدم الذي وصلت اليه صحافتنا ، وهو مستوى لم تتوصل اليه أية صحافة عربية ،لان صحافتنا كانت تنبع من الواقع المادي لحياة الأمة والشعب في بدء تطورها .

وفي مجال تدوين تاريخ الصحافة لابد أن نذكر بفخر اوائل المؤسسين الصحفيين الذين اختطوا السبل الأولى لرسالتها بكفاحهم وتضحياتهم ، ومادفعوه من الثمن الغالي ، عرقا وسجنا وتنكيلا .

المؤسسون لصحافة الرأي

نستطيع أن نعتبر المقال ومقوماته ، منه السياسي والادبي والفكري وما يختص بالنقد ، هو الطابع الرئيسي لشكل ومضمون الصحافة العراقية منذ نشأتها حتى اواخر الاربعينات . وأول من ادخل فن المقال هو السيد محمد عبد الحسين ابان الثورة العراقية لعام ١٩٢٠ . ومن ثم تعاقب الكتاب والادباء وخاصة كتاب المقالات الموضوعية من رجال الاحزاب السياسة التي جعلت الصحافة العراقية تتسم بطابعها فترة طويلة جدا .

ومن اوائل المؤسسين للصحافة وكتاب مقالاتها الافذاذ باقر الشبيبي والكرملي وعلي محمود وعلي الشرقي وكان ابرز ناقد سياسي ساخر وصحفى ناجح في تلك الفترة التي اعقبت معاهدة ١٩٣٠ وهو ابراهيم صالح شكر ، كما كان فهمي المدرس من اصلب المفكرين الذين غزوا الصحافة واغناها بمقالاته التوجيهية خاصة السياسية ، ومعه رفائيل بطي الذي اعتبر اول من أسس صحافة الرأي والخبر وساهم في تطويرها بالشكل الذي جاءت به بعد اعقاب أصداره « البلاد » كجريدة بالحجم الكبير وبست صفحات .

أن ابراهيم صالح شكر ، صحفي جريء ، وكاتب مرموق ، واول ناقد سياسي استطاع أن يجعل من جريدته [الزمان] اول جريدة سياسية انتقادية شعبية وذلك بما دبجه من المقالات التي انتقد فيها بجرأة الاوضاع السياسية البالية آنذاك ، وتناول فيها الحكومات ورؤساء الوزارات المتعاقبين بأسلوب قوي لاذع . لم يتلون أو يتقلب لايمانه بقضية الشعب وعزة النفس التي كان يتحلى بها . ولهذا السبب عاش فقيرا ومات فقيرا واهله يشكون الفقر والخصاصة .

ومن اروع ما كتبه الكاتب المذكور كتاب استقالته الذي قدمه الى متصرف لواء بغداد في كانون الثاني عام ١٩٣١ والذي لم يستطع نشره في الصحف العراقية ، بل نشره في جريدة النداء البيروتية لصاحبها كاظم الصلح في عددها المرقم ١٥٨ في ٣١ كانون الثاني ، جاء فيه :

« . . . هذه العصامية المؤمنة المطمئنة ما زالت ولن تزال تغني انشودة المجد ، في احرج المواقف الخطرة . وتنشد لحن الكرامة ، في اخطر الظروف الصعبة ، فاذا عبس الحظ وتكدر العيش ، وتجهمت الحياة ، راحت باسمة الوجه ، هادئة الضمير ، مطمئنة النفس ، فمهمتها في الحياة مقارعه الصعاب ، ومنازلة الكوارث والعمل ما يرضى امجاد البلاد وضمير الواجب الوطني . »

« . . . تلك عصامية انعم الله بها علي . فاذا حدثت عنها فبنعمة الله أحدث . فنحن انما نعيش في بلد يتطلب الافصاح من خدمته يكتون ويضمرون بعد ان اصبح الخائن يتبجح بخيانته . وراح الآثم يفاخر بآثامه وبدت الرذيلة سافرة متبرجة ، اذن فالغياري مغدورون اذا حدثوا بما افاء الله عليهم من نعم وافرة وكرامة سابغة . »

« وقد الفت العيش الشريف في الصحافة الشريفة ولكن حكومة (الوضع الشاذ) عطلت الجريدة « الناشئة » منذ سبع سنين ولما تزل معطلة ، ثم عطلت جريدة « الزمان » سنتين اثنتين كاملتين ، ثم عطلت « المستقبل » و « التجدد » ثم علمت انها واقفة بالمرصاد لاية صحيفة أصدرها ما لم اجنح الى مهادنة السياسة الاستعمارية الغاشمة ، او السكوت عن مطاياها من المحسوبين على هذه الديار ، وهم الد الخصوم . »

« . . . وهذا نوري السعيد الوزير الدائم في الوزارة المتتالية ، ورئيس الوزارة الآن ، كان يلوح لي (بالنيابة) اذا هادنت وزارته ، فكنت الوح له بها عن طريق الشعب اذا جاءت . »

اما فهمي المدرس ، فقد كتب مقالا في السياسة العراقية في جريدة « الزمان » يوم ٢٦ تشرين الاول ١٩٣٠ ، اعتبرت اقوى ماكتب ، وتعرض رئيس تحريرها رفائيل بطي للسجن ستة أشـــهر بعنوان « الاستفتاء ومصيره » جاء فيه :

« ... ولما افترست كرامات الذين صرحوا بآرائهم ضد المعاهدة امسك غيرهم من اصحاب العقيدة الراسخة عن البيان صيانة لاعراضهم من اعتداء لايسأل صاحبه ولا يلام . واحتفظوا بالوثائق حتى يأتي يـــوم الحساب ولربما كان مصير هذه المعاهدة كمصير المعاهدة التي تعهد بها « احمد شاه » والتي كان الفوز بها للسير برسي كوكس بعـــد جهود عظيمة وآل الأمر الى رفضها واستقلال ايران بالمعنى الصحيح على عهد صاحب الجلالة رضا شاه بهلوي . »

« ... ومهما كان الأمر فانا نرى هنالك دافعا قويا لكم الافـــواه ومنع الاجتماعات وسجن الابرياء واغلاق الصحف المعارضة والغضب والتزام الشدة والتهديد .

« ولاندري كيف تصح المفاوضة مع اعظم دولة في العالم وهي محتلة هذه البلاد وقابضة عليها بيد من فولاذ والمفاوض العراقي ضعيف لم يستند الى اكثرية برلمانية ولم يفسح في المجال للرأي العام واختير اكثر المنتخبين الثانويين من بين موظفي الحكومة ويريد بعد هذا وذاك أن يعرض معاهدة خطيرة لا امد لها على جماعة تعاهد معهم على الابرام كما شاع واذا ماشك في واحد غير وبدل ، وأن التصرف في قوائم النواب مستمر على عـــدد الدقائق والساعات وان نقل وزير الداخلية الى وزارة المالية وحادثة الوزراء الثلاثة بعده لاسبب لها سوى الخلاف من هذه الوجهة على مايقال .

أما وان الوضع الحاضر يتطلب التظافر والتعاون فالاحرى ان ننسى

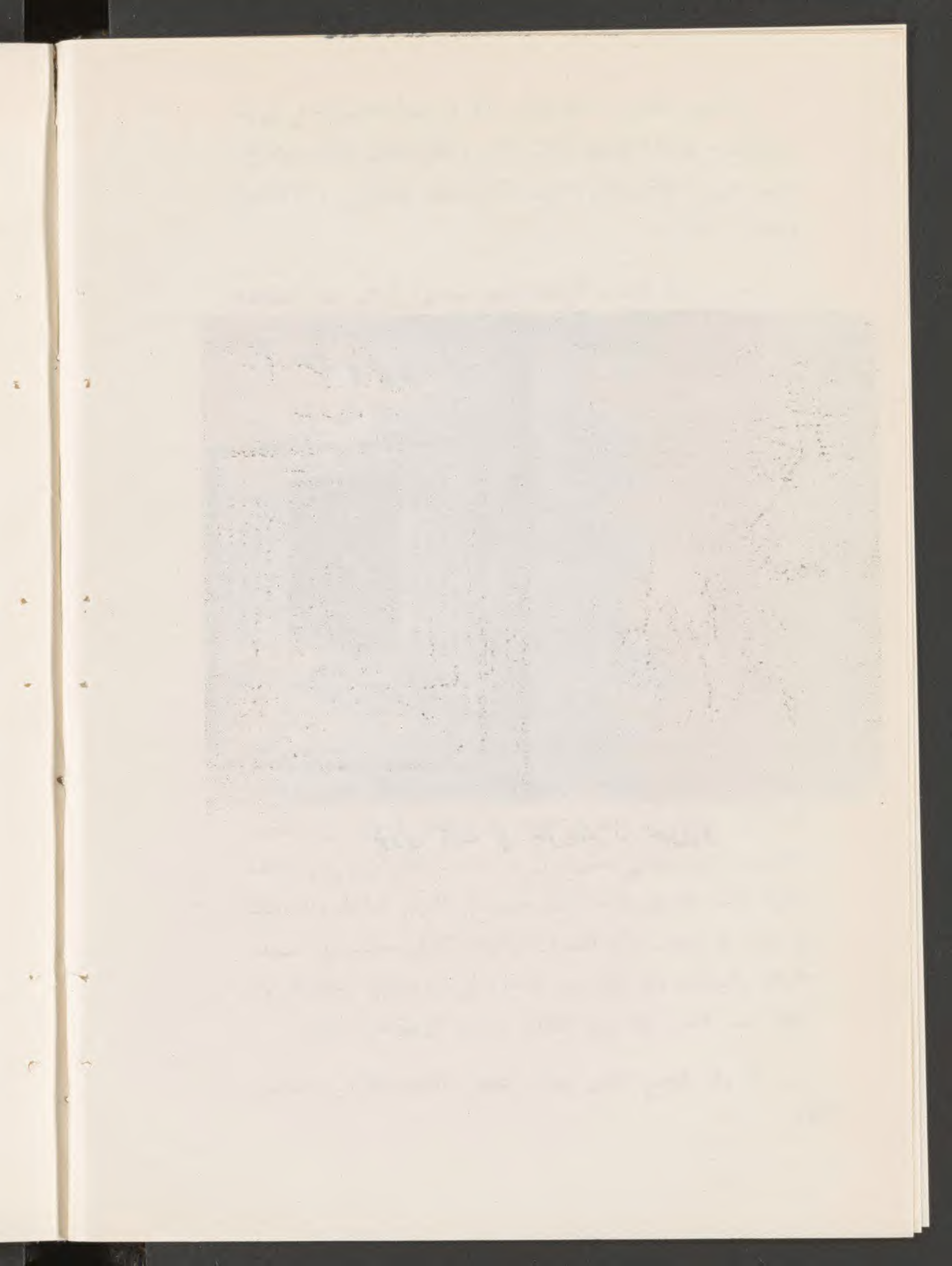


صاحبها ، نوري ثابت

أ. حبزبوز

شخصيات بارزة في بغداد

نوري ثابت في جريدته أ. حبزبوز



الماضي او تتناساه على الاقل والايهدم احدنا مجد الآخر فلا معنى لمؤاخذة نوري باشا السعيد على صفحات الصحف من اجل توسطه في تعيين الهاشمي لرياسة مجلس الشورى في الشام . لأنه ان صح فهو من دواعي الفخر والاغتباط لفخامة نوري باشا ، لا اللوم والعتاب ، ولو انا فتحنا باب العتب على مصراعيه لظهرت امور مما يخص المصلحة العامة لايسعها ذلك الباب ولكن الماضي لا يعاد .

وعسى ان تكون هذه الخاتمة .

العدو بالمرصاد ياسادتنا وانه والله لا ينكر في زيد او عمرو ولا يهمه غير مصلحته ولا تروج مصلحته الا باختلافكم وتبديد شملكم كما راجت من قبل وستروج بعد بضعة أيام . والتبعة علينا وعليكم وعلى الشعب اجمع . فان شئتم ان يلعنكم ابناؤكم واحفادكم جيلاً بعد جيل فاختلفوا وتنازعوا وتنابزوا بالالقاب وكونوا قوماً لا هوادة بينهم وتخلقوا باخلاق العامة وانبشوا الحفائظ وانهشوا الاعراض وانتهكوا الحرمات . وأن اردتم الذكر الخالد والمجد الطريف فأجمعوا أمركم واعملوا على خيركم وانقذوا الامة - وانتم في ضمنها - ولا تنسوا الفضل بينكم واتعظوا بغيركم « ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد » .

والصحافة العامة ، التي تختلف اختلافاً كبيراً عن كل نوع آخر من الصحافه الموضوعية ، منها الصحافة الخبرية أو الصحافة العقائدية ، لم تماش التطور المقصود المحدد بالفترة الزمنية آنذاك لأسباب عدة إلا اننا لابد من ذكر اوائل المؤسسين لمثل هذا النوع من الصحافة ، وهو رفائيل بطي في جريدة (البلاد) التي صدرت عام ١٩٢٩ بست صفحات يومية بالحجم الكبير حيث احتوت على المقال الموضوعي والخبر الصحفي والابواب الثابتة ، بينما كانت الصحف الاخرى ، الحزبية منها والمستقلة طيلة الفترات الزمنية

التي سبقت صدور البلاد وبعد صدورها تصدر بأربع صفحات ، وقد طغت عليها المقالات السياسية أو الادبية . ونستطيع أن نقول أن رفائيل بطي يعتبر من اوائل ، بل اول من ادخل الصحافة العراقية في طور جديد وذلك بابراز الشكل واندماج المضمون بجزئيات ذلك الشكل المحدد بالصحافة آنذاك ، ووفق الظروف الفنية والمادية التي رافقت ظهور الجريدة وحتمت عليها التقيد بكيفياتها دوما .

التطورات الاقتصادية

بعد أن حصل العراق على ماسمى آنذك بالاستقلال الذاتي وانضمامه الى عصبة الامم عام ١٩٣٢ ، اصبحت ارض الوطن « الحقل الدائم » الذي اجرت عليه الدول الغربية تجاربها ، واستثمرت خيراته لمصالحها الاحتكارية لما احتوى من الثروات الطبيعية التي كانت السبب في استحكام اهداف هذه الدول والايغال في اضطهاد الشعب بجانب موقعه الاستراتيجي المرتبط بايران وتركيا مشكلا حلقة الاتصال بين الشرق الاقصى وافريقيا واوربا .

وبالنظر لتطور صناعة النفط ، بعد أن احكمت الدول الاستعمارية قبضتها على اقتصاديات البلاد وتأسيس الشركات الاحتكارية ، فان وسائل الانتاج الاخرى المرتبطة بالعلائق الاجتماعية ، حتمت انشاء نوع من الصناعات المحلية الخفيفة لتسيير دفة الصناعات الرئيسية للنفط . وارتبط هذا النوع من الانتاج الصناعي ايضا بالتطورات الاجتماعية وتوفير سبل استكمال العلائق بين وسائل الانتاج والمنتفعين من ورائها . وبمرور السنين ، نمت بعض الصناعات الاولية وتقدمت وانشئت المعامل والمصانع وارتبطت

بمجالات الحياة العامة للشعب .

وتجاه هذا الترابط بين الانتاج والاستهلاك ، برزت الى عالم الصحافة اهمية النشر والاعلان بالنسبة لمالكي وسائل الانتاج في سبيل تعميم وترويج بضائعهم المحلية . فكانت لهــذه النتيجة الحتمية المرتبطة بالتقدم الصناعي وتطور العلائق أن دفع ذلك اصحاب الصحف الى ضرورة زيادة عدد صفحات جرائدهم وهي ضرورة حتمتها مساحات تلك الاعلانات لاستيعاب هذا الغزو من الاعلان الاهلي الحديث بجانب قيام الحكومة بتوزيع الاعلانات الرسمية على الصحف نفسها .

فنستطيع اذن أن نقول أن السبب في زيادة عدد الصفحات في صحفنا ارتبط مباشرة بانتشار الاعلان . ولو اردنا تبيان هذا التأثير المباشر على زيادة عدد الصفحات في الصحف العراقية علينا أن نرجع الى عدد من جريدة (الاستقلال) مثلا فيما سبق ونرى مساحات الاعلانات المخصصة في الصفحات الاربع التي صدرت بها الجريدة ، لرأينا انهــا لم تتجاوز نصف الصفحة فقط تقيدا بعدد الاعلانات وشكلها . بينما لو تصفحنا احدى الصحف اليومية الصادرة عام ١٩٣٥ ــ ١٩٤٠ وبعدها ، لرأينا المساحات التي شغلتها الاعلانات الاهلية والحكومية فيها قــد تجاوز مساحات اربع صفحات . وهــذا يعني حتما وجوب زيادة صفحات الجريدة لفسح المجال اكثر للانباء الخارجية والمحلية والمقالات والابواب الثابتة والا ابقاء الاصدار بست صفحات مثلا ، وهذا غير معقول مطلقا .

أن انتشار الاعلان في الصحافة العراقية أثر على تطور الشكل والمضمون من ناحية عدد الصفحات المخصصة للاعلان واشغال الصفحات الباقيــة بالمواد الاخرى الخبرية والانشائية . وله تأثير مباشر من ناحية اخرى وهو زيادة الدخل المالي لصاحب الجريدة من القيمة الاصلية لهــذه الاعلانات

مما دفع اصحاب الصحف الى جلب الآلات والمكائن الطباعية الحديثة وفق الامكانيات المادية . ولولا هذه الزيادة في الدخل لربما تعذر على اصحاب الصحف جلب مثل هذه المكائن ، وبالتالي الابقاء على شكل الجريدة القديم وتجميده لريثما تتوفر الامكانات المادية . ومثل هـــذه الامكانات مرتبطة بالظروف التي تجتازها الجريدة ، وخير الظروف المواتية هي زيادة الدخل نتيجة زيادة كمية الاعلان لأن بقاء الجريدة وتأمين استمراريتها بانتظام كي لاتؤثر عليها الهزات المالية مرتبط بواردات الاعلانات الأهلية والحكومية وبالتالي وارد المبيع بالنسبة للقراء فالاعلان ووارد مبيعات الجريدة هما المصدر التي تعتمد عليها الصحافة اليومية لسد نفقاتها من اجور العمال والمحررين وثمن الورق والحبر وغيرها من المصاريف الفردية .

فالتطورات الصناعية اذن لها أثرها الكبير على تطور الصحافة وتقدمها واستمرار بقائها في الوجود طالما هناك ما يؤمن هذا البقاء من واردات الاعلان الذي يقوم على ازدهار الصناعة والمشاريع الاخرى التي تحتاج بدورها الى دعاية . فتعتمد على الصحافة بهذا الشأن كما تعتمد الصحافة عليها في استمداد القوة الشرائية من اعلاناتها .

اما من ناحية تأثير المجتمع على الصحافة ، فان انتشار المدارس الابتدائية والثانوية في مختلف الالوية ومدنها وقراها ، وفتح الكليات والمعاهد العالية ، أدى الى زيادة نسبة التعليم والثقافة ، فرفع من نسبة عدد القراء للصحف عما كانت عليه النسبه في الماضي ، يضاف الى ذلك تطور العلاقات الاجتماعية وتمتينها ، بعد أن ارتبطت القرى والمدن بعضها ببعض ، وتوسعت شبكة المواصلات البرية ، وتعممت السكك الحديدية في الشمال والجنوب ، وتوفرت سبل التنقل بين بغداد وبقية الالوية ، مما كان لهذه الاسباب الاثر الكبير في انتشار الصحف العراقية على نطاق واسع . وأدى مثل هذا الانتشار الى زيادة توزيع معظم الصحف بفضـــل تأمين

وصولها الى القراء في كل المناطق .

ان المدة التي كانت تتطلبها الجريدة في بغـــداد لوصولها الى قراء البصرة مثلاً ثلاثة ايام او اكثر ، اصبحت اليوم تصلهم في نفس اليوم التي تصدر فيه ببغداد وذلك بواسطة القطار السريع او الطائرات .

ولو اردنا ان نبين أثر هذا الانتشار للصحف وتأثيره على التوزيـع من ناحية (الكمية) نستطيع أن نلمس الحقيقة بوضوح في مقارنة بسيطة بين معـــدل توزيع كافة الصحف في عام ١٩٢٥ ـ ١٩٣٠ وتوزيعها عام ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ فنرى أن معدل ما كان يوزع من مجموع الصحف العراقية يومياً لم يتجاوز في اية حال عن عشرة آلاف نسخة في تلك الاعوام الاولى . بينما بلغ توزيع (احدى) الصحف منفرداً في الاعوام التي عاشت واعقبت الحرب العالمية الثانية بثمانية آلاف نسخه .

لقد صدرت منذ انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦ حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية صحف جديدة بجانب التي ذكرناها والتي احتجبت اكثرهـا ولم تبق في الميدان سوى القليل منها . ومن هذه الصحف :

جريدة الانقلاب لصاحبها محمد مهدي الجواهري والتي ابدل اسمها بعد مقتل قائد الانقلاب بكر صدقي بـ (الرأي العام) . وجريدة بالك لصاحبها عبد الحميد فخري عام ١٩٣٨ وكان مديرها المسؤول حسن فهمي الباجه جي ولم تكن مهمة فلم تعش سوى بضعة اعداد نظراً لصدورها متقطعة . ومجلة الهدف الاسبوعية لصاحبها محسن القزويني الصادرة في كانون الثاني ١٩٣٧ وكانت نزعتها اجتماعية قومية عربية اهتمت بشؤون العمال . ومجلة الحكمة لصاحبها رؤوف الجبوري صـــدرت في الحلة شهرية تعنى بالآداب والعلوم والفلسفة . طغى عليها الطابع العربي أكثر من العراقي . وفي نفس العام صدرت مجلة الطيارة وهي مجلة خاصة اصدرتها جمعية الطيران في بغداد ويحررها

نخبة من الطيارين العراقيين العسكريين . ومجلة الغرى في النجف الاشرف لصاحبها الشيخ عبد الرضا كاشف الغطاء ، صدرت في ٢٢ آب ١٩٣٩ .

ودخلت المرأة العراقية ميدان الصحافة مجدداً في عام ١٩٣٧ عندما أصدرت مريم نرمة جريدة (فتاة العرب) في ٦ آيار بحجم متوسط وباسلوب وذهنية بسيطة ساذجة نمت عنها موضوعات الجريدة المعبرة عن عقلية المرأة العراقية غير المتعلمة تعليماً حديثاً . وكان مديرها المسؤول المحامي صالح مراد . واعتنت مريم بشؤون المرأة العربية وتقدمها ، وخاصة المرأة العراقية .

لو اردنا تصفح احدى الجرائد عام ١٩٢٠ ـ ١٩٢٤ لوجدناها خالية تماماً من الاعلانات رغم صغر حجمها بما يعادل ١/٢ حجم الجريدة ذات أربع صفحات المعروفة اليوم . اما اذا تصفحنا جرائد عام ١٩٣٠ ـ ١٩٣٥ ، لوجدنا الاعلانات متوفرة نوعاً ما بمعدل صفحة كاملة من مجموع ست صفحات بالحجم الاعتيادي المألوف في صحافتنا اللاحقة . ولنأخذ كمثال لذلك العدد الصادر من جريدة الاخبار المؤرخ في ١١ تشرين الثاني ١٩٣١ وما احتواه من الاعلان لوجدنا فيه :

في الصفحة الاولى وفي اسفلها اعلان بارز جاء فيه :

فرصة نادرة تجري تنزيلات عظيمة في مخزن حسو اخوان بمناسبة عزمهم على الانتقال الى محلهم الجديد « اوتيل ولكندن القديم » .

وفي الصفحة الثانية وفي اسفلها ايضاً اعلان بارز وبخط عريض :

زوروا معرض الاحذية الوطنية لصاحبها على صائب الخضيري ـ احذروا التقليد .

ثم في الصفحات الداخلية الاخرى اعلانات السينمات والمحامين والاطباء واعلان الاحذية لمعرض الاحذية العراقية لصاحبه عبد الكريم وعبد الرزاق قنبر آغا . ثم اعلان المزاد العاني ، ودواء الفوسفورين وسكاير

ابو غزال ومرحبا ، واعلان هينيس براندي وقطرة ابن سينا وشراب شيراز كنياتي ، واقراص الاسبيرين وخنزيرات رستن وأعلان عن جوائز يانصيب شركة الدخان الشرقية ، وبعض اعلانات محكمة صلح بغداد ومأمور الاجراء النظامي .

والملاحظ من تلك الاعلانات ، أن طابع الاعلان التجاري للمواد الاستهلاكية الاجنبية كان مقتصراً على البضائع البريطانية . وهذا امر طبيعي لخضوع العراق الى مشيئة الاستعمار البريطاني وأحتكار سوقه . الا ان تطور الصناعة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية وفتح باب التجارة امام العراقيين ، دفع الاعلان التجاري الى دخول (المنافسة) لتنافس التجار والشركات الاجنبية ومضارباتها ، ممـــا ادى الى استفادة الصحف من ذلك التنافس .

ولو تصفحنا جرائد مابعد الحرب العالمية الثانية وفي بداية الخمسينات ، لرأينا الاعلان يحتل المركز الاول من مواد الصحف . ففي نفس الجريدة يظهر اعلان السكاير العراقية والانكليزية والامريكية ، وكذلك بالنسبة للمشروبات الروحية وللسيارات والالبسة وما شابه ذلك بالرغم من اقتصارها أيضاً على الشركات الغربية الانكليزية والفرنسية والامريكية . وهذا الأمر يختلف الآن بالنسبة للصحافة تبعاً لتطور الاحداث السياسية . وسوف نأتي على ذلك عند ذكر الفترة الزمنية التي اعقبت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .

الحرب العالمية الثانية ونتائجها

عند اندلاع نيران الحرب العالمية الفاشية عام ١٩٣٩ ، والتي تحولت فيما بعد الى حرب تحريرية ، توقفت الاحزاب السياسية عن العمل بأمر

من الحكومة العميلة ، وتوقفت معها معظم الصحف الناطقة بلسانها عدا ثلاث صحف أهلية خاصة . إلا انه منحت في الفترة الواقعة ضمن سنين حرب العراق الامتيازات التالية :

صوت الحق أصدرتها وزارة جميل المدفعي الخامسة في حزيران ١٩٤١ وكان المحامي مهدي مقلد مسؤولاً عنها ثم تداولتها ايد عديدة . ومن ابرز محرريها عادل عوني صاحب جريدة الحوادث فيما بعد ، وجريدة الاحوال اصدرها عزت مراد الشيخ أحد شركاء جريدة العالم العربي في بغداد عام ١٩٤٠ ، وهي جريدة اخبارية تصطبغ بكل لون حكومي حسب العهود المتعاقبة ، وجريدة الجهاد لصاحبها عبدالقادر السياب نائب لواء البصرة وصاحب جريدة الناس البصرية ، وكانت تصدر بست صفحات رغم غلاء الورق آنذاك والذي اضطر أصحاب الصحف الاخرى الى إصدارها بأربع صفحات مما يدل على ان الحكومة كانت تنفق عليها . عاشت هذه الجريدة خلال شهري نيسان وآيار ١٩٤١ ، وجريدة اللواء لصاحبها طه الفياظ صاحب جريدة السجل فيما بعد ، وهي لا تختلف عن زميلتها الجهاد من حيث الورق والمصاريف ومدة صدورها في شهري نيسان وآيار . وجريدة الشهاب لصاحبها شفيق نوري السعيدي ، أصدرتها حكومة المدفعي أيضاً في حزيران ١٩٤١ وتزلفت للوضع القائم آنذاك وعنيت باظهار أخلاصها المتناهي لسياسة المدفعي ، ثم توقفت عن الصدور في عام ١٩٤٤ .

كانت بعض الصحف الصادرة آنذاك وعلى رأسها جريدة البلاد تعارض السياسة البريطانية وتبرز انباء انتصارات جيوش هتار ، وتساند حركة رشيد عالي الكيلاني في آيار ١٩٤١ بينما وقفت صحف أخرى وعلى رأسها تلك التي ذكرناها آنفا موقفا عدائيا من مطاليب الشعب العراقي وساندت حكومة المدفعي السائرة بركاب السياسة البريطانية والتي عارضت حركة مايس ، وكانت السبب في شن الحملات الهستيرية على الوطنيين المخلصين

وزجهم في السجون بتهمة النازية ومن ضمنهم بعض الصحفيين كرفائيل بطي ولطفي بكر صدقي وسلمان الصفواني . الا أن صحافة تلك الفترة تميزت بصحافة الرأي القومي المساند لتطلعات الشعب العراقي نحو التحرر والانعتاق من ربقة الاستعمار البريطاني والتمسك بحق تقرير المصير للشعوب الذي اصبح دستور كل الشعوب المكافحة بعد اندحار الفاشية وانتصار حركة التحرر الوطني في العديد من دول آسيا واوربا وافريقيا . وتجاه ذلك صمم الشعب على خوض المعارك المصيرية مع الاعداء ، وكان على الصحافة أن تلعب ذلك الدور القيادي رغم القيود والارهاب ، خاصة أن الاحزاب السياسية كانت معطلة وصحفها ملغاة .

ومن ابرز ما كتب في تلك الفترة المقال المنشور في جريدة البلاد في العدد الصادر في ٣ آيار عام ١٩٤١ تحت عنوان : « أخذنا الاستقلال اعزاء بالدم والنار ونصون استقلالنا احرارا اباة بالدم والنار » جاء فيه :

« اللهم اشهد » !

ها هو ذا يوم العراق المتوج يكتبه تاريخ نهضتنا بدم ابطالنا في الصفحة الثانية من كتاب المجد العراقي بعد أن عرفت الدنيا سنة ١٩٢٠ صفحته الاولى تتوهج بنور الشهادة وتفيض ايمانا باهراً بحقنا في الحياة والحرية والاستقلال .

« لقد ثار العراق ثورته الكبرى قبل عشرين عاما في وجه الاحتلال الانكليزي الغاشم فالقى على المحتلين ابلغ درس في احترام حق العراق في الحياة الحرة المستقلة وآمن العالم قاصيه ودانيه بعدالة القضية العراقية ونبل الدعوة العربية في التحرر والانعتاق من حكم الغاصبين .

« . . . في هذه الايام العصيبة والشعوب تتصارع في سبيل عزها وحريتها وسلامتها والامم تبالغ في بذلها اقصى الجهود للبقاء بنجوة من شرور الحرب

ومفاسدها ، في هذا المعترك الهائل ظل العراق وفيا بعهده أمينا في تنفيذاحكام التحالف بينه وبين حليفته انكلترا الا ان جشع الاستعمار وحس الاذلال و القمع الذي تغلي به صدور الطامعين دفع الجانب البريطاني الى الاخـــلال باحكام المعاهدة ولم يقف عند هـــذا الحد بل تجاوزه الى الزراية بنا والاستخفاف بمقدرتنا الى فتح النار على قواتنا الوطنية ضحى امس كمـا ابان بيان الحكومة الرسمي مما اضطر قواتها الحارسة لسلامة الوطن ان تدافع عن كرامته وتقف في وجه المعتدي (والبادي اظلم) وقفة كبر لها العراقيون وهللوا وهبوا يؤيدون جيشهم المتفادي وينتصرون لكرامتهم المهانة ويذودون عن حماهم المستباح .

« . . . أيه رجال العراق احفاد اولئك الذين اظلموا العالم على توالي الحقب ان الايمان يشيد دعائم الممالك وان الشجاعة مع الاستعداد للتضحية اقـــوى سياج يصون استقلال الامم وان الشعب الذي لايحمل تاج الكرامة يتلألأ على مفرق ابنائه لايحق له ان يحسب بين الشعوب الحية .

يا ابناء الرافدين لقد دقت الساعة التي دعانا فيها الواجب الى العمل المثمر والكفاح المقدس لتحقيق اهدافنا العليا .

يا ابناء الرافدين ان ملايين من البشر من اطراف المعمورة ينظرون الى موقفكم المشرف في هذه الساعة الحاسمة فلنملأ فم الدنيا اعجابا بالبطولة العراقية ، ان اجيالا واغلة في التاريخ تنظر الى ماستسطرونه في صفحة المجد الجديدة ، ان ارواح الجدود الاشاوس والشهداء الابرار تطل عليكم الان من مراكزها العلوية وتهيب بكم الى السير الى الامام شامخي الانوف موفوري الكرامة فحيوا هذه الارواح الطاهرة باعمالكم المجيدة ومآثركم الخالدة . »

لقد انتهت حركة مايس واحكمت بريطانيا قبضتها على الشعب العراقي الذي انتظم في احزابه سرا ، واستعد لخوض معركة الحرية بعد أن بدأت تباشير الهزيمة للفاشية تلوح في افق الشعوب المكافحة .

وبانتهاء الحرب العالمية ، وفي بداية عام ١٩٤٦ ، انبثقت الحياة الحزبية ثانية على اثر اندحار النازية امـــام التيار التحرري الديمقراطي ، لتلعب الصحافة العراقية دورها البارز في خوض معركة تثبيت المفاهيم الديمقراطية والوطنية . واتخـــذت تلك الفترة طابعا جديدا لتطور الصحافة العقائدية والمقال الموضوعي التوجيهي .

ففي ذلك العام ، ظهرت الاحزاب السياسية التالية وأصدرت صحفها الناطقة بلسانها وهي :

١ ــ الحزب الوطني الديمقراطي برئاسة كامل الجادرجي واصدر كل من الأهالي وصوت الاهالي وصدى الاهالي ونداء الاهالي .

٢ ــ حزب الاستقلال برئاسة محمد مهدي كبة واصدر صحيفتي لواء الاستقلال وصدى الاستقلال .

٣ ــ حزب الاحرار برئاسة توفيق السويدي وزعامة الوطني سعد صالح وعبد الوهاب محمود واصدر جريدة الاحرار .

٤ ــ حزب الاتحاد الوطني برئاسة عبد الفتاح ابراهيم وأصدر صحيفتي السياسة وصوت السياسة . تعرض للحل والتنكيل بعد اشهر عديدة .

٥ ــ حزب الشعب برئاسة عزيز شريف واصدر جريدة الوطن ، تعرض للتعطيل والحل بعد اشهر .

٦ ــ حزب التحرر الوطني برئاسة حسين محمد الشبيبي ، ولم يسمح له بمزاولة نشاطه ورفضت اجازته بعد تقديم نظامه الداخلي .

٧ ــ عصبة مكافحة الصهيونية وهي منظمة يسارية اصدرت جريدة العصبة .

وكانت الأحزاب الاربعة الأخيرة تمثل التيار اليساري الذي بدأ يظهر في العراق وينعكس على صحافته بعد اندحار الفاشية ، واستقطبت بدورها المثقفين والثوريين والماركسيين بالرغم من وجود حزب شيوعي سري له جريدته الناطقة بلسانه عرفت بـ (القاعدة) .

نشرت جريدة صوت الاهالي في عددها الصادر في الثاني من كانون

الثاني ١٩٤٦ مقالا تحت عنوان « موزلي العراق » قالت فيه :

« نشرت الزميلة جريدة الزمان في عددها الصادر بتاريخ ١٩٤٥/١٢/٣١ تصريحا لمعالي الدكتور سامي شوكت بعد تركه الوظيفة ، بشأن الحزب الذي ينوي تأسيسه . وقد كان الأسلوب الذي لجأ اليه صاحب التصريح وبعض الاشارات التي جاءت فيه لما يدعو الى الاهتمام والحذر . اننا لا نود ان نتناول في هذا المقال بالتفصيل شخصية صاحب الحديث ، وماضيه والمبادىء التي يدين بها ، والتي كان قد دعا اليها وبشر بها فيما مضى ، وهو يدعو اليها الآن أيضاً ، والتي يستند اليها حزبه الجديد لأننا نعلم كما يعلم كل عراقي أن هذا الآراء والمبادىء كانت فاشية في جوهرها وستبقى كذلك مهما كانت الصفحة التي تختفي ورائها ، فهذه المبادىء الفاشية أنما تبدو لمن يقرأ التصريح بامعان بأنها نفس المبادىء التي يستند اليها الحزب الجديد ، والتي كان ينادي بها معاليه عندما كان « حامياً للفتوة » والتي اوحت اليه بكتابة « أهدافنا » فالدكتور يعتقد بأنه صاحب رسالة ، ورسالة تتلخص في كتابه المذكور ، والذي يتصفح هذا الكتاب يرى ان تحقيق أهداف الدكتور سامي شوكت انما يستند الى القومية الاعتدائية ، قومية القوة والدم والنار والدمار . من الواجب علينا وعلى كل مؤمن بالديمقراطية اذن الفات نظر الرأي العام العراقي الى ذلك ، وتحذيره من أن تنطلي عليه هذه المبادىء الفاشية التي نستغرب « بعثها » في العراق بعد كل ما جرى في العالم من الاحداث الخطيرة والتطورات العظيمة خلال الحرب التي سببتها هذه المبادىء والتي جلبت على البشرية اكبر كارثة عرفها التاريخ ، فاصبح العالم يمقت هذه المبادىء أشد المقت ، ويعتبرها سبباً لشقائه .

« أن الذي يلفت النظر بصفة خاصة في تصريح الدكتور سامي شوكت هو الانطباع الذي يبدو فيه صاحب الحديث انه على صلة بـ « المقام

الأعلى » أو البلاط الملكي بعبارة أصـــرح ، في نشر دعوته ، وتأسيس حزبه ، فهذا الانطباع الذي يلمسه القارىء عندما يقرأ حديثه انما هو في الحقيقة أمر خطير ، بل هو محظور في النظام الديمقراطي ، لأن الديمقراطية التي يراد تحقيقها في هذا البلد يجب ان تكون حرة من جميع الوجوه ، والاحزاب التي يراد تأسيسها يجب الا تكون مستندة الى جهة غير مسؤولة ، وهي مصونة من استهداف توجيه المسؤوليات بالنظر الى القانون الاساسي . فالعراقيون يودون من الصميم ان يكون المقام الاعلى منزها عن الحزبية ، وبعيداً عن كل تطاحن حزبي ، لأن لهذا المقام غير المسؤول مكانه وعمل يتنافيان مع الميل الى جهة دون اخرى من العراقيين ، غير أن الانطباع الذي تركه تصريح معالي الدكتور لا يفسر بهذا التفسير بكل أسف ، لأنه قد أقحم هذا المقام الاعلى في شؤونه الحزبية اقحاماً لا مبرر له ، وهو عمل يخالف العرف الدستوري » .

ثم انهت صوت الأهالي مقالها قائلة :

« أما تظاهر صاحب التصريح بمظهر البراءة والتبرم من بعض الاوضاع السابقة فقد كان عليه هو نفسه قبل غيره ، ان يتحاشاه ، وأن يسدل الستار على تلك الاوضاع ، لأن الدوافع التي انتجت الحركة التي يندد بها الآن انما هي نفس الدوافع التي اوجدت « الغرور القومي » ونشطت « صناعة الموت » التي كان يدعو اليها بكل ما لديه من قوة . واذا كانت الحركة التي يتبرم الدكتور منها الآن عميقة الأثر من حيث اساءتها الى العراق فأن « اهدافه » كان لها القدح المعلى في بعث تلك الحركة .

« فلنقبر اذن تلك « الاهداف » ولتبق هذه الاشتات المجموعة متعة للقاريء ومبعثاً لضحكه وتسليته فقط « كما هو شأن كتاب (دون كيشوت) ، وان كان الفرق عظيماً من الوجهة الفنية بين هذا

الكتاب وذاك » .

الا أن الملاحظ في تلك الفترة ورغم وجود الاحزاب السياسية وتأكيدات رئيس الوزراء آنذاك ارشد العمري الذي قال عقب توليه منصب الوزارة « أن وزارتي هي انتقالية وستكون أرحب الوزارات صدرا فيما يخص تأمين حرية الصحافة والحرية الفردية والحزبية ، واعتبر نفسي اكثر الناس صداقة للاحزاب والحياة السياسية وأن مهمة وزارتي هي التمهيد لأن تتولى الحكم وزارة تمثل حزب الاكثرية في البرلمان ، » أن الصحافة العراقية التي اختطت لاول مرة نهجا وطنيا ديمقراطيا واضحا وارست لبنات الصحافة كرسالة وواجب للصحفي الحقيقي ، تعرضت أكثر من اية فترة أخرى مرت بها طيلة الازمان المتعاقبة لاشد الاضطهاد والقمع الارهابي ، وخضعت لمشيئة حكم رجعي اسود كان اخطر ما واجهه الشعب العراقي قبل الحرب العالمية الثانية .

ففي ٦ حزيران ١٩٤٦ عطلت الحكومة جريدة العصبة لسان حال حزب عصبة مكافحة الصهيونية سنة كاملة لنشرها دعوة الهيئة المؤسسة لجماعة التحرر الوطني الى اعلان الاضراب العام . وفي ١٧ منه عطلت جريدة البعث لمدة شهر لنشرها مقالا عارضت فيه ادماج شرق الاردن بالعراق . وفي تاريخ ١١ حزيران سحبت الحكومة امتياز مجلة الينبوع لنشرها بعض التصريحات فسرتها بكونها سياسية لاتدخل في سياسة المجلة الادبية والاجتماعية . وفي ١٧ حزيران انذرت جريدة الرأي العام لنشرها خبرا حول وصول قوات اجنبية الى العراق . وبعد يومين ، انذرت جريدة صوت الاحرار ، ووجهت الفات نظر لكل من جريدة البلاد والنداء وصوت الاحرار . وفي يوم ٢٠ حزيران عطلت جريدة الرأي العام ، وصادرت العدد ١١ من مجلة الوادي قبل توزيعه في الاسواق .

ومن اغرب المحاكمات التي جرت في تلك السنة كانت محاكمة كامل الجادرجي صاحب ومدير مسؤول جريدة صوت الاهالي المحال لمحكمة جزاء بغداد في ١١ آب والذي جاء في كتاب الاحالة المقدم من دائرة المدعي العام ما يلي :

« طلبت مديرية الدعاية العامة بكتابها المرقم ١٧٢٢ والمؤرخ في ١٩٤٦/٧/٢٠ المعطوف على طلب وزارة الداخلية اجراء التعقيبات القانونية ضد المدير المسؤول لجريدة صوت الاهالي والناشرين فيها ثلاث مقالات تحت عناوين مختلفة وبتواريخ مختلفة الاولى بتاريخ ١٠ تموز تحت عنوان « الغايه الخفية وراء خطة الحكومة الحاضرة » والثانية بتاريخ ١٥ تموز تحت عنوان « الحادث المؤسف في كركوك – بيان الحكومة يكشف عن اعمالها الاعتدائية » والثالثة بتاريخ ١٨ تموز تحت عنوان « اطلاق الرصاص على المتظاهرين » . ولما كانت المقالات الثلاثة المذكورة تدعو لتشويش الرأي العام واستفزازه ضد الحكومة واضعافها لغايات غير حسنة واثارة الكراهية والبغضاء بين الطوائف وتحريض الأهلين على التمرد والعصيان واحداث مشاغبات وثورة وتحسين الجرائم التي يرتكبها المتمردون والمتظاهرون وتشويقهم بعدم الانقياد للقوانين وحيث أن المقالات والنشريات المارة الذكر تعد من الجرائم قانونا وينطبق عليها احكام المواد ٨٩آ و٦ من الباب الثاني عشر بدلالة المادة ٧٨ من ق . ع . ب والمادة ٩٠ آ بدلالة الفقرة الثانية من المادة ٧٨ من قانون اصول المحاكمات الجزائية والمادة ٦٢ و ٣٠ من قانون المطبوعات بدلالة المادة ١٠ من قانون تعديل قانون المطبوعات رقم ٣٣ لسنة ١٩٣٤ اطلب اجراء التعقيبات القانونية بحق المدير المسؤول السيد كامل الجادرجي صاحب جريدة صوت الاهالي المشار اليها واجراء التحقيق حول ما نشر فيها من المقالات المذكورة اعلاه وفق المواد المارة الذكر وبعد استحصال الأذن القانوني لمحاكمته وفق المادة ٤٤ من الاصول

سوقه الى محكمة جزاء بغداد لاجراء محاكمته وبطيه نرفق ثلاثة جرائد المارة الذكر واعلامنا بالنتيجة » .

فكانت المحاكمة بحد ذاتها – مظاهرة وطنية قام بها الجادرجي ، كشف فيها زيف وبطلان ادعاءات الحكام ، عرى بقوة عمالة السلطة ورجعيتها وقد جرت بالشكل التالي :

الحاكم : هل انت صاحب جريدة صوت الاهالي ومديرها المسؤول ؟

الجادرجي : نعم .

الحاكم : ماذا تقول عما سمعته من جانب الادعاء العام ؟

الجادرجي : لا اريد أن أناقش الاتهام مادة فمادة ، وانما أحب أن أقول كلمة مختصرة أرجو أن تسمحوا لي بها :

أن موقفي هذا يذكرني بمواقف كنت قد وقفتها قبل خمسة عشر عاماً أمام زميلكم السيد شهاب الدين الكيلاني ، فأنا ياحضرة الحاكم خبير بهذه المواقف ، فأسمحوا لي أن أستعمل خبرتي من هذه الناحية ، وأصارحكم بحقائق أرجو الا يضيق بها صدركم .

ان القضية الجوهرية هي صراع طويل بين طبقة مستولية على الحكم بطرق غير شرعية ، وبين هيئات تمثل الشعب ، وقد أرادت هذه الطبقة الحاكمة قبل خمسة عشر عاماً أن تناوىء الاحزاب القائمة يومذاك ، وتكم الأفواه ، فبدأت بتعطيل الصحف ، ثم أحالت مدراء الصحف المسؤولين الى المحاكم ، وكنت أحدهم ، في نفس هذه الغرفة وفي نفس قفص الاتهام هذا .

وقد تصورنا آنذاك ان الحكومة القائمة يومئذ تريد أن تحتكم الى



كامـل الجـادرجي



القضاء ولكن الحقيقة أثبتت أن تلك المحاكمات لم تكن الا صورية ولم يقصد بها غير الظلم والتعسف . وقد دافعت دفاعاً مطولاً عن الحريات فملأت اقوالي تلك صفحات الجرائد ، غير أن ذلك كله لم يجد نفعا . فاستمرت تلك الفئة على تعطيل الصحف ، وضربت الاحزاب ، وكمت الافواه وطاردت الاحرار . فماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة ويا للأسف قيام عدة اضطرابات وثورات وانقلابات عسكرية وعشائرية كانت الحلقة الاخيرة من سلسلتها حادثة ١٩٤١ .

غير أن النشاط السياسي في البلاد قد خف نتيجة الحرب بطبيعة الحال ، فخيم على المملكة سكون اشبه مايكون بسكون المقابر . والآن فقد أراد الشعب بعد انتهاء الحرب أن يستعيد نشاطه السياسي بل أن يستعمل حقه الطبيعي ، فتألفت بعض الاحزاب وأخذت الصحافة بعض حرياتها ، ولكن الفئة الحاكمة نفسها — وقد تشعبت الى فروع في الوقت الحاضر — عادت الى مكافحة الاحزاب ، وعادت الى مكافحة الحريات ، فما هذه المحاكمة الا حلقة في سلسلة جديدة للاضطهادات .

فدعوني ياحضرة الحاكم الا اناقش هذه التهم ، لأن التجارب اثبتت عبث الدفاع في مثل هذه الحالات . اما نتائج هذه الاضطهادات والتعسفات فسوف نتركها للزمن .

الحاكم : من نشر المقال الافتتاحي في العمود الاول من العدد الصادر من جريدة صوت الاهالي بتاريخ ١٠ تموز والمرقم ٢٢١٣ بعنوان « الغاية الخفية وراء خطة الحكومة الحاضرة » بقلم كامل الجادرجي ؟ هل كتبت هذه المقالة ونشرت من قبلكم ؟

الجادرجي : هناك مسألة لاتحتاج الى سؤال . أن هذه هي جريدتي

وأن المقالة بقلمي .

الحاكم : نشرت في العدد الصادر من جريدتك بتاريخ ١٥ تموز والمرقم ١٢١٧ مقالة في العمود الاول والثاني من الجريدة تحت عنوان « الحادث المؤسف في كركوك — بيان الحكومة يكشف عن اعمالها الاعتدائية » فماذا تقول عن هذه المقالة ؟

الجادرجي : نشرت هذه المقالة في جريدتي بعلم مني ، وأن كل مايكتب في جريدتي ينشر بعلم مني .

الحاكم : نشر في العدد الصادر من جريدة صوت الاهالي بتاريخ ١٨ تموز والمرقم ١٢٢٠ مقال « في بريد الاهالي » تحت عنوان « اطلاق الرصاص على المتظاهرين » فهل نشر ذلك بعلم منك ؟

الجادرجي : نعم . أن هذه المقالة نشرت بعلم مني .

الحاكم : أن الادعاء العام يدعي بأن هذه النشريات في النسخ الثلاث هي اخبار كاذبة ، وتعلم بكذبها ، والقصد من نشرها اضعاف الحكومة . فماذا تقول ؟

الجادرجي : ليس فيما نشرته اخبار كاذبة ، واني طيلة حياتي الصحفية لم انشر خبرا اعتقد انه كاذب .

الحاكم : وهل هي لاضعاف الحكومة ؟

الجادرجي : انا اعتقد أن الاحزاب والصحافة في البلاد الديمقراطية اذا لم تكن حرة فلا تستطيع مزاولة اعمالها . وعلى اساس هذا

المبدأ ننشر ما يصدر في جريدتنا ، بصرف النظر عن انه مضعف للحكومة أو غير مضعف . ولا اريد أن اقول اكثر مما قلته آنفا ، ولا الدخول في المفردات .

الحاكم : هل اصدرت جريدتك وقد قررت أن لاتتكلم شيئا امام المحكمة اذا دعيت اليها ؟

الجادرجي : سبق لي أن بينت اسباب عدم دخولي في المفردات .

الحاكم : ادعى الادعاء العام بان هذه المقالات المنشورة في الاعداد الثلاثة من جريدتك يقصد بها اثارة الكراهية ، وهي ضد نظام الحكم المقرر ، فماذا تقول بذلك ؟

الجادرجي : ليس لدي ما اقوله سوى اني استغرب من عقلية الادعاء العام .

وكانت حصيلة هذه المحاكمة (القصيرة) أن حكم على الجادرجي بالسجن الشديد لمدة ستة أشهر ووضعه تحت مراقبة الشرطة لمدة سنة كاملة وتعطيل الجريدة بصورة دائمة . الا أن استئناف الحكم من قبل محامي الدفاع ، خفف الحكم الى شهرين سجنا والغاء مراقبة الشرطة وتخفيض تعطيل الجريدة الى مدة اربعة أشهر فقط .

لقد استمرت الاحزاب السياسية بالعمل وقامت صحفها بمهمة كبرى في قيادة الجماهير وتعبئتها في بودقة النضال الوطني التحرري وخاصة ابان وثبة كانون المجيدة عام ١٩٤٨ والتي شنت الصحافة العراقية الحزبية منها والمستقلة كجريدة الجهاد لصاحبها الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري وجريدة اليقظة لصاحبها سلمان الصفواني وجريدة الاستقلال والاهالي ومجلة الوادي لصاحبها خالد الدرة حملة قوية ضد معاهدة بورتسموث

وساعدت في ايقاظ مشاعر الشعب الذي انتظم في وثبة كبرى سقط فيها العديد من الشهداء وانتهت بالغاء المعاهدة التي وقعها صالح جبر ، وتنفس الشعب الصعداء .

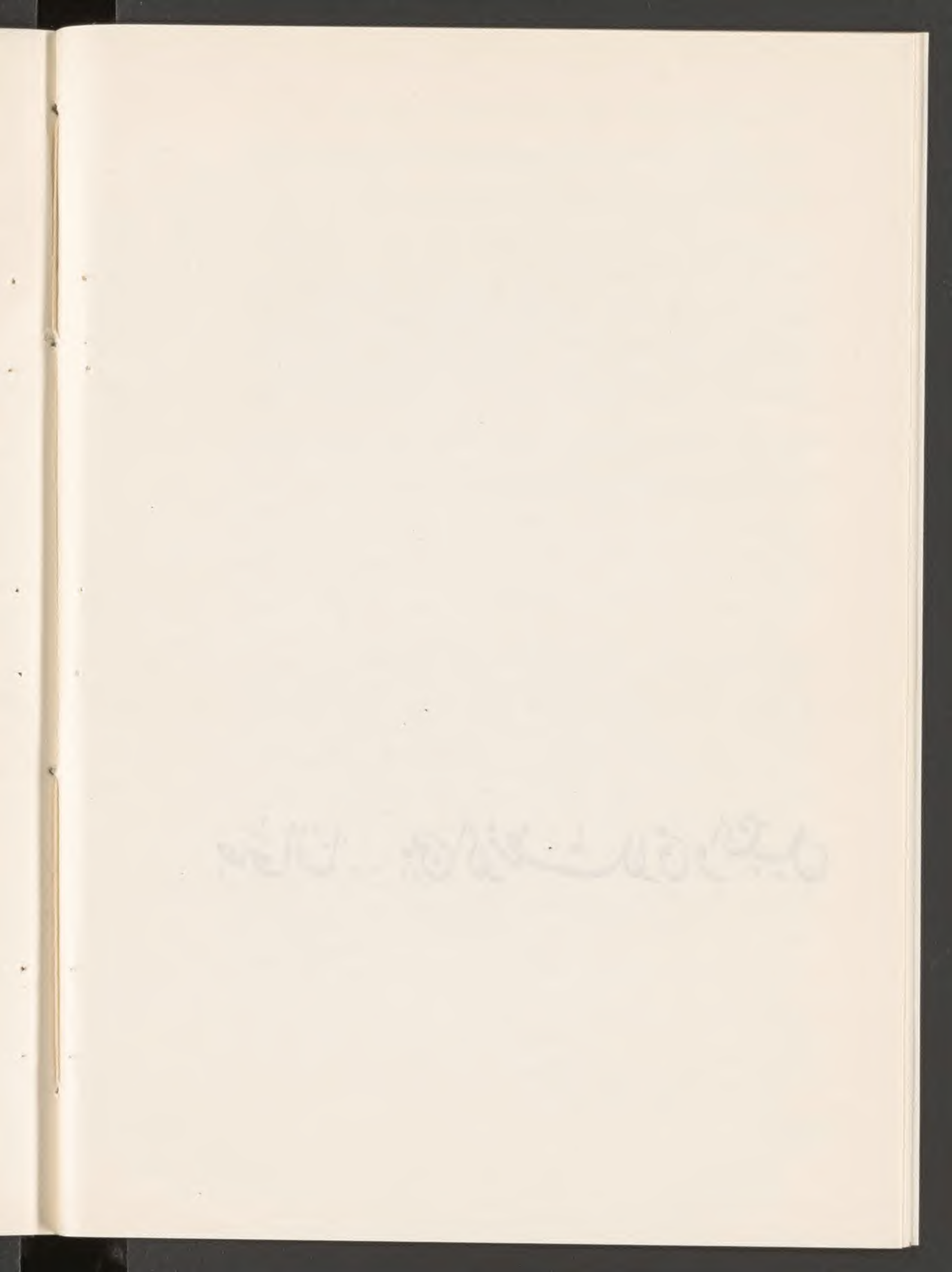
غير أن الاستعمار وصنائعه من حكام العهد المقبور ، سرعان ما جردوا الشعب من حرياته وشنوا حملة رجعية هستيرية على الوطنيين امتدت ستة أشهر . وكان للصحافة الوطنية النصيب الاكبر من هذه الحملة الهوجاء . فقد تم الغاء امتياز الصحف التالية على فترات متقاربة في بدء عام ١٩٤٩ :

الناشئة لابراهيم صالح شكر والمفيد لابراهيم حلمي العمر ونداء الشعب لياسين الهاشمي والنهضة لامين الجرجفجي وبلدي كوردستان لمصطفى باشا واللواء لسعيد الثراوي والحاصد لانور شاؤول وصوت العراق لمزاحم الباجه‌جي والوطن لعبد الغفور البدري وصديق الشعب لعلي محمود المحامي والفرات لمحمد مهدي الجواهري والكرخ للملا عبود الكرخي وصدى الحقيقة لجعفر الجابي والجهاد لسلمان الشيخ داود والرافدان لعبد الغفور البدري والاماني لعبد الرزاق شبيب والصرخة لأحمد عزت الاعظمي وصدى العهد لعبد الرزاق الحصان وصدى الاستقلال للحزب الوطني العراقي وصدى الوطن والاماني القومية لعبد الوهاب محمود والسياسة ليوسف غنيمة والاخاء الوطني لعبد الاله حافظ والعقاب ليونس بحري والمبدأ لجعفر أبو التمن والصباح لتوفيق المحامي والحارس لمكي جميل والوطني لعيسى طه والدستور لجميل الراوي والدفاع للجنة الدفاع عن فلسطين والجمهور لكمال الدين داود والاهالي لحسين جميل وعبد القادر اسماعيل والاحوال لجبران ملكون والاحرار لعبد الجبار الكليدار وبغداد لعبد الرحمن البناء والطريق لتوفيق السمعاني والوحدة لعادل عوني والاصلاح لمظفر فهمي والمعرض لعبد الرحمن خضر والمستقبل ليونس السبعاوي والاحوال لعزت مراد الشيخ ولواء الجهاد لفائق توفيق .

ثم مر العراق في عهد اسود مابين الفترة الواقعة عام ١٩٤٩-١٩٥٢ ، أي بين وثبة كانون ١٩٤٨ وانتفاضة تشرين ١٩٥٢ ذاق خلالها الشعب العراقي صنوف العذاب والارهاب ، وقامت السلطة الحاكمة آنذاك بشن الحملات البوليسية ضد خيرة مناضلي الشعب وضـــد الاحزاب السياسية ورجالاتها الوطنيين ، وقد زج في السجون المئات من الوطنيين وصعد المشانق بعضهم وتحمل المناضلون هذا الوضع الشاذ بصـبر وشجاعة حتى كانت انتفاضة تشرين ١٩٥٢ حصل على أثرها الشعب على بعض المكاسب كأجراء الانتخابات النيابية عن طريق الانتخاب المباشر والغاء الاحكام العرفية وأطلاق حرية الصحافة ولو فترة قصيرة لم تدم اكثر من سنة ونصف . وكانت الحكومة آنذاك قد اجازت في بداية عـام ١٩٥٠ حزب الاتحاد الدستوري لنوري السعيد وحزب الجبهة الشعبية برئاسة العميد طه الهاشمي . وفي بداية عام ١٩٥١ ، اجازت السلطات حزب الأمة الاشتراكي برئاسة صالح جبر وحزب الاصلاح الشعبي برئاسة الدكتور سامي شوكت .

وتمتعت الصحافة العراقية لأول مرة في عهد وزارة فاضل الجمالي عام ١٩٥٣ بالحرية الفكرية وكانت الاحزاب الوطنية قد بدأت تآلفها على الصعيد العملي وهي كل من الحزب الوطني الديمقراطي وحزبُ الاستقلال والحزب الديمقراطي الكردستاني (البارتي) السرى والحـــزب الشيوعي العراقي (السري) وحزب البعث العربي الاشتراكي (السري) مع بعض الشخصيات الوطنية المستقلة وخاصة المعركة الانتخابية التي اعقبت انتفاضة تشرين ، وساهمت في اجبـار الحكـومة الجمالية الاولى على اطلاق حرية الصحافة .

صحافتنا .. بين الانطلاق والتكبيل



في ٦ نيسان عام ١٩٥١ تكونت في العراق جبهة سياسية من بعض الاحزاب والهيئات والافراد بأسم « الجبهة الشعبية المتحدة » وقع على ميثاقها الوطني كل من السادة كامل الجادرجي رئيس حزب الوطني الديمقراطي وطه الهاشمي ومحمد رضا الشبيبي ومزاحم الباجهجي ونصرة الفارسي وعبدالهادي الظاهر وخدوري خدوري وعبدالرزاق الحمود وجعفر حمندي وعارف قفطان وحسن عبد الرحمن ونجيب الصائغ وعبد الرحمن الجليلي وصالح شكارة وجميل صادق وعبد الجبار جومرد ومحمود الدرة وصادق البصام وعبدالرزاق الظاهر وجعفر البدر وخطاب عيسى الخضيري وعبد الرزاق الشيخلي ، استهدفت العمل على تحقيق اصلاح شامل عاجل لاستكمال سيادة العراق واستقلاله وتحريره من كل نفوذ اجنبي ضمن

جامعة عربية متينة البنيان والعمل على صيانة عروبة فلسطين ، وابعاد العراق عن الاشتراك في الحرب وضمان حياده تجاه المعسكرين المتنازعين والتعاون مع الشعوب العربية والشعوب المحبة للسلام . وتعمل على الصعيد الداخلي لدعم الوحدة العراقية والعمل على تحقيق نظام ديمقراطي دستوري نيابي مقيد بالقانون وفسح المجال للعمل الحزبي والنقابي في جميع انحاء العراق ، وتعمل على الصعيد الاقتصادي لانقاذ العراق من الاستغلال الاجنبي لاقتصادياته .

وفي ٢٩ تموز اصدرت الجبهة العدد الاول من جريدتها بأسم « الجبهة الشعبية » وقد جاء في مقالها الافتتاحي :

« لا نبالغ اذا قلنا ان الجبهة الشعبية المتحدة وليدة الأمر الواقع قبل اي شيء آخر فهي ليست وليدة الاهواء والنزوات الآنية وليست وليدة السخائم والحزازات من اي نوع كانت .

ان الجبهة عدوة التصيد والانتهاز واستعجال الامور وهي في شغل شاغل عن المظاهر بل هي غني عن التطبيل والتزمير او عن الهتاف والتصفيق في هـذه المرحلة الخطيرة التي تجتازها البلاد .

ان هذه الجبهة بعد ان نظرت الى حالة البلاد المؤلمة التي بلغت غاية في التردي ما بعدها غاية لم تجد مناصاً من تقليب وجوه الرأي لايجاد فرج للبلاد من محنتها الحاضرة .

راع هذه الفئة من المعنيين بالشؤون العامة وجودها امام حالة واقعية اوبلبلة فكرية مزقت وحدة البلاد وازمات نفسية نغصت حياتها فرأت من واجبها ان تسعى الى رده الصدع وجمع الكلمة وتعزيز الوحدة والاتجاه بها الى خدمات اصلاحية عامة . »

وبعد أن عددت أهدافها ، أنهت كلامها قائلة :

« هكذا تم تكوين الجبهة الشعبية والتوقيع على ميثاقها وقد استهلت اعمالها بوضع اسس للتعاون مع « الحزب الوطني الديمقراطي » ثم صدر على أثر ذلك البيان المشترك بين الجبهة والحزب الوطني المذكور وسيزداد هذا التعاون توثيقاً يوماً بعد يوم ، وأن الاصلاح ليس بالأمر اليسير ، وطريق الاصلاح محفوفة بالمكاره والعقبات حتى أن اليأس قد تسرب الى كثير من النفوس ولكن

اليأس لا يجد سبيلاً الى نفوسنا اذ لا حياة مع اليأس ولا اليأس مع الحياة ، وكلما تعد به الشعب العراقي هو بذل أقصى الجهود في تذليل العقبات القائمة بغية الوصول الى الاهداف المنشودة والله من وراء القصد وانه ولي التوفيق » .

وفي اوائل شهر ايار من العام المذكور ، رفعت جمعية الصحافة العراقية التي تأسست عام ١٩٤٧ برئاسة السيد كامل الجادرجي مذكرة الى رئيس الوزراء حول حرية الصحافة في العراق وما تتعرض له الصحف الوطنية من كبت وارهاب تكاد أن تشل جهازها الهام المحرك لقوى الشعب هذا نصها :

« أن اسرة الصحافة العراقية ، على اختلاف مبادىء افرادها ونزعاتهم ، ترى أن كل عمل اجرائي ضد الصحافة من دون أن يستند الى دلائل مادية قاطعة تقع حصرا تحت طائفة القوانين العقابية يعتبر من التصرفات الكيفية التي لايقرها الدستور العراقي ويخلق بيئة سيئة لاتعرقل نمو حرية الصحافة في العراق فحسب ، وانما تؤخر الصحافة العراقية الناشئة وتجعلها في مستوى منحط ماديا وأدبيا وبذلك تحرم الدولة من ركن اساسي من اركانها الديمقراطية . ولهذا فان جمعية الصحافة العراقية التي من جملة اهدافها رفع مستوى الصحافة وتحسين مركزها الاجتماعي والادبي والدفاع عن حقوقها وضمان حريتها في ابداء الرأي والتقاط الاخبار الداخلية والخارجية ونشرها ، قد قابلت باستياء القرار الذي اتخذه مجلس الوزراء بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٥١ بتعطيل جريدتي العالم العربي والاوقات البغدادية لمدة سنة لافتقار القرار المشار اليه دلائل مادية قاطعة تتصل بالسبب الذي جرى التعطيل من أجله ، اذ لم تقتنع الجمعية بالبيان الرسمي الذي اصدرته الحكومة في هذا الشأن بتاريخ ٢٤ نيسان ١٩٥١ ، وانما وجدته بالعكس مليئا بالاتهامات والطعون في الوقت الذي سلبت فيه حق الدفاع عن الجهة التي وجهت اليها تلك الاتهامات والطعون . وكان بود جمعية

الصحافة العراقية الا تكون فقدان مؤسسة قضائية لها خصائص السلطة التنفيذية في الوقت الحاضر ويركن اليها الافراد والمؤسسات عند تعرضهم لتصرفات تمس حقوقهم الاساسية سببا للاستغلال من قبل السلطة الاجرائية .

ولذا فان جمعية الصحافة العراقية تحتج على هذا العمل وتؤمل من الحكومة أن تعيد النظر في قرارها المذكور بحق الزميلتين المشار اليهما فتفرج عنهما في القريب العاجل ، وأن تتجنب امثال هذه الاجراءات في المستقبل ، ولاسيما في حالة فقدان المؤسسة القضائية التي نوهنا عنها آنفا مجلس الدولة الذي يلجأ اليه الافراد والهيئات في جميع الدول الديمقراطية عندما يتعرضون لامثال هذه التصرفات المجحفة بحقوقهم السياسية والفردية » .

وبعد أن قدمت جمعية الصحافة العراقية مذكرتها الخاصة بشأن اطلاق حرية الصحافة والغاء القوانين الجائرة ، تعرضت الى التعطيل ثم الالغاء وتشريد الاعضاء البارزين فيها . وواجهت الصحف الوطنية والمعارضة هجوما هستيريا من قبل السلطات الحكومية لم تشهد مثله طيلة عهود الحكم الاستبدادي الرجعي ، وخاصة بعد مدة قصيرة من انتفاضة ١٩٥٢ ، بحيث كان المواطن العراقي يتعرض للسجن أو المطاردة لمجرد حمله جريدة « الاهالي » مثلا .

الا أن ذلك لم يدم طويلا ، فقد جاءت وزارة فاضل الجمالي الاولى في ١٧ ايلول عام ١٩٥٣ ، وكانت مرغمة على اطلاق حرية الصحافة (نوعا ما) نتيجة الضغط السياسي والمد الوطني الشعبي المتزايد . واعتبرت فترة (٦ أشهر) التي رافقت وزارته « عهد انطلاق صحفي » لأول مرة في تاريخ الصحافة العراقية الحديث ، المحصور بين انقلاب بكر صدقي ١٩٣٦ وانتخابات ١٩٥٣ حصيلة انتفاضة تشرين .

وبدأت الصحف العراقية تنشر على صفحاتها ما كان حبيسا في صدر

ابناء الشعب طيلة الفترة السوداء التي سبقت واعقبت الانتفاضة الشعبية التشرينية والتي قامت السلطات الحاكمة في تمييع المكاسب التي حصل عليها الشعب بدماء شهدائه الاحرار الذين سقطوا في شارع الرشيد وعلى ابواب الكليات والمدارس وفي جانب الكرخ . وكانت اول جريدة تنشر مطاليب الفئات الوطنية بصورة واضحة في اليوم التالي لتأليف الحكومة هي جريدة (اخبار المساء) لصاحبها مهدي الصفار حيث كتبت في عددها المرقم ٦٤ يوم ١٩ أيلول تقول :

« نرى بلسان هذا الشعب ان الوزارة الجديدة التي يتطلبها الظرف الراهن في البلاد يجب ان تأتي على اساس تحقيق الاهداف التالية :

اولا : الغاء الاحكام العرفية التي مضى عليها حوالي العشرة اشهر ، منذ ان اعلنتها وزارة السيد نور الدين محمود بما رافق تشكيلات هذه الاحكام بعد ان انتفت هذه الحالة التي اعلنت من اجلها الاحكام .

ثانيا : العمل على تعزيز الحياة الديمقراطية بتوفير كافة الحقوق والحريات التي توجبها النظم الديمقراطية .

ثالثا : العمل على تحقيق الرفاه الاقتصادي لجميع الناس ووضع خطة علمية شاملة للقضاء على البطالة وبذلك يشعر الشعب انه في اطمئنان معاشي فلا يلتفت ذات اليمين وذات الشمال . . .

رابعا : فسح المجال امام الاحزاب السياسية للعمل لتستطيع أن تؤدي الواجب الوطني المفروض عليها وتساهم في خدمة الشعب . . .

خامسا : اعتبار الصحافة لسان الشعب الذي يجب ان لايحرم من التعبير عن كل مايطلبه ويتحسس به والعمل على توفير الحرية والكرامة اللتين يجب ان تتمتع بهما .

سادسا : العمل على توحيد صفوف كافة الوطنيين من رجال السياسة في ميثاق وطني يهدف الى النهوض بمستوى هذا الشعب . . . »

وفي ٢٧ ايلول ، أصدر فائق السامرائي أحد أقطاب المعارضة جريدة « الجريدة » ومديرها المسؤول أحمد فوزي عبدالجبار جاء في مقالها الافتتاحي مايلي :

« في هذا العصر اللعين الذي استشرى فيه الفساد وتفشت الرشوة ودبت عوامل الانحلال الخلقي في المجتمع . وفي واقع اليم كهذا نحياه حيث انحطت القيم الانسانية في نظر الفئة الحاكمة حتى لم تعد تتورع عن ارتكاب أفظع الجرائم وأشنعها من تعذيب المتهمين وتقتيل للسجناء في وضح النهار بما لم يسبق له مثيل في المجتمعات البدائية والقبلية التي عرفتها العصور الواغلة في القدم .

وفي فترة مظلمة حالكة من تاريخها السياسي التي لم تعد تتورع فيه الجهات الاجنبية والسفارات والبعثات من التدخل في شؤون الحكم وبشكل سافر ملحوظ .

« ترى (الجريدة) بعد ذلك أن من أولى واجباتها مواصلة الدعوة لتأميم النفط لأن هذة المشكلة ليست مشكلة اقتصادية بحتة بل هي فوق ذلك مشكلة سياسية فلقد كانت شركات النفط وما تزال تتدخل في شؤون الحكم كما اثبت ذلك سجل شركة النفط الانكليزية الايرانية والوثائق التي اعلنت في ايران والتي جاءت مؤيدة لهذه الحقيقة وقد كشفت احداث ايران الاخيرة في أقصاء مصدق وقيام حكم زاهدي الانكلو أمريكي هذه الحقيقة سافرة لكل من كان تساوره بقية من شكوك وريب في هذه الحقيقة الواقعة . لذلك فأن سيادة العراق لن تحقق كاملة ولن يتحرر العراق من هذا التدخل الاجنبي الا اذا تحرر من شركات النفط ومن سلطانها المطلق الشامل ! ولن تتوانى (الجريدة) عن حرب الاقطاع حرباً لا هوادة فيها فلن يقوم في العراق حكم ديمقراطي سليم اذا ظل الاقطاع باسطاً ظله على البلاد ليقيم حكومة في ضمن حكومة ودولة في ضمن دولة ، لأن الاستعمار لن يجد له مكاناً يعشش فيه الا في هذا الوكر الدامس الرهيب » .

وفي جريدة الدفاع لصاحبها صادق البصام في العدد المرقم ٣٢٣

الصادر في ١٣ تشرين الاول نشرت برقية من البصرة تحمل ٤٠٠ توقيعاً عنهم حمدي الصالحي لتعرب عن تهاني موقعيها للشعب وأحزابه وصحفه الوطنية على انتصاره في اسقاط الاحكام العرفية وتحـــذر من المؤامرات والدسائس التي يدبرها المستعمرون ضده ويطالب مرسلو البرقية باطلاق حرية التنظيم الحزبي والنقابي وأطلاق الحريات الديمقراطية وحل المجلس ورفض كافة المشاريع والتكتلات ومعاقبة المسؤولين عن حادث سجن بغداد المركزي والكوت وأطلاق سراح جميع السجناء السياسيين .

وصدرت في ١٩ تشرين الاول جريدة جديدة أسمها « النضال » لصاحبها غالب ابراهيم المحامي ، كانت صفحاتها الأربع مكرسة في التهجم على وزارة الجمالي وانقاذ الاوضاع الداخلية بأسلوب ساخر لاذع . ففي عدد واحد صادر بتاريخ ٢٤ منه والذي يحمل رقم ٤ ، جاء في الصفحة الاولى مقال افتتاحي يهاجم « انسجام » الوزراء فيما بينهم ويفند مزاعم رئيس الوزراء في تأكيده على الانسجام المزعوم . وكلمة اخرى تحت عنوان « فضيحة الاسبوع » تتلخص حول الطلاب العشرة الذين ارسلوا قبل عامين للتخصص في شؤون النفط في لندن وأنذارهم بالتخلي عن ذلك الاختصاص والاكتفاء بطالب واحد فقط ! وفي صدر الصفحة كاريكانور يصور سياسة الوزراء تجاه فلسطين وقد كتبت تحته هذه العبارات :

الجمالي : اورفهلي ! خذ هذا أثرمه ويااالكباب (ويمد له عظمة)

الاورفهلي : دكتور ، هذا الكباب ميصير ينغش نريده للخطوط الامامية في فلسطين ! !

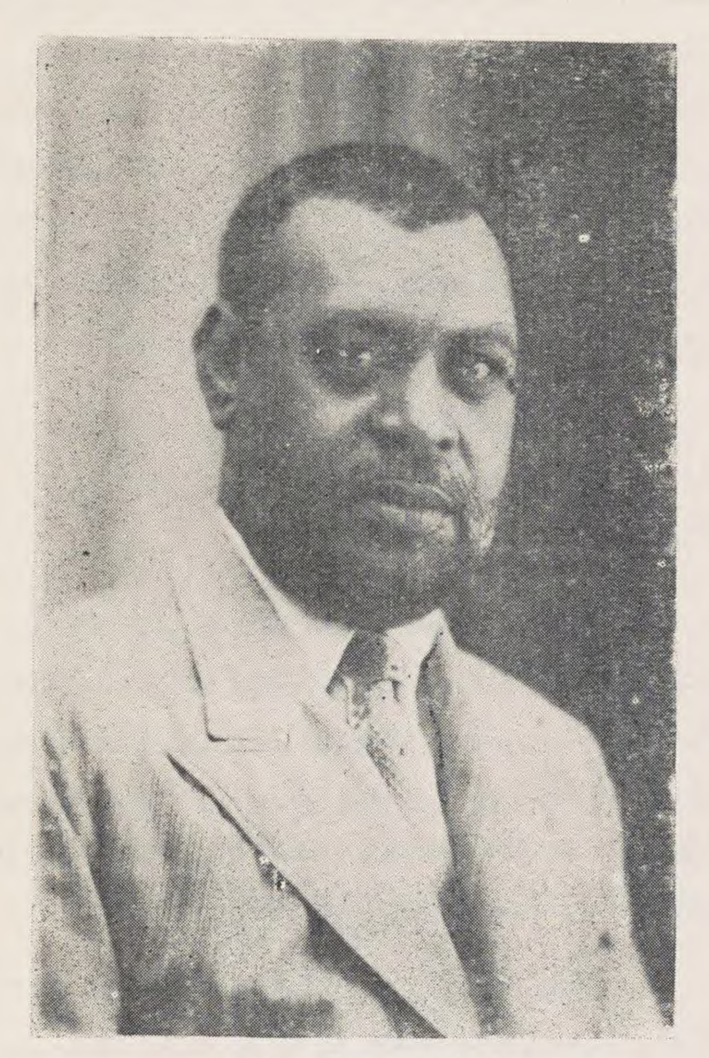
بطي : أثرم يابه « جميل » لا تعطل شغلنه اذا اكوغش مسؤول عنه أوسطة فاضل .

كما أحتوى العدد المذكور على كلمة أخرى تحت عنوان « لا يحق للوزارة الحاضرة أن تقوم بعملية التطهير » جاء فيه :

« عمدت الحكومة مؤخراً الى تأليف لجنة للتطهير برئاسة معالي السيد محمد علي محمود نائب رئيس الوزراء وعضوية صاحبي المعالي السيدين محمد شفيق العاني وصادق كمونة . وفي الوقت الذي نلح فيه على ضرورة تطهير الجهاز الحكومي من العناصر الفاسدة المرتشية المجرمة لابد أن نصارح الرأي العام بالحقيقة المرة ، وهي أن الوزارة لاهية غير جادة في موضوع التطهير بدليل أن أقتصار اللجنة على ثلاثة من أشخاص الوزراء ، ووزير رابع هو الوزير المختص دون اشراك بعض العناصر القضائية المحترمة بالاضافة الى عدم تزويد اللجنة بصلاحيات هامة أنما حدد عملها بدراسة الاضابير الشخصية وتقديم التقارير الى مجلس الوزراء حيث تلعب الوساطات والشفاعات والايدي الخفية دورها من خلف الستار على المكشوف !! على اننا نريد أن نتساءل أيحق لمثل هذه الوزارة ان تقوم بعملية التطهير ، وأي الجهازين يجب أن يطهر اولا الجهاز السياسي أم الجهاز الاداري ؟ .

والجواب على ذلك هو أن هذه الحكومة لايحق لها دستوريا القيام بتطهير الجهاز الاداري ، لأنها وزارة — كمعظم اخواتها السالفات — قد تألفت بالاساليب الشاذة البعيدة عن الوسائل الديمقراطية ، فهي وزارة لم يضع الشعب بعد ثقته فيها ، كما لايكفي لاحرازها الثقة أن يؤيدها مجلس نواب مطيعون انتخب اعضاؤه بل « عينوا » في ظل الاحكام العرفية والوضع الشاذ . . . »

ومن الصحف التي صدرت في تلك الفترة جريدة « الصحافة » في ٨ شباط ١٩٥٤ لصاحبها صادق الازدي وناصر جرجيس وكانت تمثل



ابراهيم صالح شكر



الصحف التجارية الصرفة التي زخرت بها صحافة الـ ٦ سنوات ، ولم تكن تمثـــل اية وجهـــة نظر سياســـية معارضة او مؤيدة . ومن مثيلاتهـا صحف اخرى حصل اصحابها على الامتياز دون الجدية وادراك تام للعمـــل الصحفي خـاصة في تلك الفترة التي بدأت فيهـا الصحافة تتخطى صعـاب ومآسي « الرقابة » و « وقانون المطبوعات » رجعي المفعول، واخذت تتمتع بحرية فكرية ساعدت الى حد كبير في تقويم وتقوية صحافة الرأي قبل الخبر الصـادق ، منهـــا جريدة (المبدأ) لصاحبهـا سعيد البـدري ، و (الوعي) لصاحبها سعدي الحاج كمال والعروبة لاسكندر معروف ، وجريدة النهوض الصادرة في آذار لصاحبها كامل خميس .

ومن الصحف الموالية للحكومة والتي رفعت لواء اسنادها والدعـاية لها كانت جريدة السياسة لصاحبها المحامي عبد الباقي السعيدي ، وجريدة الشعب لصاحبها يحيى قاسم .

الا أن بعض الصحف التي استمرت على الصدور في تلك الفترة ، كانت تمثل قطاعات واسعة من ابناء الشعب ، وطابعها المعارضة ، بالأضافة الى أن اصحابها كانوا من السياسيين الذين لهم بـاع طويل في نضـال شعبنا وعلى رأسهم كامل الجادرجي ومحمد مهدي كبة وصادق البصام ومحمد مهـــدي الجواهري . ومن تلك الصحف ، صوت الاهالي ولواء الاستقلال والدفـاع والحياد والرأي العام والجريدة والجبهة الشعبية واليقظة .

ومن اقوى المقالات السياسية التي اعتبرت دستورا لصحافة (٦ أشهر) المطلوب تشريعه وتعميمه للصحافة العراقية عبر تأريخها الجديد مانشـــرته جريدة صوت الاهالي في عددها المرقم ١٤٢ وبتاريخ ٢١ آذار ١٩٥٤ تحت عنوان « وزارة ضعيفة واستفزازية » قالت فيه :

« ما أن شاع بين الناس خبر استصدار مراسيم يراد بها القضاء على

القليل الباقي من الحريات العامة في البلد ، والحيلولة دون قيام الاحزاب الوطنية بواجباتها السياسية ، الا وكان رد الفعل لذلك الخبر استياءا شديدا لدى الرأي العام . وقد كان المقال الذي كتبناه في هذا الشأن يوم الخميس الماضي تعبيرا عن قلق الناس من الحركات الاستفزازية التي تقوم بها وزارة الجمالي ، ولاسيما في هذا الظرف الدقيق الذي يجتازه العراق ، والذي يراقب الشعب العراقي فيه تلك الوزارة بدقة وتأهب لما يبدر منها في حقه .

والحقيقة التي لامراء فيها ، هي أن وزارة الجمالي قد دأبت منذ توليها الحكم على اثارة الرأي العام العراقي واستفزازه بين حين وآخر ، وهي في الوقت الذي تتضايق فيه من رد الفعل الطبيعي لاستفزازاتها لدى الناس ، تعمل على الاستمرار في هذه السياسة الخاطئة التي لايمكن أن تدل بحال من الاحوال على الفطنة وبعد النظر اللذين يتطلبهما الوضع في وقت مثل هذا الوقت من حياة العراق السياسية .

وكان آخر استفزازات وزارة الجمالي للرأي العام العراقي في سلسلة الاستفزازات التي لا يمضي اسبوع دون مواجهة الناس لها منذ تأليفها في أيلول الماضي ، بيانات رئيس الوزراء في تحبيذ الاتفاق الباكستاني التركي وتصريحاته عن « تقوية النفس » ، ولا شك أن الجمالي كان يعلم - وأن لم يدرك خطورة الأمر كل الادراك على ما يظهر - أن الشعب العراقي ينظر الى ذلك الاتفاق كخطر يهدد العراق باحاطته بمثل هذا الحلف العسكري من جانبيه ، ويهدده بجره الى التكتلات العسكرية التي سبق له أن قاومها أشد المقاومة وأحبطها . ولاشك أنه يعرف أن الناس يحسون ما في مشاريع « تقوية النفس » من مرمى تتلخص في الارتماء باحضان الامريكان والانصياع لمآربهم في حماية اسرائيل وأعداد شعوب الشرق الاوسط لأن تكون ساحة حرب مدمرة . وقد لمس الجمالي ولاشك كيف

استفـــزت تلك البيانات والتصريحات الرأي العام العــراقي وأثارت السخط لديه .

ولكن الجمالي لم يتعظ بما أثارته بياناته وتصريحاته ، ففسح المجال لنشر خطاب نوري السعيد عن طريق الاذاعة الحكومية ، مما اعطاه صبغة رسمية من جهة ، وكشف عن تبني وزارة الجمالي لاراء نوري السعيد الخطرة وانصياعها لسياسته المصبوغة بالصبغة الحزبية ، بل أن السيد نوري السعيد قد اقدم على عمل آخر – بموافقة الحكومة طبعا – وهو مرافقة جلالة الملك الى باكستان واعلانه عن مفاوضات يجريها هناك باسم الحكومة التي ليست له اية صفة رسمية فيها ، وارسال احد اعوان نوري السعيد في اثره بتفويض من الحكومة الى هناك .

أن الرأي العام العراقي يعرف من هو نوري السعيد ويعرف الاسس التي يفاوض عليها باسم الحكومة العراقية ، وما هي نتائج مفاوضاته . فكل عراقي وعربي يعرف أن نوري السعيد لايهمه أمر من السياسة العامة بقدر مايهمه ربط العراق بالتكتلات الاستعمارية وفرض القيود الآستعبادية الجديدة على العراق ، ولذلك فان تبني وزارة الجمالي لسياسته وسفره الى باكستان وتفويضه مباحثة الجهات الرسمية هناك في موضوع سياسة العراق الخارجية ، كل ذلك استفزازا واضحا للرأي العام العراقي واثارة شديدة للشعب مما كان على هذه الوزارة أن تدرك نتائجه . . .

« . . أن الرأي العام العراقي الذي تأثر ابلغ التأثر من هذه المحاولة المستنكرة انما هو اشد ما يكون الآن حاجة الى الاسترشاد بأحزابه الوطنية والبلاد تجتاز ظروفا سياسية حرجة ، وهناك قناعة عامة لدى الناس دعمتها وقوتها احداث مصر وسوريا الآخيرة ، بأن وجود الاحزاب الوطنية يعتبر من اهم وسائل تنظيم الرأي العام وتوجيهه الوجهة الوطنية الصحيحة والوقوف

بوجه سلطات طائشة لاسند لها من الشعب . والشعب العراقي على اختلاف طبقاته مجمع على أن خطر الانضمام الى التكتلات العسكرية ، ذلك الخطر الموجه نحو سلامة البلاد وأمنها وحريتها ، لايمكن أن يتم الا تحت الضغط الارهابي وفقدان الحريات العامة تماما وكبت الشعب والمعارضة الشعبية ، ولذلك فهو ينظر الى كل اجراء من اجراءات الحكومة في هـذا السبيل كاجراء له علاقة كبيرة بما تنوي الحكومة القيام به من اقرار مشاريع خطرة على كيان البلاد وسلامتها . . » .

لقد لعبت جريدتنا صوت الاهالي ولواء الاستقلال دورا قياديا مع بعض الصحف الاخرى خاصة (اليسارية) في كشف المحاولات الرجعية العميلة لربط العراق بعجلة الحلف الباكستاني التركي المسند من قبل امريكا . فأدت الصحافة العراقية دورها الوطني في قبر المحاولة المذكورة في مهدها وتوعية الشعب العراقي حول اخطارها . ونستطيع أن نعتبر هـذا الانتصار (الصحفي) حدثاً ايجابياً ضمن تاريخ الصحافة العراقية قياسا الى حدث الغاء معاهدة بورتسموث الجائرة التي قبرها الشعب في انتفاضة كانون المجيدة ١٩٤٨ .

وهنا تبرز اهمية حرية الصحافة وخطورة حجبها . . . فمتى ماتمتعت الصحافة بالحرية الفكرية ، لعبت دورها الايجابي في فضح وكشف وقبر كل محاولة يراد بها تكبيل حرية الشعب . والعكس تماما ، كلما حجبت مثل هذه الحرية ، تعرض الشعب للتنكيل والارهاب ومسخ حقوقه . وتاريخنا السياسي مليء بمثل هذه (الحالات) على الصعيد الصحفي والفكري . ولهذا السبب كانت حرية الصحافة من اولى مهمات الاحزاب السياسية والقوى الوطنية وكل فئات الشعب . وكما قال الشاعر ملتون :

« اعطوني حرية المعرفة وحرية القول وحرية المناقشة التي

يرض عنها ضميري قبل أن تعطوني أي نوع من الحريات الاخرى » .

ومن ايجابيات حرية الصحافة في تلك الفترة ، العدد الخاص الذي اصدرته جريدة (لواء الاستقلال) في ٢١ نيسان ١٩٥٤ عن مأساة الفيضان وتقصير المسؤولين فيه ، وكان مديرها المسؤول قاسم حمودي وهي لسان حزب الاستقلال والتي كشفت فيه تقصير الحكومة في درء خطر الفيضان والدور الطليعي الذي قامت به قوى الشعب الوطنية في مكافحته وانقاذ بغداد من الطوفان .

ففي العدد المذكور كشف مقال بقلم فائق السامرائي تقصير الوزارة القائمة في مكافحة الفيضان في بدء هيجان الفرات . وفي الصفحة الثانية تحقيق صحفي يعتبر الاول من نوعه في الصحافة حول السداد المحيطة بالعاصمة وكيف استطاع الضباط والجنود الوطنيون صيانة بغداد من الغرق . وفي الصفحة الثالثة نشرة تدابير موسم الفيضان بالحوادث والارقام شملت الصفحة الرابعة ايضا . وفي الصفحة الخامسة انباء الفيضان من مراسلي الجريدة في عدد من الالوية العراقية ومقال عن البصرة بالمناسبة لعبد الحميد الهلالي وقصيدة الطوفان للشاعر علي الحلي ، اذ لعب الأدب والشعر دوره القيادي مع الصحافة في ذلك الحدث الهام الذي تتحدث عنه بغداد منذ خمسة عشرة عاما حيث قال الحلي :

أنا الوحش ! ! أنا الطاغوت يخشى الجرف من وعدي
أنا الغول المخيف الثائر ، الغواص في لحدي
تعاص القدر المسعور من قهرى ! فما تبدي ؟
لك الويل ، فما اشقاك للأهوال تستجدي
وفي جنبيك « اكواخ » ، من الغرقى ، بلا وعد !

تمنيت ، لو أن « القصر » في جوفي !! ، مع الوغد
لرنمت من الزهـــو عزيفاً ، من فم السعد !
واهديت من الاخياس !! للبحر ... دمى العهد !!

وعمـدت فلول الاثم بالغفران من طهـــري !
وكفرت عن اليأس بلمح من سنا فجـــري
ولملمت رؤس البؤس وفجـرت ضحى السـحري
ينابيع ، وفي الكأس رواه شـع من غوري

فلا جـور ، وطغيـان
ولا جوع ، وحرمان
ولا غرثى ، وعبـدان
ولا سجن ، وسجـان
ولا مقصلة جذت من الهامات في السجن
ضحايـا ، من بني الاحرار ، ياكفارة الطعن
ولكن شاءت الامواج ، ان ينجو دجى الجن !!
وفي اعقـابه الجان ولم يجـرفه طوفان
فيا للنـدم العـــادي
توارى شبـح الثأر !
بـلا نأمـة مـــرمار
تروي شـــهوة النار
لطمس الخزي والعار

وفي الصفحتين الداخليتين السادسة والسابعة أنباء محلية عن احداث الفيضان وركن كبير أحتوى على :

أسئلة ينبغي أن تجيب عليها لجنة تحقيق خاصة :

١ ـ هل قامت الحكومه منذ تسلمها الحكم الى حين حدوث الكسرات بتعلية أو تقوية السداد الشرقية ؟ .

٢ ـ هل كانت في مخازن الري عند حدوث الكسرات أكياس رمل فارغة وما مقدارها ؟

٣ ـ لماذا لم تفتح « محمولة » السيد طارق العسكري ؟

٤ ـ هل توجد كسرات على الضفة اليمنى من دجلة أصلح لتصريف المياه من كسرتي الداودية أو الفريحات أو مساعدة لهما في تصريف المياه ؟

٥ ـ هل كان في الامكان أحداث كسرة في شمالي بغداد لتصريف المياه الى هور عكركوف ؟

٦ ـ لماذا عزل مأمور المخازن وهل لذلك علاقة بالاكياس المستهلكة المشتراة من شركة أندروير والتي رفضها ؟

٧ ـ لو أن التدابير المتخذة في الحالات الاضطرارية عند حلول الكارثة كانت قد اتخذت مثلها بشهر أو شهرين اما كان في الامكان تفادي الكارثة ؟

وفي الصفحة الاخيرة ٦ صور للفيضان تحت عنوان :

هذا شعبكم الذي حكمتموه ثلاثين عاماً عجافاً

يادهاقنة الرجعية وحماة الاقطاع

وقد كتب تحت الصور : « الهدامون . . . في عرف الداعية التاكسي (اي الجمالي) طلاب المعاهد العالية يعملون لانقاذ بغداد . »

وفي ١٧ آب ١٩٥٤ نشرت جريدة صوت الاهالي في عددها المرقم ٢٦١ مقالاً تحت عنوان « حملة ارهابية شاملة ضد الصحافة » قالت فيه :

« تقوم الحكومة الحالية بحملة جديدة ضد الصحافة العراقية تعتبر اشد ما قامت به الحكومات العراقية حتى الان ، ومن جملتها تلك الحكومات التى استغلت الاحكام العرفية في هذا الشأن ، فأصدرت قراراً بالغاء امتيازات صحف غير سياسية من أدبية وعلمية ودينية وتجارية ، تكاد تكون هي كل الصحف التي تصدر من هذا النوع . كما أنها تعد قائمة بالتعطيل للصحف السياسية . ومن هذه الصحف الملغاة والمعطلة يمكن أن يلاحظ صفة الحملة الارهابية هذه ، وأنها تستهدف تعطيل الصحافة نفسها ، وليس الصحف المعارضة وحدها ، بحيث لا تبقى في الميدان سوى الصحف الحكومية وبعدد محدود جداً ومما تتميز به هذه الحملة أنها تقوم بصورة شاملة وبشكل دكتاتوري سافر ، بالرغم من أن هذه الحملة مرسومة منذ زمن ، وقامت الحكومة السابقة بحملة مماثلة على دفعات متتالية .

ونحن نعرف أن الغرض الاساسي من هذه الحملة الارهابية السافرة ضد وسائل التعبير لدى الرأي العام هو كبت صوت الرأي العام ، ولا سيما صوت المعارضة وتحقيق سيطرة دكتاتورية على الصحافة لم تشهد شدتها أعنف العهود الارهابية السابقة ، وقد تناولت هذه الحملة حتى الصحف البعيدة عن المعارضة ، خوفاً من أن تصبح هذه الصحف معارضة يوماً ما ، تماماً بنفس الاسلوب الذي عالجت به الحكومات الدكتاتورية السافرة في أنحاء العالم القضاء على مظاهر الديمقراطية وخنق صوت الرأي العام ، وأخضاع وسائل التعبير في البلاد للسيطرة الحكومية التامة بشكل

لا يدع مجالاً لارتفاع أى صوت ، مهما كان ، ضد الحكومة وأعمالها ، وبعبارة اخرى الاعلان بشكل عملي عن الدكتاتورية في الحكم . »

ثم تنهي الجريدة مقالها بقولها :

« أن الصحف التي الغى أمتيازها فعلاً قبل بضعة أيام تعطي مثلاً واضحاً لهذا الخرق لنصوص القوانين المرعية فأن المادة التي تجيز للحكومة الغاء أمتياز الصحف غير السياسية — وهو مبدأ غاية في الرجعية كما هو واضح ، ومخالف لاسس حقوق الملكية والاصول الفقهية — تستلزم خروج الصحيفة عن خطتها مما يمكن أن يتيح للحكومة اختلاق الحجج والمبررات في هذا الشأن — مهما كانت بعيدة عن الحق والصواب مما ليس محل بحثه هنا — الا أن هذا الاجراء الذي اتخذ مؤخراً لا يمكن أن يستند الى أي مبرر من هذا النوع — صحيحاً كان أو كاذباً — فأن بعض تلك الصحف لا تصدر أصلاً ، وبعضها صحف تجارية بحتة أو صحف دينية بحتة .

اننا لا نشك في فشل هذه المحاولة الجديدة لمحاربة الرأى العام في صحافته ، كما أن هذا الاتجاه الدكتاتوري العام سيفشل حتماً أمام مقاومة الشعب العامة ورغبته المتنامية في محاربة الدكتاتورية وأقامة حياة ديمقراطية دستورية سليمة ، وفي استخلاص حقوقه العامة والخاصة برغم جميع الذين لا يؤمنون بحقوق الشعب والذين يحاربون هذه الحقوق . »

وفعلاً . . شهدت الصحافة العراقية عهداً أرهابياً مسلطاً عليها بعد فترة الـ ٦ أشهر الممتدة من أيلول ١٩٥٣ — آذار ١٩٥٤ والتي تمتعت فيها صحافتنا بأوسع الحريات التي لم تشهدها طيلة السنوات المنصرمة منذ ما سمى بالاستقلال الوطني . فبادرت الحكومة التي مهدت لمجيء نوري السعيد الى خنق حرية الصحافة وتهديدها والغاء امتياز العديد منها والاستعداد لتهيئة

الاذهان الى ما سيقع في غضون الاشهر القادمة من مؤامرة كبرى تدبر في الاوساط الاستعمارية ضد الشعب والامة العربية .

لقد صدرت في ٦ سنوات ما يعادل أضعاف ما صدر خلال ٦ أشهر المنوه عنها انفاً من الصحف والمجلات . ولكنها في حقيقتها وجوهرها لم تكن صحفاً تذكر بل وريقات اضافت لتاريخ الصحافة سجلاً طويلاً من الاسماء (كما) وشطبت منه الكثير (مادة) . ففي الفترة الممتدة من نهاية عام ١٩٤٩ لغاية عام ١٩٥٥ صدرت في بغداد ١٠٥ صحيفة و ٥٨ مجلة ، ومن ضمنها الصحف التي ذكرناها في حديثنا السابق ، وهذه الصحف هي :

صوت الاشتراكية لسان حال حزب الامة الاشتراكي والشعب ليحيى قاسم والاخبار لجبران ملكون والزمان لتوفيق السمعاني والاوقات العراقية باللغة الانكليزية والحوادث لعادل عوني والسجل لطه الفياظ والنهار لعبدالله حسن والنذير لمكي عزيز والانقاذ لهشام الدباغ والبلاد لرفائيل بطي والعراق لرزوق غنام والعهد لخليل كنة والاراء لامين أحمد والاوقات البغدادية لزكي أحمد والعصر لعبد الأمير السعدي والاستقلال لطه لطفي البدري والهاتف لجعفر الخليلي والانباء لغازي الناصري والوطن لعبدالحميد التحافي والبلاغ لمعروف العارف والشورى لجمال العزاوي والثبات لمحمود شوكت وبغداد لخضر العباسي والحارس لصبيح الغافقي والبلد لاحمد جميل الشيخلي والنهضة لعبد الملك البدري والنداء لصلحي الطرابلسي والعزة لجليل قسطو والعراقي لمحمد توفيق العاني والامواج لعبدالرحيم الراوي ولواء الجهاد لفائق توفيق والقافلة لصفاء مصطفى والنبراس لعدنان فرهاد والشهاب لشفيق نوري السعيدي والعالم لخليل أمين المفتي والرقيب لأحمد النقيب وأخبار الساعة لرشيد علي كرم ويوسف عويد والحقيقة لحسن جواد والمستقبل لنعمان العاني واليقظة لسلمان الصفواني والرأي العام لمحمد مهدي الجواهرى والحرية لقاسم حمودي والجيل لمحمد البريفكاني وصوت

الشعب ليوسف هرمز فرجو وصوت المحاربين لتوفيق حسين والهدف لصلحي الطرابلسي وصوت العراق لصفاء الحيدري والميزان لخليل عزمي والميثاق لعبدالقادر البراك والكرخ لنجم عبود الكرخي والغد لمحمود شوكت ويوسف عويد والحساب لثابت السعودي والحديث لعبدالامير السبتي والنضال لغالب ابراهيم والتقدم لمهدي الحمداني والافكار لاسماعيل غانم والطريق لمعروف العارف والاخلاص لعدنان عزت علي واللحظة لنصار حسين الصباح وصوت الاسلام لمحمد سعيد الفاضلي والعمل لعدنان الراوي والانباء الجديدة لجواد الشهرستاني واصلاح لخليل أمين المفتي والحياة لعزالدين الريس والوادي لخالد الدرة وصوت العدالة لمحمود حسين شنشل وعالم اليوم لحسين خطاب عبداللطيف وانباء الساعة لجعفر صالح وصوت المجتمع لزكي السعدون والايام لمحمد البريفكاني والشعلة لورثة جواد موسى وأخبار اليوم لسعيد الربيعي واليوم لعبدالستار الهماوندي والعراق اليوم لجواد القدسي والجمهور العراقي لطاهر كمال الحلي والتلغراف لغازي العياش والديمقراطيه لمحمد نافع الطبقجلي والديار لحسين عبدالكريم وصدى الاخبار لجبران ملكون والعهد الجديد لشركة النشر العراقية وصدى الاحرار لمحمد الفلاحي وبغداد بوست لناجي عبدالرزاق والمجال لشاكر الجاكري والبعث لعبدالرزاق الكاظمي والاسرار لعبدالرزاق الفضلي والاعيان لنوري كمال الدين وبغداد المساء لخالد قادر وصدى الانقاذ لهشام الدباغ والشباب لعبدالمنعم الجادر وصوت الرقيب لحسن الاسدي .

اما المجلات فهي :

قرندل لصادق الازدي والعيادة الشعبية لاسماعيل ناجي وكويامارت لارام دوزيان والرافدين لبكر الجنابي والاتحاد النسائي لآسيا وهبي والنور الدينية لالياس توما والاساة لعبد اللطيف البدري واخبار العالم لشركة التايمس للنشر والقضاء لنقابة المحامين والدليل لجلال الياور والرحاب

لاقدس عبد الحميد وبنت الرشيد لدرة عبد الوهاب وعالم الراديو لكاظم الحيدري والعدل الاجتماعي لصادق السعيد والرجاء المبارك لغانم فرجو والمجلة الكاثوليكية الدينية لجوزيف جبرائيل ولغة العرب للعلامة اللغوي انستاس ماري الكرملي (وهي مجلة قديمة) والبغدادي مدرسية تصدرها ادارة كلية بغداد والتفيض لحسين علي العاني ودنيا الفكر لعبد المجيد عباس وصوت العراق لرزوق غنام والاداب لعبيد عبد الله المضايفي والتعاون لجمعية المعلمين لبناء المساكن والتجارة لغرفة تجارة بغداد وروضة الاطفال لتوفيق علي ثروت وعالم الطب لمحمد صالح البدري والاحكام القضائية لصلاح الناهي وعبد الله البستاني والمهن الطبية لنقابة ذوي المهن الطبية وصوت الوحدة لعبد الرسول كاشف الغطاء والفكر لمحمود السامرائي والشؤون الزراعية لمحمد ابراهيم السامرائي ودنيا الاخبار لبشير الدبوني والعقاب لمحمد العاني والمواطن لمحمود الدرة والمرصاد لصبيح الكبيسي والفكر الجديد لفيصل حبيب الخيزران والرسالة الجديدة لمحمد منير آل ياسين وقزموز الجديد لفرج نعوم نعمة والفجر لخليل العبوسي والصحيفة لرياض حمزة والبيان الجديد لمنير عباس سعيد والثقافة القانونية والاقتصادية والمصور لمحسن المؤمن والمختار لكاظم جواد والفنون لاحسان وهيب والفصول الاربعة لبلند الحيدري والام والطفل لجمعية حماية الاطفال والهدايا الاسلامية لجمعية الهداية والعالم الاسلامي لجمعية الشبان المسلمين والكمرك لنادي الكمرك والمضمار للنادي الرياضي الملكي والخدمات الدينية لجمعية الخدمات والطيارة لجمعية الطيران العراقية والفنان لجمعية الموسيقيين العراقيين والبعث العربي لنادي البعث العربي والهلال الاحمر لجمعية الهلال الاحمر والنداء الاجتماعي وعالم الرياضة والثقافة الصحية .

وفي الالوية العراقية صدرت الصحف التالية :

الافاق لصاحبها شاكر الهرمزي صدرت في كركوك في تموز ١٩٥٥ ، والطليعة لعبد الغفار خضر في المنتفك وصوت المنتفك لفاضل جميل في تموز ١٩٥٥ ، وصوت الجنوب لعبد المجيد حسن صدرت في العمارة حزيران ١٩٥٥ ، وفتى العراق لابراهيم الجلبي صدرت في الموصل في آب ١٩٥٥ وصوت الامة في الموصل لميخائيل حداد في تموز ١٩٥٥ ، والانشاء في الموصل ايضا لمحمود مفتي الشافعية في ايلول ١٩٥٤ .

وفي البصرة صدرت عام ١٩٥٥ الصحف التالية :

الناس لعبد السلام الشيخلي والدستور لمحمود العامر والبصرة لكامل العباجي والمنار لعبد العزيز بركات .

عوامل مساعدة لتطور الصحافة

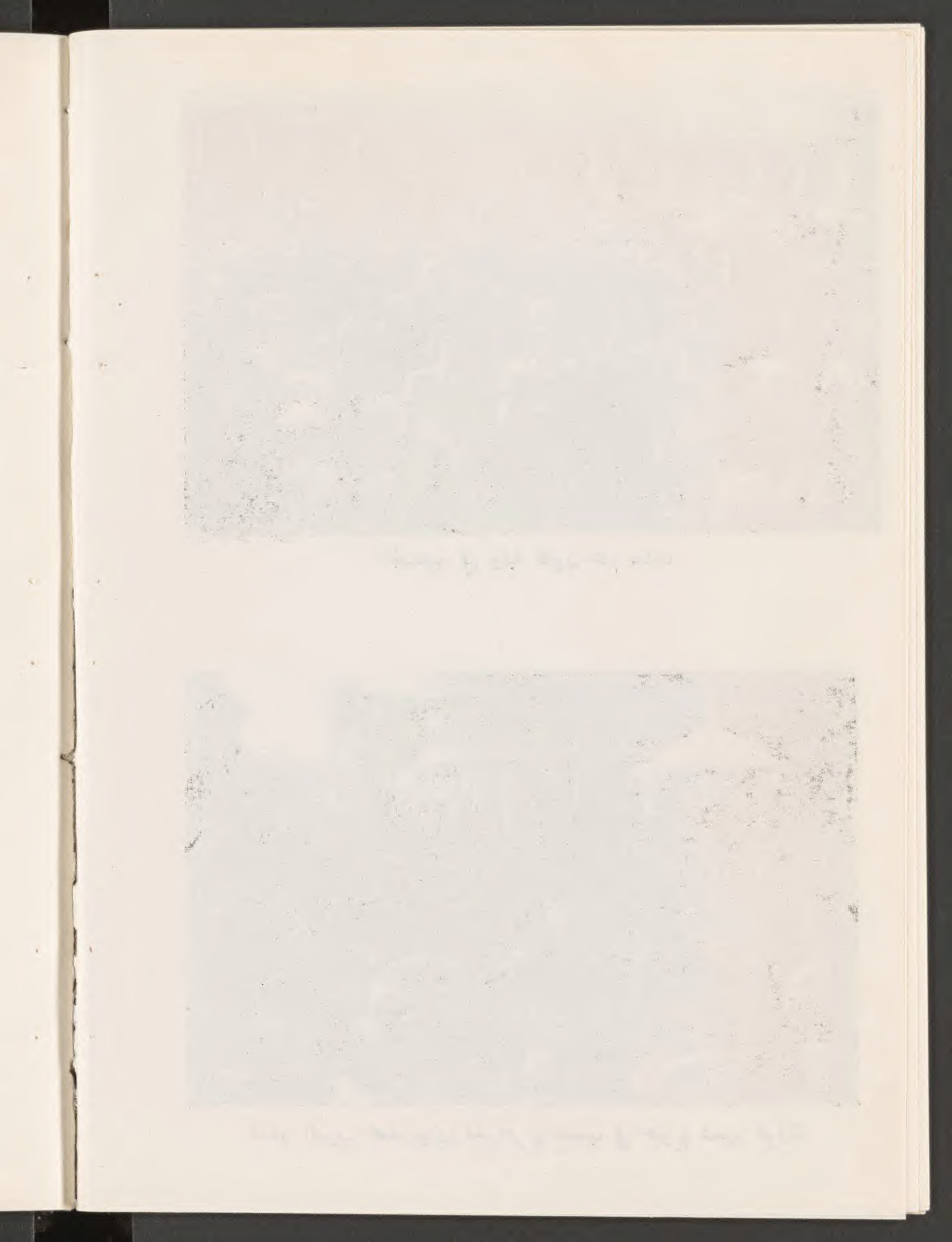




الجماهير في وثبة كانون عام ١٩٤٨



شاعر العرب محمد مهدي الجواهري يخطب في جموع شعب الوثبة



لقد رأينا مما جاء ذكره سابقاً ، أن العوامل التي ادت الى تطـور الصحافة العراقية كانت ضمن فترات زمنية فرضتها ظروف الكفاح والتطور الاجتماعي داخل نطاق الوحدة العراقية . ومن هذه العوامل فترة الكفاح الوطني التي عاشها الشعب العراقي متطلعا الى الاستقلال ومرحلة الثـــورة العراقية الكبرى لعام ١٩٢٠ وما اعقبها من اقامة نظام الاستقلال الصوري ، وانبثاق الحياة الحزبية طيلة الفترة الممتدة من عام ١٩٢٥ حتى بداية الحرب العالمية الثانية ، ثم النهوض الفكري والسياسي للسنوات التي اعقبت اندحار الفاشية وانبثاق عهـد جديد للشعوب في حق تقرير مصيرها وانطلاقتها في حركة تحرر وطني وتطلع ديمقراطي .

هذه العوامل ، كان لها الاثر المباشر لانطلاق الصحافة وتقدمها ، غير أن الواقع الذي نما عنه هذا التطور وتفتحت به تلك الانطلاقة الصحفية قد تقيد بحدود صحف عديدة متنوعة حملت على صفحاتها شتى الاراء والافكار ، وبرز من كتابها رجال فكر وطنيون ساهموا في ارساء الاسس الصحيحة لصحافة الرأي والعقيدة ، ولم تكن كما يتوقع لها المؤرخون أو الباحثون عادة عن تاريخ الصحافة العراقية من حيث مفهومها الكلاسيكي الحديث ضمن مستوياتها الفنية والعلمية .

ونستطيع القول أن الاسباب التي ادت الى تقدم صحافتنا في تلك الفترات الزمنية كانت ملزمة بالتطورات السياسية والتفاعلات المتعاقبة للحوادث التي فرضت وجودها كتاريخ سياسي للعراق . وكجزء من هذا التاريخ السياسي ، حصلت صحافتنا على قسط ليس بقليل من مواد التاريخ المسطر والمدون للامة العراقية .

ومن عوامل تقدم وتطور الصحافة العراقية ، ليس في اهمية العوامل الاخرى الرئيسية التي بحثناها ، بل كونه العامل الثانوي الذي ادى الى تحسين الشكل للصحيفة واعطاء القوة التجسيدية لروحية الخبر ، وهو ما نعرفه حديثا بالصور الدالة بعد أن تمر هذه الصور في عملية فنية اطلق عليها عملية (الطبع الزنكغرافي) تسمية لنقل الصور الفوتوغرافية (اصلا) الى صورة حجمية معجونة بمادة الزنك ، ومن ثم تثبيت (الصورة الزنكية) على خشب باحجام مختلفة تتطلبها ضرورة التبويب للمادة الخاصة بالجريدة ، ولا يمكن باية حال من الاحوال أن نعطي للخبر قيمته بدعمه بالصورة الدالة الا بعد امرار هذه (القيمة) في العمليات الخاصة بالزنكغراف .

أن اول من اسس مثل هذه الدور الخاصة للزنكغراف في العراق

هو فنان مصري استوطن العراق منذ وقت طويل اسمه فريد النحاس صاحب زنكغراف النحاس عام ۱۹۳۰ . وكان معظم اصحاب الصحف آنذاك يتعاملون معه لتجسيد العناوين والصور في صحفهم بعد أن كانوا يتعاملون مع دور الزنكغراف بالخارج وخاصة في بيروت . ولهذا السبب كنا نلاحظ قلة العناوين والصور أو انعدامها في صحفنا سواء قبل تأسيس هذا الدار أو بعد ، لاسباب عديدة منها بدائية الفن وتكاليف صنع هذه اللوحات الباهضة ، وعدم المام اصحاب الصحف آنذاك باهمية هذا اللون الجديد في الصحافة .

أن الصور الاخبارية تلعب دورا بارزا في تقوية قيمة الاحداث وتؤثر في مضمونها بالنسبة للقراء . وقد نلمس هذه الحقيقة عند مراجعة احداث الحرب العالمية الثانية أو الاحداث الثورية في مختلف البلاد ، وذلك باقبال الناس على شراء الصحف التي تهتم وتنشر الصور العديدة لتلك الاحداث . ولعبت جريدتا الاخبار والبلاد دورا في هذا الحقل وذلك بما نشرته من صور مختلفة للعمليات العسكرية في جبهات القتال ابان الحرب العالمية الثانية وبعدها . اما اهمية العناوين المخطوطة فانها تلعب دورها في تنسيق وتبويب مادة الجريدة في الصفحات العديدة الخاصة بالانباء العالمية والمحلية أو البحوث والمقالات .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، قام بعض الافراد بتأسيس دور عديدة خاصة للزنكغراف في بغداد كان منها زنكغراف بابل والبرق والشعب والزنكغراف الوطني ، كما قامت بعض دور الطباعة الكبرى بتأسيس الزنكغراف لمطبعة الرابطة ودار الأخبار .

وبالرغم من توغل هذا الفن الجديد في الصحافة العراقية ، فلابد لنا من ذكر حقيقة عدم الاكتفاء أو الاستفادة منه لسببين رئيسيين : اولهما

انشغال مثل هذه الدور باعمال تجارية وبعدها عن اماكن الصحف والابقاء على بدائية العمل مما يؤخر اعمال الجريدة . أي أن المدة التي تستغرقها عملية الزنك لصورة واحـــدة تستغرق بضع ساعات . وثانيهما الاسعار الباهضة التي فرضتها هذه الدور على نتاجها ، مما جعل من الصعوبة على بعض اصحاب الصحف التعامل معها ، ومن ثم ابتعادهم عن ادخال هذا الفن الهام الى صحفهم . وهذان السببان في الحقيقة هما حجـر عثرة في طريق نمو وازدهار الفن الصحفي في ايامنا هـذه ولكنهما يزولان نتيجة الاكثار من الدور ودخولها في منافسة حرة ، أو لربما ينجح اصحاب دور النشر والصحافة من الحصـول على دور زنكغراف خـاصة بهم لتعم الفائدة اكثر فاكثر .

ومن العـوامل الاخرى ، غزو الصحف الاجنبية والمجلات العربية خاصة من مصر ولبنان بعد الحرب العالمية الثانية . فجذبت تلك الصحف والمجلات أنظار القـراء العراقيين للفارق الشاســع بينها وبين الصحف العراقية الصادرة انذاك من ناحية غزارة المادة والصور ، وجمال الاخراج وانقان التبويب ، وتعدد الابواب والاركان وتنوع مادتها واختلاف اخبارها واناقة الطبع ، واحتوائها على كل ما يحتاج اليه القارىء من سياسة وادب وفن . هذا التباين الواضح بين اية جريدة عراقية أو مصرية ولبنانية هو الذى دفـــع أصحاب الصحف العراقية الى محاولة (التقليد) ولو بنسب ضئيلة وفق الامكانيـات الفنية المتوفرة لديهم من أجـل ربط القارىء العراقي بصحفهم .

أن هذا الغزو الفكري فتح الطريق أمام الصحافة العراقية لان تظهر علي حقيقتها في عـدم مسايرتها التقـدم والتطور الصحفي من جهة ، وتفاهة موادها وتخبطها في التسابق للظفر باكبر كمية من الاعلان التجاري ما دام هناك قارىء قد اجبر بحكم الواقع على قراءة ما توفر من الصحف

المحلية لعدم وجود (المنافسة) . غير أن العامل (الايجابي) في هذه العملية ، وضع حداً لهذا التخبط والفوضى ، فأجبر القارىء العراقي أصحاب الصحف على الاعتناء بصحفهم لكسب ثقته قبل فوات الاوان .

أن التأثير المباشر الذي استطاعت الصحف العربية والاجنبية بصورة عامة أحداثه في الصحافة العراقية هو انقاذها من التخبط ، وهذا التأثير وضع لها بعض الاسس الصحيحة وأوجد المقومات الاولية لما تكون عليه الصحافة العامة . فلاحظنا التسابق السريع للظفر بأكثر ما يمكن الظفر به من عالم (الفن الصحفي) المستورد ، في وقت كان لزاما على الصحافة العراقية ذات الماضي المشرف في قيادة الفكر العربي والرأي السياسي الصريح وقوة ديباجة كتابها وصحفيها الاوائل ، أن تبادر هي الى وضع أسسها الحديثة . غير أننا لابد من الاعتراف بأن المسؤولية الكاملة لا تقع على عاتق أصحاب الصحف وحدهم لاسباب عديدة شرحنا بعضها ، في نفس الوقت الذي نحملهم الجزء الاكبر من تلك المسؤولية لجمود بعضهم في تفكيرهم وتعلقهم بالمادة الشرائية اكثر من تعلقهم بالرسالة الصحيفة ، وتاريخ صحافتنا الحديث ملیء بالامثلة والارقام لهذا الواقع المؤلم .

وكنتيجة حتمية (لفرض) ارادة الصحافة العامة الحديثة العراقية ، آفاق بعض أصحاب الصحف من غفوتهم ، وتحسسوا واقع صحافتهم وهي تتدهور ، ولمسوا ما قد يؤثر غزو الصحف العربية على نتاجهم ، فكان لابد من أتخاذ خطوات بناءة لتدعيم كيان الصحافة المتصدع . وأول عمل قام به أصحاب بعض الصحف تجاه هذا الواقع تأسيس المطابع الحديثة لدور نشرهم وذلك باستيراد المكائن والالآت الحديثة الطباعية والتي لعبت دوراً بارزاً في تطور صحافتنا الى وقت قريب .

فالمعلوم أن الطريقة البدائية التي سارت عليها صحفنا طيلة الفترة

الممتدة قرابة خمسين عاماً كانت تتخذ طابعاً مألوفاً في اصـــدارها وفق امكانياتها الفنية الضيقة آنذاك ، ومنها الحـروف (الهجائية) المتفرقة التي تكون الكلمات ، فالاسطر فالخبر أو المقال ، والتي تجمع من قبل اليـــد العاملة غير (الآلة) . يشارك العامل هذا عدد آخر من العمال يخضعون لوقت معين من أجل اصدار جريدة يومية بثماني صفحات ، وهم لايقلون عن ثلاثة عشر عاملاً يعملون في وجبتين يومياً لترتيب الصفحات من حيث تجميع حروف المواد المطلوب نشرها قبل الطبع .

اما بالنسبة للآلات والمكائن الحديثة التي دخلت ميدان الصحافة في الاونة الاخيرة (بالنسبة للعراق) ، فان الماكنة الواحدة تحتاج الى عامل واحد يستطيع (جمع) ثلاثة اعمدة للجريدة في الساعة الواحدة . فتكون الجريدة لذلك العمل بحاجة الى اربعة عمال فقط ، وتحتوي الجريدة وفق هذا المبدأ على مواد اكثر تعادل ضعف ماتستوعبه الطريقة البدائية . هذه المكائن يطلق عليها اسم (اللانيوتايب) . ومن ميزانها انها بامكانياتها الفنية أن تزود الجريدة بانواع الحروف وبلونين اسود وغامق ، بالاضافة الى نوعية الحرف الواحد الذي يكون اعتياديا أو اصغر وهو ما نعرفه ببونط ١٠ أو ١٤ مثلا ، ثم العناوين البارزة التي تعرف باصطلاح (بولد) ، وهـذه جميعها تسميات واصطلاحات فنية يعرفها العامل والمحرر وكل العاملين في الحقل الصحفي (المفروض ذلك !)

وبجانب المكائن المذكورة ، دخلت مكائن الطباعة الحديثة الاوتوماتيكية ومنها مكائن دي لوكس والروتتف السريعة ومكائن طبع الاوفست ، وهي بامكانها طبع الجريدة بثماني صفحات مرة واحدة وبلونين . بينما كانت معظم المكائن القديمة تعتمد على اليد ، أي مكائن طبع يدوية . ومقارنة بسيطة لعملية الطبع يوميا ، نستطيع أن نؤكد أن الماكنة الواحدة القديمة كانت تطبع كل صفحتين بمعدل الف نسخة في الساعة الواحدة ، أي أن

الجريدة تأخذ مجالها للطبع اربع وجبات ، كل وجبة صفحتين وتستغرق العملية اليوم بأكمله منذ الساعة الواحدة ظهرا حتى مطلع الفجر . بينما اصبح بالامكان أن تطبع ماكنة دي لوكس الاوتوماتيكية الجريدة بثماني صفحات دفعة واحدة بمعدل ٨ ــ ١٠ الاف نسخة بالساعة الواحدة ، وماكنة روتنف بمعدل ٣٠ ــ ٣٥ الف نسخة في الساعة الواحدة .

أن اول جريدة نجحت في استيراد مثل تلك المكائن والالات هي جريدة (الاخبار) البغدادية لصاحبها جبران ملكون وذلك في عام ١٩٥٣ . وصدرت الاخبار بشكلها الجديد الحديث لاول مــرة في تاريخ الصحافة العراقية ، اعقبتها جريدة (الشعب) لصاحبها يحيى قاسم عام ١٩٥٥ ، ثم جريدة الزمان والبلاد والحريــة في عامي ١٩٥٦ ــ ١٩٥٧ . وتقلصت دور الطبع (اليدوية) .

وبالاضافة لمبادرة بعض اصحاب الصحف الى استيراد هذه الالات والمكائن الطباعية الحديثة ، فان بعض اصحاب المطابع الاهلية الذين قاموا بتأسيس شركات طباعة ونشر نجحوا ايضا في تطوير فن الطباعة الحديث وذلك باستيراد وتأسيس مطابع حديثة ، ومن اكبرها مطبعة الرابطة التي أسسها عبد الفتاح ابراهيم رئيس حزب الاتحاد الوطني بعد الحرب العالمية الثانية والتي تعرف اليوم بدار الجمهورية حيث أسس اول مطبعة اوفست (الالوان) واستورد لها اضخم المكائن الطباعية . ومن هــذه الشركات ايضا ، شركة التجارة والطباعة ، وشركة ثنيان (الشركة الوطنية) ، ومطبعة الحكومة ، والجيش .

وهناك عامل آخر ساعد في تطوير الصحافة عندنا هو تأسيس وكالات الانباء العالمية . فقد دأبت الصحف منذ تأسيسها حتى عام ١٩٥٧ على التقاط ونشر الانباء العالمية عن طريق جهاز الراديو حيث يعتمد محرر الانباء

على كفاءته في السرعة الاملائية لالتقاط الانباء مباشرة من نشرات الاخبار من محطات العالم الرئيسية . الا أن تأسيس مكاتب وكالات الانباء العالمية في بغداد عام ١٩٥٦ ، ساعد اصحاب الصحف على الاستفادة منها وذلك لقيام هذه المكاتب بتزويد الصحف بنشرات اخبارية مطبوعة باللغة العربية صباحا ومساء . ولا نستطيع أن نجزم بان هذه النشرات دفعت باصحاب الصحف الى الاستغناء عن جهاز الراديو ، بل بالعكس انها ساعدت المحرر على تتبعه محطات العالم لملاحقة آخر تطورات الحوادث .

ومن هذه الوكالات ، وكالة الانباء العربية (رويتر) ، وكيستيون ، ووكالة انباء الشرق الاوسط المصرية ، ووكالة الاسوشيتدبريس واليونايتدبريس للاخبار ، ووكالة مونارد الايطالية ، ووكالة الصحافة الفرنسية ، وكلها تأسست قبل ثورة تموز المجيدة . وبعدها تأسست وكالة الانباء السوفيتية (تاس) ونوفوستي ، ووكالة شنخوا للصين الشعبية ، ووكالة (أدن) لجمهورية المانيا الديمقراطية . ثم بدأت وكالة الانباء العراقية (الوطنية) بتزويد الصحف بالانباء المحلية والتصريحات الرسمية وموجزاً للانباء الخارجية حيث تم تأسيسها عام ١٩٥٩ .

وفي عامي ١٩٥٧ ــ ١٩٥٨ ، قبل اندلاع ثورة تموز الخالدة ، استطاعت صحيفتا البلاد والاخبار في الحصول على جهاز لاقط خاص للأنباء عرف (بالتلبرنتر) بعد حصول اصحابها على امتياز خاص من وكالة الاسوشيتدبريس . وهو جهاز بسيط اوتوماتيكي ينصب في غرفة المحرر ليلتقط كل الانباء العالمية السياسية والفنية والرياضية والادبية من قبل المركز الفرعي الرئيسي في (بيروت) طوال اليوم باللغة الانكليزية . ويقوم المحرر الخاص بتزيد الجريدة بما تحتاجه من هذه الاخبار المرسلة من جميع مراسلي الوكالة في انحاء العالم .

وبجانب وكالات الانباء في بغداد ، والجهاز اللاقط الخاص ، ادخل بعض أصحاب الصحف جهاز التسجيل (ريكوردر) لمساعدة محرر الشؤون الخارجية في تسجيل جميع النشرات الاخبارية ثم الاستفادة من أهم الانباء والتعليقات السياسية الدولية . فكان تأثير هذا الجهاز اختصار الوقت وأفساح المجال أمام المحرر لانتقاء أهم الاخبار بدون أن يبذل جهداً (مضاعفاً) في كتابة أخبار المحطات الواحدة بعد الاخرى بسرعة أملائية مرتبطة بسرعة (الالقاء) وهو عمل متعب قد لاينجح المحرر في ملاحقته الاخبار.

ومن العوامل الاخرى التي ساعدت على تقدم الصحافة ، دخول عنصر التصوير المحلي ، وتعيين مصور خاص بالجريدة . ومن أوائل المصورين الصحفيين الياس جموعة الذي قام بدوره بتصوير جميع الاحداث المحلية التي جرت في عدة مناسبات يساعده في ذلك المصور انتران . ثم ظهر آخرون بعد ثورة تموز منهم حازم باك وجونسن ابراهيم .

وفي عام ١٩٥٦ ، أدخل (لبناني) فن (المانشيت) وذلك عن طريق (الخط) للعناوين الرئيسية البارزة في صدر الصفحة الاولى حيث يقوم بالاستفادة من مادة البلاستيك المطاطية لاكمال (المانشيت) بدلاً من مادة الزنك التي تكلف ثمناً باهضاً . ثم استطاع بعض الخطاطين العراقيين أتقان المهنة ونجحوا في إدخالها لمعظم الصحف العراقية ومنهم مالك المقدادي وصادق الصائغ وكريم سلمان ومحمد سعيد الصكار والفنان غازي .

☼ ☼ ☼

وعندما أقدم الخائن نوري السعيد في عام ١٩٥٥ على ربط العراق بعجلة حلف بغداد المشؤوم ، الغى كافة امتيازات الصحف الصادرة في تلك الفترة وفق المرسوم الخاص بالغاء الجمعيات والنوادي المجازة في ١٩٥٤/١٠/٣٠ والمرسوم الخاص بالغاء امتياز كافة الصحف في ١٩٥٤/١٢/١٣ وجدد امتياز الصحف التالية وهي كل ما تبقى من تاريخ الصحافة منذ

نشوئها حتى فجر الرابع عشر من تموز الخالد :

اليقظة لصاحبها سلمان الصفواني والاخبار لجبران ملكون والزمان لتوفيق السمعاني والحرية لقاسم حمودي والشعب ليحيى قاسم والحوادث لعادل عوني والاوقات العراقية باللغة الانكليزية لعائلة رسام والبلاد لرفائيل بطي بجانب مجاتي الوادي لخالد الدرة وقرندل لصادق الازدي .

لقد كانت معظم تلك الصحف تؤيد سياسة الحكومات المتعاقبة على دست الحكم منذ عام ١٩٥٥ حتى منتصف عام ١٩٥٨ ، أي قبل اندلاع ثورة العراق الكبرى في ١٤ تموز المجيد عدا جرائد البلاد والحرية واليقظة المعروفة بميول اصحابها القومية والوطنية .

ولو تصفحنا العدد الصادر بتاريخ ١٣ نيسان ١٩٥٦ من جريدة الزمان وهو يحمل رقم ٥٦١٦ ، لوجدنا التطور الملموس الذي ذكرنا اسبابه أنفاً على جل صفحاتها كما نلمسه في بقية الصحف الصادرة في تلك الفترة . ففي الصفحة الاولى نقرأ العديد من الأنباء الخارجيه والمدعمة بالصور الاخبارية كما تحمل (المانشيت) الرئيس في صدر صفحتها وهو : المفاجاة التي تنتظر الشاه في موسكو . وفي الصفحة الثانية والثالثة تراجم سياسية وعربية . وفي الصفحتين الداخليتين الانباء المحلية العديدة ، ثم البحوث العلمية في الصفحة السادسة وركن الرياضة في الصفحة السابعة ، والانباء الخارجية على الصفحة الثامنة ، وهي مطبوعة باللونين الاحمر والاسود . اما الاعلانات فكان نصيب كل صفحة داخلية ما يعادل نصف مساحتها . وكانت جريدة الزمان لا تلتزم بالمقال الافتتاحي أو المقالات التحليلية الاخرى ، وغلب طابعها التجاري على رسالتها منذ تأسيسها حتى الايام الاولى من ثورة تموز بعد تعطيلها فترة من الزمن على أثر تعطيل البقية من الصحف التي طالب الشعب بتعطيلها في المظاهرات التي اعقبت انتصار الشعب في ثورة

تموز المجيدة .

وجريدة الاخبار ، لم تختلف عن زميلتها الزمان من حيث المادة والاعلان الا انها امتازت بتنوع أخبارها الخارجية وصورها الاخبارية العالمية بمساعدة جهازها اللاقط الممنوح لها من قبل وكالة الاسوشيتدبريس بموجب العقد المبروم بينهما كاشتراك شهري لقاء تزويدها بالانباء والبحوث والصور ، وكانت في بعض الايام تنفرد بنشر أدق الصور العالمية والأخبار الدولية .

أما جريدة الشعب ، فكانت معروفة بميولها الغربية المكشوفة وأسنادها لسياسة نوري السعيد ، ولم تختلف (صحفياً) عن الزمان والأخبار سوى أنها كانت تصدر بحروف يدوية قبل أن ينجح صاحبها فيما بعد بجلب المكائن الحديثة . وهذه الصحف الثلاثه مع جريدة الحوادث المسائية التي كانت تصدر بأربع صفحات فقط وجريدة الاوقات العراقية الانكليزية عطلت بعد اليوم الأول من ثورة تموز نتيجة الضغط الشعبي المتزايد الذي كان يطالب بتعطيلها حيث كانت جدران الشوارع تزخر بهذه الشعارات . وهذه حقيقة ونتيجة حتمية لما كانت تسير عليه سياسات تلك الصحف . إلا أنها كانت من الناحية الصحفية ناجحة الى حد ما لما ادخلته من التطور والتقدم التكنيكي والفني على الصحافة العراقية وأقدام أصحابها على جلب المكائن الحديثة .

إلا أن صحف الحرية واليقظة والبلاد ، رغم امكانياتها الضيقة كانت واسعة الانتشار لاتخاذها خط الدفاع عن مصالح الشعب العراقي والامة العربية خاصة ابان العدوان الثلاثي الغادر على مصر عام ١٩٥٦ ووقوفها بجانب قضية الشعب المصري بكل قوة رغم الارهاب والاضطهاد الذي تعرض له الشعب العراقي على يد حكومة نوري السعيد العميلة .

ومن مواقف جريدة الحرية القومية ومعاداتها الاستعمار الامريكي ،

ماكتبته في عددها الصادر في ١١ نيسان ١٩٥٦ في العدد المرقم ٥٥٧ تحت عنوان « واشنطن والشيطان » قالت فيه :

« اعلن الرئيس ايزنهاور ان حكومته ستساند اية دولة تتعرض للعدوان في الشرق الاوسط . ومثل هذا الاعلان في مثل هـذا الظرف الدقيق يحمل اكثر من المعنى المطلق الذي قد يتوهم البعض ان الرئيس الامريكي قد قصد اليه . . ! فهل اراد الرئيس ايزنهاور ان يساند ـــ فعلا ـــ اية دولة تتعرض للعدوان حتى ولو لم تكن هذه الدولة اسرائيل ؟ !

ان حوادث الماضي القريب والبعيد ، بل حوادث فلسطين بعد مأساة عام١٩٤٨ قد برهنت على ان المقصود بهذا الاسناد لاية دولة تتعرض للعدوان وانما ـــ بالذات ـــ اسرائيل وحدهـا لاغـــير . فقـــد طالمـا اعتدت اسرائيل على الدول العربية .

وقد طالما هاجمت قواتهـا ـــ كما يفعل الكلب المسعور ـــ على التوالي مصر وسوريا والاردن وكان لها في كل شهر او اقل في كل اسبوع ضحايا تراق دماؤهم على مذبح الوحشية اليهودية . ومع ذلك فلم يرتفع في البيت الابيض صوت ليقول للمعتدين قفوا عند حدكم ! بل لم يتعهد الرئيس الامريكي او دوائر لندن وواشنطن بأمر الامن في الشرق الاوسط الا عندما ظن اليهود ان ميزان القوى قد بدأ ينحرف قليلا ليجعل الدول العربية بمجموعها تساوي من حيث القدرة والامكانيات العسكرية قوة اسرائيل الدولة اللقيطة الدخيلة .

وقد ارسل الرئيس ايزنهاور تهديده ؟ انه اختار الفترة التي وصل فيها السكرتير العام للامم المتحدة الى الشرق الاوسط والفترة التي بدأت اسرائيل تجأر فيهـا بالشكوى من نشاط الفدائيين المصريين . وقد لايستبعد ان يعتبر هذا النشـاط عدوانا تستغله الولايات المتحدة لاسناد اسرائيل !

اننا لانستغرب ان تقف واشنطن هذه المرة ايضا الى جانب اسرائيل وهي التي انشأتها وتعهدت كيانها . ولكننا نحذر من في المضي في هذا الاتجـاه الذي لم يترك لواشنطن صديقا في الشرق الاوسط والذي سينتهي حتما باهل هذه المنطقة الحيوية من العالم الى مصافحة الشيطان اذا ما وجدوا ان هذا الشيطان سيضر بالمصلحة الامريكية . وكل البوادر حتى الان تشجع على مصافحة الشيطان ! »

كما كانت (الحرية) تهتم وتبرز الاخبار النضالية للشعب الفلسطيني والمصري وتهاجم السياسات الغربية تجاه القضايا القومية العربية ، شـأنها

في ذلك شان جريدتي اليقظة والبلاد .

وفي شهر تشرين الاول من عام ١٩٥٦ ، قبل واثناء العدوان الثلاثي الغادر على مصر ، شنت الصحف المذكورة حملة شديدة على الاستعمار واسرائيل ووقفت موقفا قوميا بجانب الشعب المصري مما عرض اصحابها الى لفت النظر والانذار عدة مرات من قبل وزير الداخلية الذي قال لرئيس تحرير « البلاد » بعد نشره صورة القصف البربري على مدينة بور سعيد في نصف الصفحة الاولى أي على ٨ اعمدة بالحرف الواحد : « وين تصدر جريدتك في بغداد ام القاهرة ؟ » فرد عليه رئيس التحرير : « لافرق عندنا بين بغداد والقاهرة ، فاننا نتعرض لعدوان غادر . » فاحتد الوزير السعيدي وقال : « امامي اوامر بتعطيل جريدتك والحرية واليقظة ، فاما بور سعيد أو نوري السعيد . » .

وفي ٢٦ تموز من العام المذكور ، عندما اعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس ، كانت جريدة البلاد الوحيدة التي نقلت خطاب عبد الناصر التاريخي بالنص نقلا عن اذاعة القاهرة والذي شغل الصفحة الاولى والثامنة ، حيث تناوب على نقله من الراديو مباشرة كل من عبد الله الخياط وكان يعمل محررا للشؤون الخارجية ، وسليم البصون وشاكر اسماعيل وكمال بطي الذي كان يرأس تحرير الجريدة آنذاك بعد وفاة صاحبها في ١٠ نيسان ١٩٥٦ . فكل واحد من هؤلاء كان يحتل مكان الاخر عندما يرهقه النقل المباشر . وصدرت البلاد في اليوم التالي وهي تحمل نص الخطاب المذكور ولم يبق من اعدادها نسخة واحدة بعد مرور ساعة على صدورها مما اضطر صاحبها الى طبع الخطاب ظهرا في عدد (ملحق) خاص بلغ عدد توزيعه (٢٠) الف نسخة وهو رقم قياسي لم تصله اية جريدة في تاريخ الصحافة القديم والحديث آنذاك . وقامت جريدة (اليقظة) المسائية بنشر الخطاب نقلا عن [البلاد] ونفذت بعد

دقائق من صدورها . فسجلت الصحافة العراقية ذلك اليوم اول نصـــر صحفي في تاريخهـا على الصعيدين الوطني والفني . ففي نفس اليـــوم نشـــر خطـاب عبد الناصر في كل الصحف المصرية واللبنانية والبلاد العراقية بالنص .

واثناء العدوان الثلاثي الغـادر ، نشـــرت جريـدة البلاد في عددهـا المرقم ٤٧٩٦ والمؤرخ في ٤ تشرين الثاني مقالا افتتاحيا بعنـوان « واجبنا اليوم » قالت فيه :

« اليوم وفي هذه اللحظة تضرب قوات المعتدين المدن المصرية ويخر صرعى عدوانها المئات من اخواننا العرب وتسقى دماؤهم أرض مصر ، ارض العروبة ينزف في قلب كل عربي بالدم دم الجراح الذي فجرها العدوان .

ايها العرب ، يادول الكرة الارضية ، أن نضال مصر هو نضال العالم باسره أمام الطغيان الباغي . فلم تعد المعركة مجرد كبت لحرية مصر ولكنها انتهاك لحرمة ومبادىء دول العالم قاطبة ولن يكتب للمعتدين النصر اذ أنها معركة خاسرة كما تنبأ بذلك ايزنهاور وهـــو قائد جيوش الحلفاء التي انتصرت على دول المحور في الحرب العالمية الثانية وهو يعلم مايقول .

ان واجب كل عربي وكل محب للحرية وكل حر في العالم ان ينتصر لمصـــر وانتصاره هذا ان هو الا انتصار لحرية ولمبادىء العدل والقانون .

لا ولن تنتصر بريطانيا وفرنسا واسرائيل على مصر وان احتلتها الجيوش وان ابادت جميع المصريين فأن من مصر اندلعت شرارة نضال وكفاح طويل الآجل سيعم جميع العالم تتزعمه الدول المحبة للحـــرية والذائدة عنها لابل ستتزعم هذا الكفاح حتى حليفات بريطانيا وفرنسا .

وفي هذ الوقت نطلب الى العرب ان يكونوا حذرين فأن للمعتدين جيوشاً من الجواسيس والخونة ستستغل هذه الفرصة للنيل من كرامتنا في سبيل اسرائيل وبريطانيا وفرنسا . »

وفي مقال آخر بتاريخ ١٢ كانون الاول قالت البلاد :

« لقد هب العرب دفعة واحدة بوجه العـدوان المثلث الاثيم على

على شقيقتنا مصر كما سيقفون متحدين في وجه أي عدوان آخر تسول له نفس المعتدي . هذه حقيقة واقعة لا مجال للشك فيها .

أما بشأن الخلافات القائمة بين العرب فلا ينخدع الاعداء أو يفرحون بها فأنها خلافات زائلة لا محالة ولا تؤثر بأي حال من الاحوال على وحدة صفوف الامة العربية المتراصة واذا كانت الخلافات بين الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لم تؤثر على الوقوف صفاً واحـداً في سبيل المصالح المشتركة فليس هذا بعيد على أمة العرب خصوصاً وأن لنا مصالح وشؤونا تجمعنا اكثر مما تجمع غيرنا .

خاضت مصر المعركة مع المعتدين ، وكان العرب من الاطلسي الى الخليج العربي خاضوها حربا واحدة وبالا على المستعمرين ، وسنخوض كل معركة نضطر لخوضها في سبيل كرامتنا وشرفنا وليفهم العالم كله اننا امـة واحدة مهما حاول البعض تفرقتنا .

اننا نهيب في هذه اللحظة الحاسمة من تاريخ العرب باقطار البلاد العربية أن لاتتمادى بالمهاترات التي لاطائل منها اذ لابد أن تنقشع هده السحابة السـوداء من سماء العرب ويعود العـرب الى مصافحة بعضهم بعضا ولسان حالهم يقول تباً لهذا اللسان فانه لم يكشف عن حقيقة مـا في قلوبنا من حب متبادل واخوة صادقة .

واختتمت الجريدة قولها :

« ... ايها العرب ! لازلنا في منتصف الطريق في نضالنا ، واسرائيل لازالت تحاول فاشلة بان تنخر في جسم الامة العربية ، وليعلم العرب انه في الوقت الذي يغادر الانكليز والفرنسيون ارض الكنانة منكسي السلاح بعد فشلهم الذريع في محاولتهم لايزال هناك عدو لنا كشف النقاب للعالم

اجمع وللعرب خاصة عن نواياه الاثيمة ورتله الخامس منتشر في كل مكان يحاول الايقاع بنا عسى أن يكون اشتراكه بالعدوان على كنانة العـــرب وانكسار شوكته درسا رادعا كلفه ثمنا باهضا . »

وفي اواخر شهر تشرين الثاني عام ١٩٥٧ ، تعرضت جريدة البـــلاد للتعطيل لمـــدة ٣ أشـــهر بسبب نشـــرها مقـــابلة صحفية مـــع الرئيس جمال عبدالناصر ، وتعطلت معهـا جريدة اليقظة المسائية لنفـس المدة وبسبب نقلهـا التصريح بالنص في عدد المسـاء . وكانت المقابلة قد تمت بالقاهرة اجـــراهـا مراســـل الجريدة (المؤلف) وقـام بتنفيذها احـــد محـرري الجريدة وأرسلت الى بغداد حيث تم نشر المقابلة مـع صـــورة كبير تجمع الرئيس عبد النـاصر مـع المحـــرر في نفـس اليوم الذي نشرت فيه في صحف القاهرة واذيعت حرفياً من اذاعتي القاهرة وصوت العرب . وقـد صـادف يوم نشر المقابلة التاريخية التي استطاعت جريدة البلاد الحصول على تصريح خاص من الرئيس جمال عبدالنـاصر لاول مرة في تاريخ الصحافة العراقية ، صادف عيد ميلاد عبدالآله ونشرت صورته صغيرة على عمود واحد في وقت نشرت المقابلة والصورة على خمسة اعمدة ، مما أثارت عبدالاله شخصياً والحكومة العميلة معاً .



فهمي المدرس



صحافة العراق في ثورة تموز

استمرت الصحف السبع التي ذكرناها على الصدور طيلة ايام العهد (المباد) الاخيرة ، والتي ختمت بصدورها ، تاريخيا ، فترة طويلة من تاريخ الصحافة العراقية امتدت قرابة أربعين عاماً منذ أنسلاخ العراق من ربقة الامبراطورية العثمانية . ووقفت جريدة « البلاد » في ١٥ تموز عام ١٩٥٨ لتعلن « الثورة » و « انبثاق الجمهورية العراقية » ولتحكي للشعب قصة الثورة منذ دقائقها الاولى في يوم النصر حتى تم لشعبنا القضاء على ذلك العهد الاسود من تاريخ العراق السياسي . وفتحت بصدورها ، أول عهد من تاريخ صحف العراق بعد ميلاد الجمهورية ، كأول جريدة عراقية شاركت في تطور الصحافة وواكبت الحركات الوطنية وسجلت أحداث تاريخ

الشعب منذ عام ١٩٢٩ حتى تأسيس الحكم الوطني الجمهوري .

وقد جاء في أول مقال افتتاحي للبلاد :

« ياشعب العراق الحر

يا أبناء الرافدين المغاوير

انطلقت الرصاصة الاولى في ساعة باهرة من فجر أمس ..

أنطلقت بيد جيشك الباسل لتستقر في صدر الاستعمار واذنابه ، انطلقت مع تباشير الفجر الجديد ليوم جديد .. لتاريخ جديد .. فهب الشعب المناضل ليضع يده في اليد التي أطلقت الرصاصة الاولى .. وخرجت جماهير العراق وهي تهتف بحياة الجيش المحرر .. جيش العراق الصنديد .. ضباط وجنود الوطن الذين أبت نفوسهم الا أن تطهر هذا الوطن العزيز من الاذناب .. أذناب الاستعمار الذين باعوا العراق الحبيب الى أسيادهم المستعرين طيلة مده الثلاثين سنة المنصرمة .

ياشعب العراق المناضل

في الساعات الاولى من صباح أمس .. كتب جيشك الباسل اول حرف في صفحة تاريخك الجديد .. تاريخ أمة أنطلقت من عقالها لتصنع التاريخ بسواعد ابنائها .. تاريخ شعب مكافح .. قاتل ببسالة قوى الاستعمار والطغيان سنين عديدة .. ونزل في معارك طاحنة مع طغمة الشر والعدوان طيلة مدة تعاقب الفئات الرجعية على كراسي الحكم .. فانطلقت رصاصة واحدة من ساعد ابن العراق .. رصاصة دوت في سماء بغداد فأرتفعت هتافات الجماهير الى عنان السماء وهي تصرخ بقوة ـ عاش الجيش الباسل محرر العراق .. عاشت الجمهورية العراقية .

كل مواطن شريف يذكر تاريخ الخيانة والرجعية لطغمة الاشرار أذناب الاستعمار .. وفي كل بيت ارملة فجعت بزوجها .. وفتاه فقدت شقيقها وثكلى قصم ظهرها بفقدان أبنها .. شهداء في كل بيت .. شهداء سقطوا صرعى برصاص الاستعمار واذنابه .. في ثورة ١٩٢٠ و ١٩٤١ ، وعلى أرض فلسطين الشهيدة في ١٩٤٨ وعلى الجسور وفي الشوارع في وثبتي بورتسموث وتشرين ١٩٥٢ ، وابان العدوان الغاشم على الشقيقة الحرة مصر .. ومازالوا يتساقطون شهداء للحرية .. حتى انطلقت رصاصة الجيش المغوار في الساعة الرابعة من فجر أمس . . فجر جديد لعهد جديد ..

ثلاثون سنة عاش فيها العراق سجناً لشعبه .. وعلى أبواب السجن وقفت فئة مدججة بسلاح أجنبي لتغتال كل من يحاول الخروج منه . . صوبت هذا السلاح الى صدور ابناء الشعب لتغتال من تشاء اغتياله من المناضلين الاحرار .

وازاء هذه الجرائم .. وقف الشعب مرات عديدة وجهاً لوجه أمام العصابة ، وأستقبل الرصاص وصدور أبنائه مفتوحة والابتسامة على شفتي كل شهيد حصل على مداليات الشرف في التضحية .. ومازالت أرواحهم ترفرف على كل بقعة من أرض العراق لتشد ازر الذين بقوا على قيد الحياة وتربت بأيديها على اكتاف المناضلين الاحرار .. ليستعدوا ليوم الحساب .. وجاء فجر أمس يوماً للحساب .

وخرجت الجماهير الغفيرة لتردد مع الضباط والجنود الاحرار هذه الصرخة

اذا الشعب يوماً اراد الحياة   فلا بد أن يستجيب له القدر

واراد شعب العراق الحياة .. وأستجاب أمس لنداء الشهداء .. وحققنا الثورة .

فهنيئاً لك ياشعب العراق المناضل .

وعاش جيش العراق الباسل بقيادته المكافحة .

وعاشت الجمهورية العراقية الفتية . »

وفي اليوم التالي ، أصدرت قيادة الثورة قرارها بتعطيل كل من جريدتي الاخبار والزمان ، والغاء امتياز كل من الحوادث والشعب والاوقات العراقية . وصدرت بعد ذلك البلاد والحرية واليقظة وجريدة (الجمهورية) الذي أصدرها عبدالسلام محمد عارف بصفته نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية وتولى الاشراف عليها معاذ عبدالرحيم الذي كان يمثل حزب البعث العربي الاشتراكي .

والشيء الملاحظ في تلك الفترة ، أن قيادة الثورة لم تلق القبض على أي صحفي ، بل اكتفت بتعطيل الصحف التي طالب الشعب بالغائها وتعطيلها بمظاهراته وشعاراته على الجدران .

كانت ثورة تموز الخالدة حصيلة كفاح مرير خاضه الشعب العراقي بكافة قواه الوطنية وطبقاته الاجتماعية صاحبة المصلحة في ثورة التحرير الوطني ، وبقوميتيه العربية والكردية ، بمثقفيه وعسكريه ، بكتابه وأدبائه ، بصحفيه ، ثورة اطلقت الفكر المتحرر الحبيس لينهل منه عطشى الحرف الواضح الصريح . فشهدت الصحافة العراقية عهدا ذهبياً تميز بزخم من المقالات والتحقيقات للكتاب والادباء القدامى والجدد ، وشارك قادة الاحزاب السرية في الكتابة على صدر الصفحات الاولى للعديد من الصحف الصادرة لاول مرة ، كجريدة الجمهورية التي تعبر عن أهداف حزب البعث العربي الاشتراكي وجريدة الثورة لصاحبها يونس الطائي الذي فتح صدر صفحات جريدته في بدء صدورها للديمقراطيين والشيوعيين ، وجريدة صوت الاحرار للتقدميين وجريدة الحرية للكتاب الشباب من القوميين .

فنجحت حقاً الصحافة العراقية في أن تكون منبراً حراً يتبارى على مسرحه كل ذي فكر وعقيدة لتصب أفكارهم في نهر النضال الوطني بعد انفجار ثورة التحرر الديمقراطي ، وحصيلتها جمهورية ١٤ تموز .

ومنذ الاشهر الاولى للثورة صدرت في بغداد الصحف التالية :

جريدة البلاد لاصحابها ورثة رفائيل بطي ، والاهالي لسان حال الحزب الوطني الديمقراطي ، وصوت الاحرار للطفي بكر صدقي والجمهورية لسعدون حمادي ، والحرية لقاسم حمودي واتحاد الشعب (لسان حال الحزب الشيوعي العراقي) غير المجاز رسميا لصاحبها عبد القادر اسماعيل ، والرأي العام للشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري ، والاستقلال لطه لطفي البدري . وآزادي (اليسارية) لنافع يونس ، والانسانية للشاعر كاظم السماوي (هاجر خارج العراق بعد خروجه من السجن) ، والثورة ليونس الطائي تحولت بعد مضي ٩ اشهر الى اللسان الرسمي لعبد الكريم قاسم رئيس الوزراء ، والزمان لتوفيق السمعاني ، والحضارة (اليسارية) لمحمد حسن الصوري (هاجر خارج العراق في اواخر عام ١٩٦٢) ، وعالم اليوم (شبه جريدة) لتوما شماني ، والمبدأ لسان حال الحزب الشيوعي (المجاز حكومياً برئاسة داود الصائغ) وهو معاد للحزب الشيوعي العراقي (الاصلي) ، والاخبار لورثة جبران ملكون ، والتقدم لمحمد البريفكاني ، وصوت الشعب لمحمد حسين ابو العيس (احد اعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي) ، والجمهور لحسن الاسدي ، والثبات (اليسارية) لمحمود شوكت ، وخه بات لسان حال الحزب الديمقراطي الكردستاني ، وصوت الاكراد لعمر جلال حويزاوي ، واتحاد العمال لعلي شكر ، والمواطن لعبد الله عباس (وهي تمثل الحزب الوطني الديقراطي) جناح كامل الجادرجي بعد الغاء الاحزاب السياسية رسميا ، والبيان لسان حال الحزب الوطني التقدمي (جناح محمد حديد) المنشق عن الحزب الوطني الديمقراطي ،

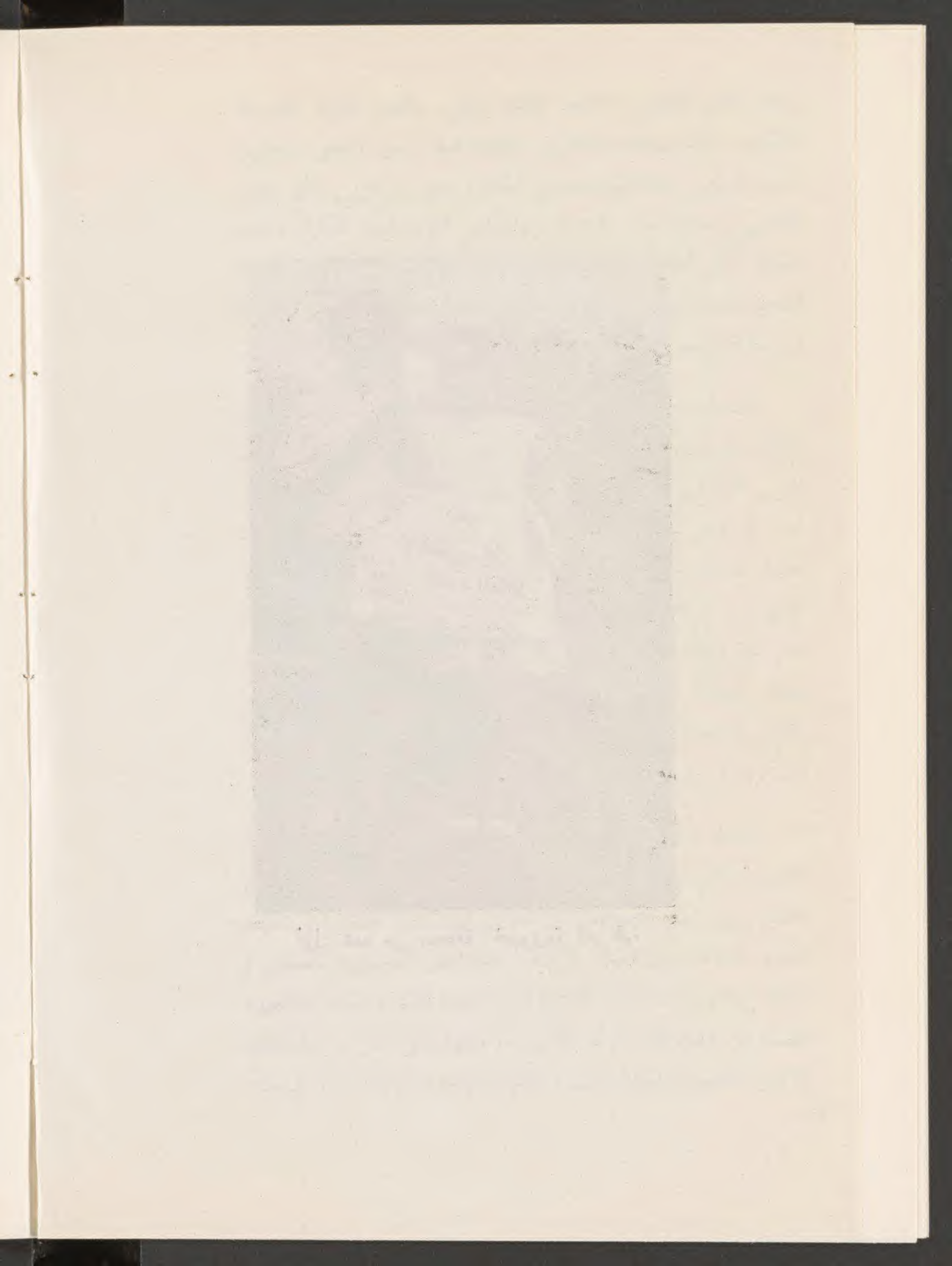
وبغداد لخضر العباسي ، والحياد لفاضل شاكر ، والفجر الجديد لمحمد طه الفياض ، والشرق لمحمد العاني ، والوطن لعبد الحميد التحافي ، والطريق لسعيد الربيعي ، والمستقبل لرسمي العامل (وهي تعبر عن رأي حزب التقدمي (جماعة محمد حديد) ، والسياسي الجديد لضياء شكارة ، والعهد الجديد لزكي احمد ، وبجانبها صدرت مجلة ١٤ تموز الاسبوعية لصاحبتها المحامية نعيمة الوكيل ، والفكر لصاحبها جواد الغضبان ، والثقافة الجديدة (اليسارية) لعبد الرحيم شريف (احد الاعضاء القياديين للحزب الشيوعي) .

لقد ادت الانقسامات الحزبية ، بعد أن تمزقت جبهة الاتحاد الوطني المنبثقة قبل ثورة الرابع عشر من تموز على اثر خروج حزب البعث العربي الاشتراكي منها ، وتجميد الحزب الوطني الديمقراطي نشاطه السياسي ، ادت الى فوضى فكرية وسياسية ، وتمزق شديد في صفوف الحركة الوطنية خاصة بعد اقصاء عبد السلام عارف وتسفيره خارج العراق ، والتي اشتدت حدتها بعد حركة الموصل التي قادها العقيد عبد الوهاب الشواف في ٨ آذار عام ١٩٥٩ ، مما سهل لعبد الكريم قاسم توجيه الضربات للقوى الوطنية جملة ، ابتدأها بالقوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي ، ثم بالوطني الديمقراطي ، وبحزب البارت (الكردي) على اثر شن الحملة العسكرية في ربوع كردستان ، وبالتالي ضد الحزب الشيوعي العراقي .

فكانت للاحداث المتعاقبة هذه ، اثرها الكبير على الصحافة العراقية والذي انعكس على انقسامات الصحافة الى تيارين ، الاول تيار يساري والثاني يميني رجعي ، توسطهما تيار انتهازي لعب دورا كبيرا في تفتيت وتعميق الخلافات بين القوى الوطنية . هذا التيار الفكري (الصحفي) السائر في ركاب (قيادة وزارة الدفاع) انتزع القيادة الفكرية بمساندة الاجهزة القمعية من ايدي قادة الرأي الأحرار ، فتهاوت على اثر ضربات تلك الاجهزة الصحف الوطنية اليسارية والقومية الواحدة تلو الاخرى ، ولم يصمد



أول عدد من صحافة الجمهورية العراقية



منها سوى ثلاث صحف قديمة لها ماض طويل في الميدان الصحفي هي البلاد (اليسارية المعتدلة) والاخبار والزمان الخبريتان ، وبجانبها صحف (عبد الكريم قاسم) الانتهازية التي رفعت راية مهاجمة القوى الوطنية والشيوعيين بشدة منها جريدة العهد الجديد ازكي احمد والثورة ليونس الطائي والشرق لمحمد العاني ، والجمهورية [الممنوح امتيازها في اواخر ايام عبد الكريم قاسم] لصاحبها عبد الرزاق البارح ، كما صدرت جريدة المستقبل لرسمي العامل والجمهور لحسن الاسدي والايام لعبد القادر البراك [وهي صحف معتدلة] تؤيد السياسة العراقية آنذاك .

اما المجلات التي منحت الامتيازات في بغداد في تلك الفترة الممتدة من تموز ١٩٥٨ لغاية شباط ١٩٦٣ فهي :

المرأة لسان حال رابطة المرأة العراقية ، والوادي لخالد الدرة ، وكل شيء لسجاد الغازي والرسالة لخضر الولي ، والاديب العراقي لسان حال اتحاد الادباء العراقيين ، والاجيال لسان حال نقابة المعلمين ، والمثقف تصدرها جمعية خريجي المعاهد العالية ، وهيوالسان نادي الارتقاء الكردي ، والاقتصادي لسان حال جمعية الاقتصاديين ، والاقتصاد الوطني لحسن توفيق النجفي ، والشؤون الاقتصادية لمحمد ابراهيم السامرائي ، والاسواق التجارية لجمال داود ، ووادي الرافدين لجاسم القيسي ، والسلم لعزيز شريف [تمثل انصار السلام في العراق] ، والتضامن العراقي ، والمهن الطبية لسان نقابة ذوي المهن الطبية ، والام والطفل لسان حال جمعية حماية الاطفال ، والمهندس لسان حال جمعية المهندسين ، وصندوق الدنيا لحميد المحل ، وعالم الشبيبة لسان اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي ، وجنة الاطفال لسلمى الشيخ محمود النائب ، ورونا هي لحافظ مصطفى القاضي ، ونداء الطليعة لفاضل عباس الكواز .

أن من اهم المظاهر التي امتازت بها بعض الصحف الصادرة في

تلك الفترة ، تجسيدها لمعركة الشعب العراقي في مرحلة الكفاح من أجل تثبيت دعائم النظام الوطني التحرري المعادي للاستعمار والاقطاع والرجعية وذلك عن طريق نشر اهداف وايديولوجيات متباينة منعكسة عن واقع المجتمع الطبقي لوطننا . ومن هذا الانعكاس الطبيعي ظهـــرت الصحافة العراقية لتقود معركة الطبقات الاجتماعية المعادية للاستعمار والاستغلال والاقطاع والتي جمعتها مصلحة مشتركة اندمجت في خط الثورة التحريريـــة المعادية للنظام الملكي الاستعماري المذيل بتلباب الرجعية المحلية . فاتخذت هذه المعركة طريقها للتعبير عن اهداف القوى المشتركة فيها ضد عـــدو مشترك ، وهذا الطريق الطبيعي هو طريق النشر والفكر والصحافة . فتميزت الفترة المذكورة في تاريخ العراق السياسي بفترة الانفتاح والانطلاق الفكري النابع من الواقع المادي لحياة المجتمع العراقي .

بينما كنا نلاحظ دوماً في الفترات التي سبقت قيام ثورة تموز ان الصحافة العراقية لم تكن تعبر في الواقع عن أهداف الشعب ، بالكشف عن واقعه الاجتماعي الطبقي بقدر ما كانت تعبر بعض الصحف عن أهداف وأماني الشعب كطبقة أو كتلة تجمع الاعضاء رابطة واحدة هي رابطه مقاومة الحكم الاستعماري ، وذلك عن طريق تحليلات سطحية مقيدة بالظروف التي تكيف اطلاق الحرية (المكبلة) آنذاك . اما في مرحلة الثورة ، فقد قرأنـا شتى الابحاث والتحاليل العميقة لحقيقة المجتمع العراقي بما اظهرته صحافتنا من صراحة في التعبير والجهر بحقيقة الاوضاع وتحليل علمي لاسس ومقـــومات الصراع ، والبحث وراء طبيعة الاحـــداث . فكانت صحفنا تعبر عن أهداف القوى الوطنية التي أتخذت سبيلا علنيا لهذا التعبير وأضطلعت بمهمة الدفاع عن الاستقلال الوطني وصيانة الجمهورية والعمل على تثبيت مفاهيم التحرير الوطني ومعاداة الاستعمار والاقطاع والرجعية وصيانة مكتبسات الثورة الاجتماعية والاقتصادية .

فالاهداف الآنية التي عبرت عنها بعض الصحف ، وعلى رأسها صحف الاحزاب المعارضة قبل ثورة تموز كانت تتخلص في النقاط التالية :

١ ـ أطلاق الحريات الديمقراطية .

٢ ـ اجراء انتخابات مباشرة حرة والغاء برلمانات التزكية .

٣ ـ أسقاط الحكومات الخائنة .

٤ ـ اطلاق سراح السجناء السياسيين (وغالبيتهم من الشيوعيين) .

٥ ـ مقاومة الاحلاف العسكرية ، (حلف بغداد) .

٦ ـ اتباع سياسة تضامن عربي .

وبعد ثورة تموز الكبرى ، فقد تطورت الاحداث السياسية ، وفرضت ظروف استثنائية اعقبت انتفاضة الشعب والجيش اهدافاً واضحة هي :

١ ـ الدفاع عن مكتسبات ثورة ١٤ تموز الجذرية .
٢ ـ صيانة الجمهورية واستقلالها الوطني .
٣ ـ اتباع سياسة الحزم تجاه الاستعمار وصنائعه .
٤ ـ الخروج من حلف بغداد وتحرير النقد الوطني .
٥ ـ محاكمة الخونة من رجال العهد المباد .
٦ ـ تصفية الاقطاع وتنفيذ قانون الاصلاح الزراعي .
٧ ـ اليقظة والحذر تجاه دسائس الاستعمار والرجعية .
٨ ـ تضامن عربي كفاحي في مجالات السياسة الصدامية مع الاستعمار .
٩ ـ وحدة الصف الوطني وتشديد النضال ضد الرجعية .
١٠ ـ احقاق مبدأ تكافؤ الفرص .
١١ ـ منح الاكراد حقوقهم القومية .
١٢ ـ السعي لتحقيق الوحدة العربية على أسس ديمقراطية .

١٣ـ تسليح الجيش العراقي وكسر الاحتكار الاجنبي (المشروط) .

١٤ـ صيانة المنظمات الديمقراطية وتعزيز مكانة النقابات العمالية والمهنية .

أن الصحافة العراقية بعد تموز المجيد ، حققت تطورات ملموسة يتحسسها الباحث والمسجل لتاريخ تطورها من ناحيتي الشكل والمضمون ، خاصة بعد أن تفتحت امامها الآفاق ، وبدأت في ارساء اللبنات الاساسية لمقومات الصحافة الحديثة . غير اننا بالرغم من هذا التقدم والتطور السريع في الفترة الاخيرة القصيرة ، مازلنا نلاحظ الكثير من النواقص والضعف في العديد من مجالاتها سنأتي على ذكرها فيما بعد . هذا فيما يتعلق بصحف العاصمة ، اما بالنسبة لصحف الالوية ، فانه بالرغم من كثرة عددها في فترة الثورة ، فان مستواها مازال ضعيف الشكل والمضمون لاسباب عديدة اهمها أن هذه الصحف اقليمية تصدر في كل لواء وبالاخص في لوائي الموصل والبصرة ، وبعدهما في النجف والسليمانية وكركوك ومنها أيضاً عدم اقبال القراء عليها لانحصارها في نطاق اللواء ، وضعف الامكانيات المادية والفنية ، فخضعت تلك الصحف (محليا) الى سيطرة واحتكار صحافة العاصمة منذ نشوء الصحافة حتى يومنا هذا .

والصحف التي منحت الامتيازات في الالوية خلال فترة تموز هي :

في لـــواء الموصل : فتى العراق لصاحبها ابراهيم الجلبي وهدى الاهالي ليوسف الحاج الياس ونصير الحق لمحمود مفتي الشافعية والحقيقة لجرجيس فتح الله وصوت الامة لورثة ميخائيل داود حداد والهدف لعبد الباسط يونس والشبيبة لبشير مصطفى ، والاخبار التجارية لفريد يعقوب قسطو .

في لـــواء كركوك : رأي الاهالي لصاحبها صديق علي ، والشفق لعبد

القادر البرزنجي .

في لــواء السليمانية : هه‌تاو لصاحبها عبد الرحمن عبد اللطيف ، وزين للسيدة رحمة الحاج توفيق .

في لــواء اربيـل : بروا لصاحبها كمال مرزا كريم ، واليوم الجديد لجمال محمد شالي .

في لــواء البصــرة : جريدة البصرة لصاحبها كامل عباجي ، والدستور لمحمود العامر ، وصوت الطليعة لنصيف الحجاج ، والمنار لعبد العزيز بركات ، ونداء الاهالي لجعفر البدر ، والثغر لشاكر النعمة ، وصوت الاهالي لخالد عبد الرحيم ، ونهج الاهالي لمحمد عبد المصحب .

في لــواء العمـارة : صوت الجنوب لصاحبها عبد المجيد حسن ، والطليعة لعبد الغفار خضر .

في لــواء الحلــة : صوت الفرات لحميد سعيد ، والفيحاء للشيخ جواد الساعدي ، والاماني لفاضل جميل .

في لواء كربلاء والنجف : الغرى لصاحبها عبد الرضا شيخ العراقيين ، والمعارف الاســلامية لمحمد حسن آل الطاقاني ، والنجف لهادي حسين الفياض ، والنشاط الثقافي لعبد الغني الشيخ طه الخضري .

لقد استطاع الشعب العراقي أن يقسم الصحافة العراقية في تلك الفترة المعاصرة لثورة تموز المجيدة الى جهتين : الاولى الصحف الوطنية والمحايدة التي وقفت بجانبه وساهمت في تطوير نفسها وبالتـالي خدمـة

القضايا الوطنية والقومية وهي : اتحاد الشعب والحرية والاهالي والبلاد وصوت الاحرار والرأي العام والاستقلال وخه بات والمواطن والبيان . والجهة الثانية الصحف التي وقفت موقفا عدائيا من القوى الوطنية وسارت بركاب الدكتاتورية الفردية خاصة في ايام حكم قاسم الاخيرة وهي عديدة لم تعبر في واقعها عن الرأي السياسي ابداً . والسبب الرئيسي الذي يعود الى اتخاذ تلك المواقف المتذبذبة من قبل هذه الصحف هو سياسة (المتاجرة) بالاراء والافكار والترويج لمبدأ القذف والتهجم على القوى الوطنية والشخصيات المعروفة بمواقفها ومبادئها (كسلعة) يراد من ورائها (بيع) الصحف . والامثلة غزيرة لهذا النوع من الصحافة التي تدهورت رسالتها على يد اصحابها بقصد ودون سابق انذار . غير أن مواقف الصحف الوطنية ومعها الحيادية المستقلة ، وتقدمها المطرد ، اسلوبا واخراجا ، وتظافرها في نشر الانباء العالمية غطت على تلك (الحقبة) السوداء من تاريخ الصحافة ، واقبل القراء على اقتناء تلك الصحف المتقدمة حتى اصبح مجموع مايطبع من كل جريدة اكثر من ١٢ الف نسخة يوميا ، ووصلت بعض الصحف ارقاما خيالية قياسا الى تاريخ الصحافة طيلة عهودها ، فبلغ توزيع اتحاد الشعب مثلا الى ٣٥ الف نسخة والبلاد ٢٥ الف نسخة وصوت الاحرار ١٨ الف نسخة والأخبار والزمان ١٥ الف نسخة .

ومن نماذج تلك الصحف (المتقدمة) ماكتبته جريدة اتحاد الشعب في عددها المرقم ٩٩ والمؤرخ في ٢٣ آيار ١٩٥٩ حول فترة الانتقال جاء في مقالها :

« ليس من ضرورات فترة الانتقال ، توقيف النشاط السياسي للاحزاب الوطنية . أن بلدانا عديدة مرت بذات الفترة التي تجربها بلادنا وأثبتت بتجاربها ، أن وجود الاحزاب الديمقراطية ضرورة لا يستغنى عنها لاجتياز فترة الانتقال بنجاح وضمان مصلحة الجميع طبقات الشعب

الثورية . فبلدان اوربا التي تحررت من الحكم النازي مثلاً لم تر ضرورة لتصفية نشاط الاحزاب التي كانت تكافح النازية ، وبالعكس اتفقت وراء الدول المتحالفة في الحرب ضد النازية ، على أن خير طريق لاقامة حكم أنتقالي في هذه البلاد هـو الاعتراف بحق تلك الاحزاب بالاشتراك في قيادة الحياة السياسية في البلاد وتكوين حكومات أئتلافية مؤقته تضع أسس الانتقال الى حياة دستورية اعتيادية » .

« .. أن الاحزاب الديمقراطية التي كانت تعمل قبل الثورة ، بصورة لا قانونية ، قد وجدت نفسها بعد الثورة أمام مهمة جديدة .. مهمة أستيعاب طاقات الشعب وتعبئة صفوفه لتوطيد الجمهورية وصيانتها من العدوان والمؤامرات . ومن أجل انتصار الاتجاه الديمقراطي وتطويره ، وهذا ما تم فعلاً » .

« .. أن بعض الاحتكاكات المحدودة الاثر ، والتي وقعت وقد تقع أحياناً ، لا يمكن اعتبارها دوماً من قبل « المنافسات الحزبية » او الخصام الحزبي ثم انها لا تصلح ان تكون دافعاً للجزع والتطير من الحياة الحزبية ، وبالبداهة ، لا تصلح أن تكون ذريعة لوقف النشاط الحزبي » .

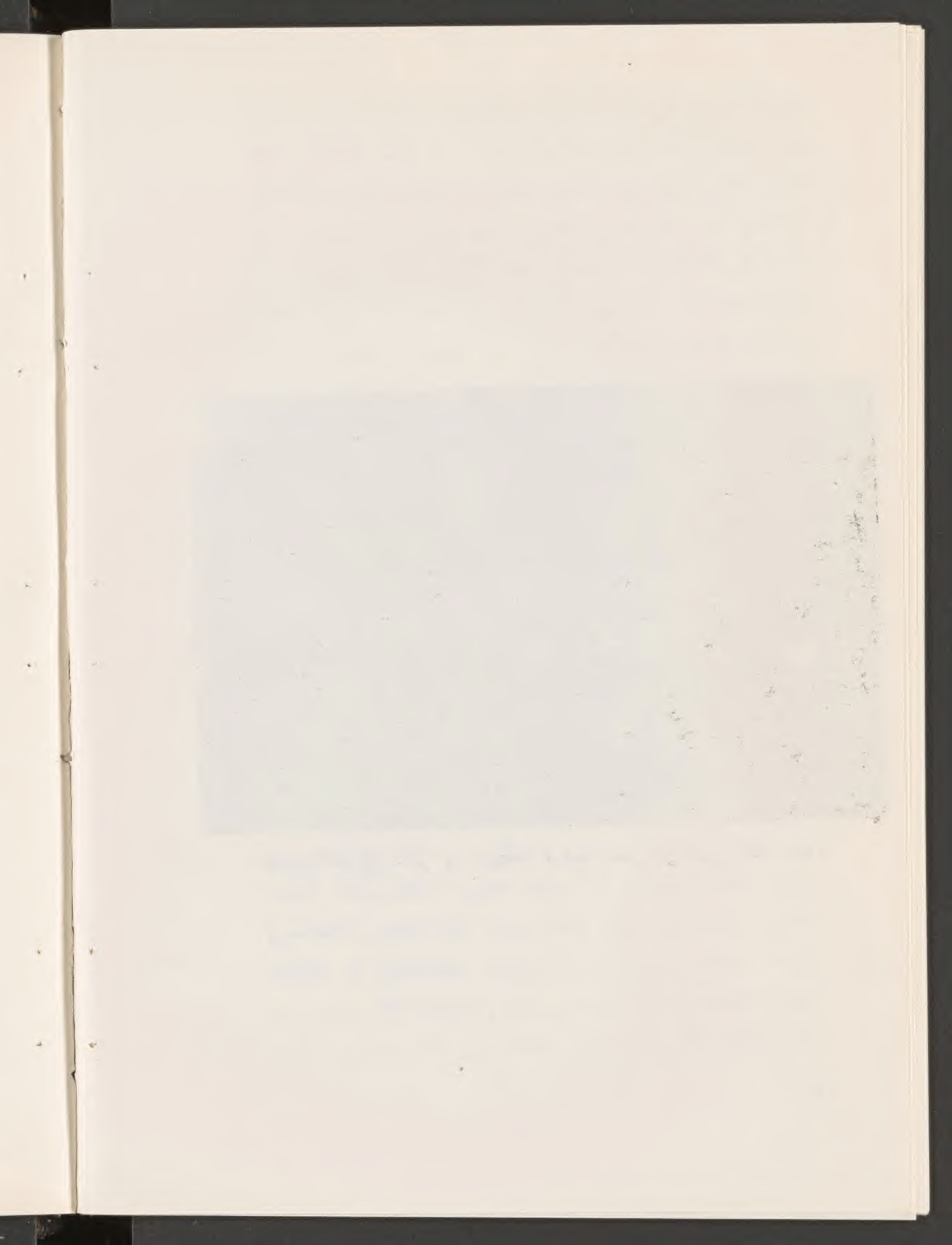
« أن مثل هذه الحوادث الطفيفة وسواها ، كان من الممكن — في ظروف تحولات ثورية سريعة كالتي تحدث في بلادنا — أن تكون أوسع وأكبر خطراً — لو لم تمارس الاحزاب الديمقراطية دور الوجيه والارشاد للجماهير الشعبية ، وتثقيفها بروح التعاون والتآخي . ثم أن هذه الحوادث التى يمكن أن تقع في كل زمان ومكان ، والتي يمكن في ظروف اشتداد المؤامرات ضد جمهوريتنا ، أن تغذى بسبل خبيثة من أعداء الجمهورية وتصرف عليها الاموال والجهود ، لا يمكن فقط أن تكون مدعاة للتخفى عن العمل السياسي . كما أن التخفي عن العمل السياسي ليس هو

الوسيلة « لرفع كل ضرر قد يأتي من المنافسات الحزبية .. وسد كل ثغرة يستطيع أعداء الجمهورية النفاذ منهـا . . . » وانما بالعكـس ، فأن العمل الحزبي المنظم مقروناً بالنية الخالصة في التعاون والعزيمة الصادقة ــ هو الذي يضمن دفع الضرر وتفادي مـا قد ينشأ من أحتكاكات ــ عن طريق ممارسة الاحزاب لدورها في مراقبة الجماهير الملتفة حولهـا وتوجيهها الوجهة الصحيحة . أن تثقيف الجماهير بروح التكاتف والتآخي في النضال من أجل الاهداف المشتركة ومن أجل خير الجمهورية وتقدمها ــ هـــو الضمان الوحيد لدرء المنافسات الحزبية المحتملة ، ولسد كل ثغرة قد يستطيع أعداء الجمهورية النفاذ منها . »

أن المعالجات التي كانت تتعرض لها جريدة أتحاد الشعب انما تعبر عن أهداف الحزب الناطقة بلسانه ، وجميع مقالاتها الرئيسية وتحليلاتها للقضايا السياسية والوطنية القومية أو العربية والعالمية كانت تكتب بموافقة اللجنة المركزية ، كما هو معروف في صحف الاحزاب ــ سـوى انهـا كانت أدق وأوسع وأعمق في تحليلاتها . وكان توزيعها يصل الى ٢٥ـ٣٠ الف نسخة يومياً منذ صدورها حتى احتجابها ، حيث أقبل القراء عليها من كافة الفئات والقوى للاطلاع على رأي الحزب الشيوعي في القضايـا الراهنة . وبالرغم من انها منعت لفترة طويلة في سبعة الوية جنوبية بنـاء على أوامـــر قائد الفرقة الاولى آنذاك سيد حميد سيد حسين إلا أنها كانت توزع كميات كبيرة منها في المدن والقرى . وهذا الرقم لم تصله اية جريدة عراقية (كصحافة) عبر تاريخهـا الطويل . وكانت أعـداد الجريدة المذكورة تحتوي على عـــدة مقالات بجانب المقال الرئيسي (الافتتاحي) وبرقيات ومطاليب الشعب (عمـالاً وفلاحين وطلبة وكسبة) . وأتخذت طريق (العقائدية والنظرية) في تعميق مفهوم الصحافة العامة كوسيلة بناءة لعكس الفكر التقدمي على المجتمع المتفاعل مع تطلعات جماهيره . كمـا



الشعب العراقي الثائر في صبيحة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨



انها لم تنشر أي اعلان حكومي أو أهلي في كل أعدادها الا القليل . وهذا حدث جديد في تاريخ الصحافة ، لم تأخذ به أية جريدة اهلية ، حكومية ، أو حزبية . وكان أعتمادها الاول في تغطية تكاليفها الباهضة ، فقط من التوزيع ، وكادرها الصحفي من اعضاء الحزب دون رواتب .

ومن صحف تلك الفترة التي انتشرت على نطاق واسع جريدة (البلاد) فادخلت الخبر الخارجي في طور جديد (العدد الكافي والاختصار في عرضه وتنوعه) عربيا وعالميا . واهتمت بالمواضيع المختلفة والريبورتاجات والتراجم السياسية والصور والابواب الخفيفة والصفحات الخاصة للادب والفن والاقتصاد كما انها ادخلت المقال الافتتاحي في طور جديد (المركز القصير) لابداء رأي الجريدة السياسي في كل القضايا الداخلية والعربية والعالمية . واعتبرت البلاد اكثر الصحف مادة ، ومن احسنها تبويبا ، واحدثها مسايرة للتطور (الصحفي) ، بجانب اتخذاها سياسة تقدمية معتدلة حظت باهتمام كافة فئات الشعب ، واعتبرت مدرسة (للصحافة الحديثة) ومن مقالاتها الافتتاحية (القصيرة) ما جاء في عددها المرقم ٥٣٥٩ في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٥٨ تحت عنوان « على صخرة الوحدة الوطنية تتحطم مؤامرات الاستعمار » .

« وحدة الصف الوطني وتآخيه وتآزره ووقوف الشعب عربا واكرادا صفا واحدا هو الكفيل الوحيد لصد مؤامرات الاستعمار واحباطها تجاه العالم العربي كله .

أن العراق الذي تحرر بقوة شعبه وبقيادة جيشة الباسل . . .
أن العراق هذا كان قبل ١٤ تموز ركنا من اركان الاستعمار العتيد . ونحن ليس من السذاجة بحيث نقعد عن الاستعداد للدفاع عن المكاسب لثورتنا الوطنية الرائعة فلن يغرنا كلام معسول وتظاهر يخفى في

باطنه الحقد . فدول الاستعمار التي تتقدمها امريكا لا يمكن ولن يمكن أن تتنازل بسهولة عن سياستها الاستعمارية التي تطورت مـع الزمن فاصبحت سياسة استعمارية استراتيجية دفاعية هجومية .

نحن نريد صداقة شعوب العالم ونمد يدنا لهذه الشعوب ولكن في نفس الوقت حذرين فقد عودنا المستعمر على خبثه وانانيته .. انه لن يتركنا نعيش بسلام نعمل جاهدين لبناء بلادنا .. انـــه سيتامر وستمضي السنون وهو يتآمر فالاستعمار الجريح لازال يتألم ويصرخ من الم الضربة القاصمة التي وجهها اليه شعب العراق الابي وجيشه المغوار في تلك الضربة التي غيرت مجرى التاريخ .

أن المؤامرات تأخذ اشكالا تختلف في ظاهرها ولكنها تهدف نحـو هدف واحد .. الا وهو استعباد الشعوب . فالمؤامرات تارة داخلية واخرى خارجية ونحن في العراق محاطون بدول حليفة للغرب الذي ذقنا على يديه اقسى انواع العذاب والحرمان والذي داس كرامتنا ونكل باحرارنا الى أن حققت انتفاضتنا الكبرى امال العرب في مختلف ديارهم فحققت لهم نصرا مبينا ودكت حصنا كانوا يظنون انه منيع باق .

أن الغرب في هذه المرة يحاول خنق التحرر العربي بعد ثـــورة العراق عن طريق تقوية نطاقه حول البلاد العربية ، فهو يظن أن اسرائيل باقية .. في قلب البلاد العربية يحركها كيفما شاء وفي أي وقت يـــراه مناسبا . الاستعمار الان يريد تقوية قبضته على ايران مثلا ليضعنا بين فكي الكماشة .. كماشة هو يبتدعها وينفذها . والاستعمار ياخذ اشكالا اخرى لغرض تنفيذ استراتيجيته العدوانية .. ومن الخطوات الاولى التي يتبعها لتنفيذ مآربه الدنيئة .. بعث التفرقة بين ابناء الوطن الواحد .. واطلاق الاشاعات المغرضة لبث الفوضى مستخدما بذلك اساليب الدعـاية من

اذاعات وصحف مأجورة .. نحن في العراق نعرف أن دول الاستعمار لن تكف عن مؤامرتها .. ونحن نعرف اننا سنقف صفا واحدا وقلبا واحدا ويدا واحدة وشعبا واحدا يذود عن كيانه الذي وطده بعد أن حصل عليه في الرابع عشر من تموز .

اننا سنقف حائلا دون أية محاولة من أعداء الشعوب للقضاء علينا .. أننا نعرف جيداً أن وحدة صفوفنا هي السبيل الوحيد للمحافظة على الحرية والكرامة والعزة التي حققتها لنا ثورتنا .. ثورة الرابع عشر من تموز . »

لقد ادخلت « البلاد » المقال القصير واليوميات الخاصة للمحررين لاول مرة منذ أواخر عام ١٩٥٧ ، وتبعتها الصحف الاخرى بعد ثورة تموز . الا أن هذا اللون من الكتابة الصحفية يفقد قيمته اذا كانت مواد الجريدة مقتصرة فقط على الانباء والمقالات . اذ من الضروري أن تجمع (الصحافة العامة) كل الوان الصحافة اليومية وأعطاء (الدسم) منها للقارىء الذي يثق في تلك الجريدة ويدفع لها ثمناً من مدخولاته . ومن حقه أن يقبل على الجريدة التي تعطيه ما يستحق هو أعطاؤه . أما الصحف التي [تتاجر] في افكاره أو تخدعه في [اكاذيبها] للاخبار البراقة ، فأنه يعزف عنها سريعاً .

ومن الصحف الاخرى التي لقيت تشجيعاً من القراء وكان توزيعها اليومي يعادل تقريباً « البلاد » ، جريدة [صوت الاحرار] التي امتازت بكثرة المقالات والتراجم السياسية ذات الطابع التقدمي واليساري . وصاحبها له باع طويل في دنيا الصحافة والسياسة هو لطفي بكر صدقي . أما الصحف العامة الاخبارية ذات الطابع [التجاري] فكانت كل من جريدتي الاخبار والزمان .

وامتازت فترة « تموز » بعد سنة واحدة من الثورة ، بكثرة صحف [المرتزقة] ، وصدور جرائد بعيدة جداً عن مفهومها [الصحيح] لم تتعد بعضها أربع صفحات مغطاة بالاعلان ، وموادها [شتم وطعن بكل القيم الفكرية والاجتماعية] حتى أن بعضها كان يصدر أعداداً خاصة للقذف بالوزراء [التقدميين] أو المدراء العامين [الشيوعيين] أو رجال الاحزاب [القوميين] ارضاء لبعض الاجهزة المتنفذة في سلطة الحكم العسكري اثناء أنحسار المد الثوري التحرري .

وهذا نموذج واحد لمثل هذه (الصحافة) ننتزعه من تاريخ صحافتنا في عهدها [الذهبي] أو هكذا كان المفروض أن تكون لو سارت الامـور السياسية في طريقها المرسوم في بيان الثورة الاول ، وما اعقبت البيان من فترة ازدهار وتقدم لمجموع الشعب العراقي طيلة شـهور العـام الاول من عمر تموز البكر .

فتحت عنوان « ۱۰۰۰ ذی عاهة » كتبت أحـدى الصحف البغدادية في عددها المؤرخ ١٣ آيار ١٩٦٢ تقول :

أن هؤلاء الذين اشتغلوا ماشاء حبهم للمـال أن يشتغلوا في اقرب الجرائد الى خدمة الاستعمار امثال (. . .) الذي لم يتمكن حتى اسيـاده من التستر على قضية سفره الى تركيا من اجل الشيء الذي سافر من أجله ! . . هذا الرجل اصبح بقدرة قادر ، أو بخيال (حشـاش مدمن) من الوطنيين (الافذاذ) الذين يشار اليهم باللسان ، والبنان ، لاسيما من وراء (الدنك) عندما يكون ماراً في شارع الرشيد .

هؤلاء اخطر على غيرهم من سريان عدوى عاهاتهم من سواهم ، لان وجودهم (محظوظين)يعلم الناس التقلب حسب الظروف ، وحسب الزمان ، وقد يجد فيهم المشجع القوي ، من يحب المال ، ولا يفكر الا بالحصول عليه كيف ما جاء ، ومن أي سبيل وصل ، فهم اذن في عاهاتهم كالمسلولين ، وكالمصابين بالجذام والجرب ، يجب ان لا يجد من يشجعهم على التقلب من حال الى

حال ، وعلى الانتقال من مكان الى مكان ، اذ ان تشجيعهم ربما يدفع آخرين الى ما اندفعوا اليه ! . .

وعلى كل حال ، فليس هؤلاء باقل خطرا من غيرهم الذين يعتقدون انهم يوجهون الرأي العام ، ويوجهون المواطنين الى مافيـه خيرهم وخير وطنهم ، فصاحب جريدة (. . . .) يعتقد بان النـاس كل الناس مصابون بداء النسيان ، وان الناس كل الناس لايعرفون ، من اين حصل على امتياز جريدته ، ومن الذي غذاها من اصحاب المال (الرأسماليين) الذين هم من الاستعمار وللاستعمار ، فالجريدة التي نفس صاحبها لايؤمن بالمبدأ الواحد ، وبالرأي الواحـد ، كيف تتمكن ان توجه الناس الى المبدأ والى العقيدة والى الرأي ؟ ان هذا المرض ليخلق (عاهة) وليست كالعاهات ، عاهة حب المال ، والحصول على المال ، من أي جهة جاء ، ومن أي سبيل كان ، ولو عن طريق اقتراف الجريمة الكبرى ، جريمة الكفران بنعمة الوطن ، والكفران بتربة الوطن ، وبيع الضمائر (بشراء نسخ معدودات) من الجريدة ، او باجور نشر (مقتطفات عن سير الشعوب) بالجريدة ، وكأن الناس لايعلمون ! . .

ان الذي يقرأ الاسماء ، كما قرأتها اثناء الفحص ، ويربط بعضهـا ببعض ، لايجد الا عاهة اخطر من عاهة ، ومرضا اكثر عدوى من مرض ، وبين هـذه العاهات العاهة الكبرى التي جعلتهم يكرهون (تربة الوطن) لاعتقادهم ، ان هذه العاهات قد جاءتهم فوق هذه التربة بخدمة الاستعمار وعبيده في العهد المباد ! . وتربة الوطن التي كفرت بالعهد المباد ، وبالعبيد من حكام العهد المباد ، هي التي كشفت سوآتهم ، فصاروا يكرهونهـا ، ويضمرون لهـا الحقد وينصبون لها العداء ، ولكن سهام الحقد لاترد الا الى نحورهم كما سيعلمون ! . . . »

مكسب مهـني :

أن من اهم المكاسب التي حصل عليها الصحفيون في ثورة تمـــوز الخالدة بعد كفاح طويل عبر تطورات صحافتنا ، وما لقيه بعض الصحفيين من الارهاب والتعسف والتنكيل وحرمانهم من ابسط حقوقهـم المهنية على يد جلاوزة العهد المباد ومنفذي سياسات التبعية والعمالة ، هو انبثاق نقابة الصحفيين العراقيين وصدور القانون رقم ٩٨ لسنة ١٩٥٩ والذي نشر في الجريدة الرسمية (الوقائع العراقية) في ٢٣ حزيران من العام المذكور ،

وقـــد جاء في اهـــداف النقابة ما ناضلت من اجلهـا طلائع الصحفيين الوطنيين منذ عهد الاستقلال حتى ثورة الرابع عشر من تمـوز ، أي ما يقارب الاربعين سنة ، وهي :

١ ـــ صيانة الجمهورية العراقية والدفاع عن استقلالهـا والعمل على تثبيت كيانها التحرري الديمقراطي .

٢ ـــ تدعيم المبـدأ الدستوري الذي ينص على اعتبار العراقيين كافة عربا واكرادا وسواهم على اختلاف عقائدهم واديانهم شركاء متساوين في هذا الوطن لهم حق أصدار المطبوعات بلغتهم الخاصة .

٣ ـــ اسناد نضال الشعوب العربية خاصة وحركة التحرر الوطني عامة ضد الاستعمار وصنائعه والصهيونية من أجل التحرر والديمقراطية .

٤ ـــ النضال مع الشعوب كافة من أجل صيانة السلام العـالمي وتوطيده وتقوية اواصر الصداقة بين الدول واحلال روح التفاهم بينها وفقا لميثاق الامم المتحدة والدعـــوة لمبادىء باندونغ والتعايش السلمي واسلوب المفاوضات لحل المنازعات الدولية كافة .

٥ ـــ مكافحة الدعاية للحرب والعدوان والفاشية والعنصرية والطائفية .

٦ ـــ الدفاع عن حرية الصحافة وتثبيتها في قانون المطبوعات والعمل على حرمان اعداء الجمهورية من الحصول على امتياز صحفي .

٧ ـــ حماية الصحافة من افسادها على يد الحكومات الاستعمارية وصنائعها ومن تأثير الشركات الاحتكارية عليها وذلك عن طريق توفـــير شتى التسهيلات والوسائل المبينة في الفقـــرات ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ من هذه المادة .

٨ ـ مكافحة أختلاق الأخبار وافتعال الاحداث ونشرها مع تأييد حق الشعب في أطلاعه على الانباء الصحيحة .

٩ ـ السعي لمنح حق اللجوء السياسي للصحفيين الاحرار المضطهدين بسبب نضالهم والعمل على مساعدتهم .

١٠ ـ مساعدة أعضاء النقابة العاطلين المحتاجين على قدر ما تسمح به مالية النقابة والسعي لايجاد عمل صحفي لهم .

١١ ـ السعي لدى السلطات الرسمية وشبه الرسمية والهيئات والمؤسسات لمنح الصحفيين التسهيلات لمساعدتهم على اداء مهمتهم الصحفية كالتخفيضات والاعفاءات فيما يتعلق باجور النقل والمواصلات والضرائب والرسوم وتمليكهم الاراضي والاجهزة التي لها علاقة بعملهم الصحفي بشروط مفضلة .

١٢ ـ السعي لبناء مساكن وأيجاد ضمان اجتماعي لاعضاء النقابة وعائلاتهم والحصول على تخفيضات وأعفاءات لهم في المؤسسات الصحية كالمستشفيات وغيرها .

١٣ ـ السعي لحل الخلافات التي تنشأ بين الصحفيين بسبب مهنة الصحافة بما فيها الشكاوى المتعلقة بالاجور والاجازات والعطلات الرسمية وساعات العمل الاعتيادية والاضافية والتعويض عنها والضمان الاجتماعي وأحوال العمل وأصدار القرارات بحقها كمرحلة اولى قبل الالتجاء الى التحكيم أو المحاكم ، كما تعتبر النقابة من واجب كل صاحب صحيفة أن يطبق كافة القوانين وأنظمة العمل والاستخدام تطبيقا صحيحاً نموذجياً بحق الصحفيين والمستخدمين .

١٤ ـ العمل على رفع الصحافة الى المستوى الفني في البلاد الراقية وذلك

بتوفير الوسائل اللازمة لتحقيق هذا الغرض ولاسيما المطابع الحديثة والورق ودور النشر والتوزيع ويجوز للنقابة تحقيق الاهداف الواردة في هذه الفقرة بأسمها مباشرة أو عن طريق أنشاء مؤسسات أهلية أو من النقابة ومن الاهلين أو منهما ومن الحكومة .

١٥ــ السعي لفتح معهد خاص لتدريس فن الصحافة وتخصيص عدد من أعضاء البعثات الرسمية لدراسة هذا الفن سنوياً .

١٦ــ تعمل النقابة على تأسيس وكالة عراقية للانباء بصورة مستقلة أو بالتعاون مع السلطات الحكومية والمنظمات والهيئات الاخرى ويكون من مهام الوكالة ايصال أخبار العراق الى مختلف أرجاء المعمورة وأيفاد المراسلين الدائميين أو الوقتيين الى الدول وإلى المؤتمرات الهامة .

١٧ــ تسعى لتوزيع الاعلانات الرسمية وشبه الرسمية توزيعاً عادلا .. على الصحف كافة .

وكان أول نقيب للصحفيين العراقيين في تاريخ الصحافة الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري صاحب جريدة الرأي العام . وبلغ عدد أعضاء النقابة من الممارسين للمهنة في السنة الاولى ٣٦٥ عضواً . ومن أعضاء أول هيئة ادارية ولجنة الضبط للنقابة كل من محمد السعدون وعبد الرحيم شريف ولطفي بكر صدقي وعبد الله عباس وفائق بطي وعبد الكريم الصفار وعبد المنعم الجادر وعلي الخليلي .

* * *

أنقسمت الصحف العراقية بعد مضى عام ونصف على ثورة تموز الى ثلاثه أقسام ، أرتبطت بموجب قانون المطبوعات السابق ساري المفعول بوزارة الثقافة والارشاد حديثة التشكيل بعد الثورة . القسم الاول منها : الصحف الوطنية ، صريحة الرأي ذات الاتجاهات السياسية المختلفة وعلى

رأسها أتحاد الشعب والاهالي والحرية والجمهورية (لسعدون حمادي) وصوت الاحرار واليقظة . والقسم الثاني الاخبارية العامة ذات أتجاه معتدل وعلى رأسها البلاد والاخبار والزمان والانسانية والثبات . والقسم الثالث الصحف الناطقة بلسان العسكريين وعبدالكريم قاسم وعلى رأسها جريدة الثورة والعهد الجديد والحياد والشرق .

ومن القسم الاول اوردنا نموذجا لما كانت تتناوله الصحف الوطنية ذات الاتجاهات السياسية الواضحة في معالجة القضايا الداخلية والعربية ، وغالبا ما تتناولها من الزوايا الحزبية كرأي سياسي للنهج الحزبي .

ومن القسم الثاني اوردنا « البلاد » كنموذج لصحف الخبر والرأي ، الا انها كانت ذات اتجاه تقدمي يساري (معتدل) بعد أن تولى ادارتها وتحريرها ورثة رفائيل بطي . اما القسم الثالث ، فقد اوردنا نموذجا (سيئا) للمواضيع التي كانت تزخر بها صحافة (اليأس) الفكري والأفلاس (الصحفي) .

الا أن هناك ظاهرة غريبة برزت لاول مرة في تاريخ الصحافة ، وذلك بمنح امتيازات لاشخاص بعيدين عن عالم الصحافة وتدريبهم على تبني سياسة الحكم من غير (السياسيين) ، عكس ما كان يحدث في العهود السابقة ، حيث كانت الامتيازات تمنح (لعملاء) السلطة من ذوي الماضي السياسي المعروف بتبعيته لكتلهم واحزابهم للسلطات الحاكمة الرجعية ، وكونهم عملاء خلص للاجنبي . ويتولى الاشراف على تلك الصحف مباشرة عسكريون او اجهزة قمعية داخل السلطة ترتبط مباشرة بالمكتب الصحفي لرئيس الوزراء ، ومقره وزارة الدفاع . فتظهر تلك الصحف وهي تحمل تصريحات خاصة (لقائد الثورة) وقد اطلقت عليه شتى النعوت والتسميات التأليهية كالزعيم الاوحد ، والبطل البطل ، والاسد في عرينه ، ومولد الامين ،

والقائد الملهم ، والزعيم العبقري ، وغيرها ، مما ساعدت على تأصل روح الفردية في الحكام العسكريين ، وساهمت مساهمة فعالة في شق وحـدة الصف الوطني وتأليب القوى الوطنية على بعضها ثم تهيئة الجو لتوجيه الضربات للقوى المخلصة وصحافتها وذلك بما ابتدعته من (اقتراحات) ومشاريع وعلى رأسها مشـروع الانصهار القومي ، والحزب الواحد ، والفوضوية ، وانتزاع البراءات من الحزبيين ومهاجمة (الحزبية الضيقة) .

ولكن [الفوضى] الصحفية في تلك الفترة وضعت أسسا جديدة للصحافة العراقية ، عندما استطاع الشعب أن يضعها على المحك ، وهو الذي خبرها قبيل وبعد الثورة . فحكم على الكثير من الصحف بالموت ودفعها إلى الالتجاء اكثر الى السلطات الحاكمة والاعتماد على المصاريف [السرية] المثبتة في اضابير وزارة الأرشاد وخضوعها [بسهولة] للسفارات المعادية . فادخلها الصحافة من اضيق ابوابها . بينما تغربلت بقية الصحف لتحتل [الجديرة منها] مكانا مشرفا في [صدر] الجماهير الواسع وتحتفظ بجزء عزيز من تاريخ تطور الصحافه العراقية عبر احداث البلاد وتقلبات الاوضاع السياسية ، لتكون سجلا وطنيا تأريخيا للباحثين يضاف الى التراث الوطني الذي دونته وحفظته صحافة العشرين والوثبات والانتفاضات .

وعلى اثر الانقسامات الوطنية التي وقعت في اواخـر عام ١٩٦٢ واشتداد الصراع بين السلطة والقوى الوطنية من جهة ، واندلاع الاقتتال بين الاخوة في شمال الوطن ، عادت بعض الصحف الى العمل السري ، واصدر الحزب الشيوعي جريدته السرية « طريق الشعب » واصدر حزب البعث العربي الاشتراكي جريدته « الاشتراكي » بجانب النشرات الاخرى « لحركة القوميين العرب » ، « والاخوان المسلمون » ، « والكادحون العرب » ، بينماسارت جريدة البلاد وصوت الاحرار ومجلة ١٤ تموز ونوعا ما جريدة المستقبل في انتهاج سياسة المعارضة للحكم الدكتاتوري الفردي ، مما عرض رئيس

تحرير جريدة صوت الاحرار للتوقيف والسجن [فريد محمود] كماتعرض من قبله محمد مهدي الجواهري للاعتقال والاعتداء ، وتعرض بعض الصحفيين للسجن ومنهم حميد رشيد وصالح سلمان وشمران الياسري ، وسلطت الرقابة على الصحف من قبل التوجيه المباشر من المكتب الصحفي الخاص لعبدالكريم قاسم وكان يديره أحد العسكريين ومن الاستخبارات وكان موجهها عسكري أيضاً ، والامن العامة وكان يرتبط مديرها بقاسم مباشرة ، واشيع جو من الارهاب في الوسط الصحفي وتعرضت جريدة البلاد لابشع اسلوب من اساليب القمع الفكري والاعتداء على حرية الكلمة التي تمثلها حرية الصحافة وذلك على اثر قيام جهة معلومة للناس بوضع السكاكين والقامات ومادة الزرنيخ خارج بناية الجريدة في اواسط شهر آب من العام المذكور ، ثم قيام رجال الامن والشرطة بكبس الدار بعد ساعة من تواجدهم خارج البناية ومداهمة العمال وبعض المحررين في الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل ، ثم القاء القبض على رئيس تحرير الجريدة وكان آنذاك سامي بطي وجلبه مخفوراً من داره ومحاولتهم أجباره على توقيع محضر مزور يثبت وجود مواد وأسلحة ومتفجرات في الجريدة . إلا أن رئيس التحرير رفض ذلك وسيق الى مديرية الأمن رهن التوقيف مما دفع بمدير التحرير ، شقيقه (المؤلف) بايقاف العمل بالجريدة وتقديم احتجاج صارخ على ذلك الاجراء . وبقيت البلاد معطلة من قبل أصحابها ثلاثة أيام ، بعدها اتصل السكرتير الصحفي لرئيس الوزراء (العسكري) بمدير التحرير وتأسف له عن الحادث موعداً باطلاق سراح رئيس التحرير بعد ساعات وطلب أصدار الجريدة وكتابة مذكرة في هذا الشأن . وقد تم ذلك فعلاً ، وأطلق سراح رئيس التحرير بعد أسبوع من توقيفه . وكان الهدف من هذا الاجراء الضغط على الجريدة لمسايرة خط الحكومة والدفاع عنها والكف عن المعارضة وشد أزر القوى الوطنيه . وعندما فشلت تلك الخطة ، أستدعي رئيس التحرير

مرة ثانية بعد مرور شهر على توقيفه الاول بحجة [ايواء مجرم] وهو أحد المحررين سابقاً ، وسيق الى المجلس العرفي الاول حيث حكم عليه بالسجن لمدة سنة ونصف . وتولى رئاسة تحريرها شقيقه كمال بطي بعد استدعائه من الهند كملحق صحفي هناك . ورفضت السلطات السماح [للمؤلف] بتولي رئاسة التحرير بتهم شتى .

وعادت صحافة تموز ، لتخوض معركة جديدة مع السلطات الحاكمة دفاعاً عن حريتها وحرية الشعب ، ولتضيف الى سجلها صفحات جديدة من تاريخ محنتها عبر الاحداث السابقة واللاحقة .

عوامل الضعف في صحافة العراق

هناك عوامل عديدة تقف حائلا بوجه تقدم وتطور الصحافة العراقية بعد أن وجدت مجالاً واسعاً امامها للتخلص من شوائب الماضي نوعاً ما ، وحصلت على مقومات أولية لدعم كيانها بما ظفر به القائمون على تسيير دفتها من المشتغلين بالمهنة الرئيسية لهم من الامكانيات المادية والفنية ، وحتى الفكرية ، لتشييد وارساء دعائمها على أسس حديثة تختلف اختلافاً متبايناً عن أسس الماضي كما بينا سابقاً . ومن هذه العوامل :

أولاً : حرية الصحافة :

الصحافة ، منهل واسع ، ينهل منه الشعب ليعيش ، وهو يريد لها

حرية لا حدود فيها ، ايماناً من واقعها كسلطة رابطة في الدولة . ومتى ما فقدت حريتها انما تفقد مقومات وجودها ، لان الصحافة تستطيع ان تلعب دوراً بارزاً في حياة الامة وشعبها . ومن هذه الحقيقة ، تبرز الى وجود عالم صحافتنا ، كجزء من صحافة العالم المتحرر ، الملكية الحقيقية والشرعية لادارة هذا الجهاز الكبير . واذا قلنا أن الصحافة بدون حرية ، كشعب بدون سيادة ، سلمنا بواقع ضرورة تمليك الجهاز للشعب ، والشعب وحده يجب ان يكون مسيطراً عليها والا ، فالكارثة أعظم اذا مااستخدمت استخداماً خاطئاً فردياً أو جماعياً .

هكذا نفهم الصحافة ، ولا نعرف مفهوماً آخر يعبر عن واقعها . والصحافة لا يمكن أن تؤدي رسالتها الا اذا توفرت لها حريتها . وهذه الحرية جزء لا يتجزء من الحريات الديمقراطية التي ينادي ويتغنى بها الشعب . فهو يريد أن يعبر عن ارائه ومعتقداته ، فيملي ارادته ، ولتسطر صحافته هذه الارادة . فتقاد اليها وتقود ، لتكون لنا الرأي العام . ولا يحق لاي فرد أن يتحكم في رأي الشعب ، أو أن يفرض اراء غريبة عن واقعه ، أو يحاول أن يمسخ ارادته . لان التعبير والنشر ملازمان لحرية مقدسة يمتلكها ، وله الحق في أمتلاكها ، فقط عشاق الحياة .. شعبنا .

وكثيراً ما نسمع ونقرأ عن مفهوم الصحافة وحريتها وقانونها وأهدافها دون أن نلتزم بواقع وجودها . فتتعدد المفاهيم ، ونبتعد عن كبد الحقيقة فلا نصيبه ، بل نصيب انفسنا ونتكبد مآسي عدم ادراكنا ووعينا لمسؤولية الصحافة ، التي تريد منا ، ولا نريد نحن منها ، ولا نستطيع أن نطلب منها أكثر ما يطلبه شعبنا . فلنوفر لها اذن ما تريد ، صحافة حرة متفتحة لا تتقيد ، لنفيد ، ولنقول بعد ذلك اننا جديرون بتحمل المسؤولية كصحفيين .

وصحافتنا ، مرت بفترات عصيبة وخطت من تاريخها ما ينيف على


تقرير عن هرو

توزيع الأرباح على منتسبي

المساء

مؤتمر قمة عربي لا تحضره سور

الجمهورية

محادثات القاهرة تهم العرب جميعا

الفريق طاهر يحيى يؤكد ايمان العراق بضرورة واهمية عقد مؤتمر

قانون المؤسسة العامة للصحافة والطباعة

الثورة

دعوة ديغول

الفدائيون ينسفون

المواطن

برجنيف يزور القاه

زيارة الطائرات السوفيتية للمطارات العربية

BAGHDAD OBSERVER

"UBLISHED BY THE GENERAL ESTABLISHMENT FOR PRESS AND PRINTING
EDITOR-IN-CHIEF: KHALIS AZMI

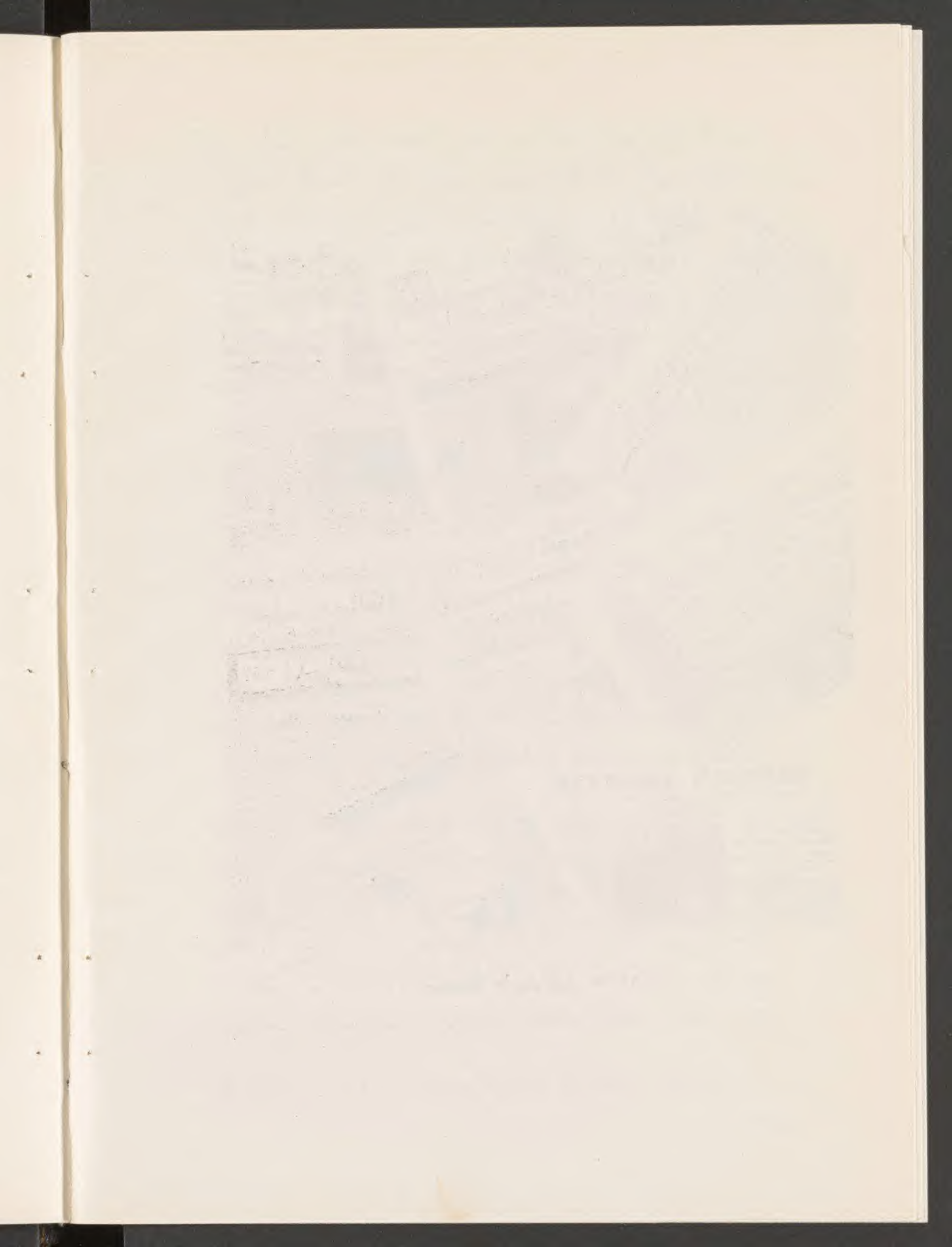
Armed struggle 'only means of liberating Palestine'

NEW MILITARY COUNCIL TO COORDINATE ARAB COMMANDO ACTIVITIES SET UP
OCCUPIED PALESTINE

French wil sell Iraq a

FRANCE LIFTS ON ARMS TO

صحافة ما بعد عام ١٩٦٣



١٠٠ عام ولكنها لم تتقدم ، بل تاخرت عما كانت عليه في فترات ليست بعيدة ، سياسيا وفنيا ، بل حتى مهنيا . خضعت في عهود لقيود حطمت كيانها ، وتحطم معها محترفون ، ووضعوا لها أسسا ومقومات ، ولكنهم تغلبوا عليها وساهموا في تحطيم تلك الكيانات الهزيلة . وعاشت في فترات احكمت الظروف الاقتصادية الخناق عليها ، ووضعتها تدور في حلقات فارغة ، ولكنها تجاوزت الظروف وتقدم المحترفون والهواة كتفا لكتف في مخاطرة استهدفت صيانة قدسيتها فعاشت في قلوب الناس مخاطرانهم ، وتسابق من بعدهم حملة رسالتها لينتشلوها من ضعفها ، وكان السباق عنيفا ، اثمر في يومنا هذا عن رونق وزخرفة ، شكلا لا مضمونا .

ومتى ما كانت حـــرية الصحافة متوفرة ، كانت الفائدة اعظم ، وعكسها الكارثة ، وهذا ما شهدناه في عهود متلاحقة حيث استطاع الباحثون في موضوعات السياسة والرأي العام أن يحرزوا تقدما في مضمار الخطوط الحسابية والبيانية ، وأن يضعوا في الحساب – نوعية – ضاعت في زخم – الكمية – قد تظهر يوماً ما لتشطب من تاريخنا الحديث كل ما طرأ على أحداثه في مختلف المجالات والميادين من المآسي وما سببته من الانتكاسات في عملية التطوير . وقد لعبت الصحافة دوراً خطيراً في مثل هذه العمليات ، كما قدمت في القليل منها خدمات كبرى ظهر أثرها سياسياً في حملات التوعية والتنوير الفكري في بعض المراحل الزمنية (القصيرة) .

أن أخطر ما يواجه وسائل الاعلام وعلى رأسها الصحافة ، التسلط والتقييد الملازمان للاحتكار القسرى من قبل السلطة ، كما حدث في عهود الرجعية والتبعية ، والتي مازلنا نعاني من ترسباتها في ظل قانون لم يتبدل من نصوصه في تعديلاته المتلاحقة سوى الالفاظ التهذيبية بينما بقيت مشكلة الحرية على الهامش . ولا حرية للصحافة الا بقانون تقدمي يؤمن

مشروعه بحرية الفكر والعقيدة اولا ، وبالديمقراطية ثانياً . ومتى ماتوفر للشعب هذان الركنان ، توفرت للصحافة مهمة كبرى لاداء رسالتها ، ورسالتها ملتصقة بأهداف من تنطق بلسانه ، الشعب . ولا يمكن باية حال من الاحوال ، أن يكون الحرف والكلمة ملكاً لفرد ، بل هي ملك المجموع ، لان حرية الفرد من حرية المجموع .

بهذا المفهوم ، تقيم الصحافة ، اذا اردنا صحافة حرة بناءة تكنس أمامها كل العقبات التي زرعتها حكومات العهود الماضية ، وبالتالي تختصر الكثير من بنود المواد العديدة التي شرعتها تلك العهود . وتخطط أمامنا أسس الكيان الصحفي الذى يتطلع اليه المحترفون والهواة من الذين تعشقوا الحرية وناضلوا من أجل الكلمة الخيرة ليجسدوا اماني شعبنا .

وأنطلاقاً من هذه الحقيقة التي لا تقبل النقاش ، فأننا لا نقبل أن تكون الصحافة العراقية — سلعة — تخضع لقوانين العرض والطلب في النظرة الاقتصادية ، أو — منظمة — يخضع منتسبوها لتوجيه أو ارشاد في النظرة السياسية ، أو — مهنة — تتقيد بموازين الربح والخسارة في النظرة التجارية ، بل نريدها سلطة لها من القوة ما تؤهلها لان تخضع السلطات الاخرى لرقابتها ، فتوجهها أو تنتقدها ، تؤيدها أو تعارضها ، وتكون رسالتها منبثقة من مهامها ، ولا مهام الا خدمة الشعب .

يجب أن تكون المادة الاولى لاي قانون مطبوعات (تقدمي) ما يلي :

« أن المحافظة على مستوى مهنة الصحافة لا يقل في أهميته الحيوية عما هو عليه في المهن الاخرى . فالطبيب المهمل قد يسمم شخصاً ولكن مراسلاً مهملاً أو خبيثاً قد يسمم عقول الملايين من البشر ويسيء العلاقات بين الاقطار والامم » . وهذا قول خالد لصحفي شهير وأكاديمي معروف

هو ايفور توماس .

أن القيود المفروضة على الصحافة بموجب قانون المطبوعات ، وما تعرضت له الصحف العراقية طيلة العهد المباد وعهد تموز من الاضطهاد والتنكيل ، وحرمانها من الحرية الواجب توفرها في أية صحافة تحترم نفسها ويحترمها أي عهد ، خاصة بعد ثورة الجيش والشعب في تموز ، سببت ، وكانت من أهـــم الاسباب التي أدت الى تدهور الصحافة وبطء تطورها (فنياً) وذلك لتعرض غالبية الصحف الى التعطيل والالغاء مما لم تشجع تلك السياسة أصحاب الامتيازات الى تطوير الطباعة خوفاً من البطش والوقوع في ازمات مالية . فبقيت الطباعة البدائية سمة الجو الصحفي مـا ما ينيف على أربعين عاماً ، حتى أقدم بعض الصحفيين المغامرين على جلب المكائن والالآت الحديثة كما شرحنا سابقاً وعرضوا أنفسهم للمخاطر بعد أن امتدت يد التعطيل والغاء الامتياز لتكتم أنفاس تلك الصحف التي فتحت باباً جديداً أمام الصحافة لتتطور وتتقدم وفق اسس ومبادىء حديثة . وأسدل الستار على دورهـا الجديد . فكانت (الحـــرية) المنشودة سبباً مبـاشراً لتأخر صحافتنا فنياً ومادياً ، كما كان فقدانها اسفينا في نعش الحكومات الرجعية التي حفرت قبرها بيدهـــا طالما حاولت وأستماتت في خنق (كل الحريات) وعلى رأسها حرية الكلمة الشريفة .

ثانياً : العاملـون في الصحافة :

ولج الحقل الصحفي كثيرون منذ نشوء الصحافة حتى يومنا هذا . – وكان القسم الاعظم – من هؤلاء فيما مضى ، أي في الفترات الاولى لنشوئها من ذوي حملة الاقلام فقط ، دفعهم شعورهم القومي في كثير من الحالات الى أصدار الصحف لتدبيج ما يجول في أعماق نفوسهم من شعور

فياض أو أحساسات عقلية جدية تنشد الانطلاق . فكانت مسألة الصحافة بالنسبة لاولئك طبع ونشر تلك الاراء والاحساسات على صفحات (الاوراق) التي صدرت بها معظم الصحف العراقية منذ ١٩٢٠ ، وهي فترة الانطلاق الفكري المنعكس عن الانطلاق الجماهيري المستهدف حرية واستقلال الوطن العراقي الذي كان ينشد الاصلاح الاجتماعي .

ثم تطورت الاحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وزاد عدد الصحف ، وكثر الصحفيون ، أو بتعبير أصح أقرب الى واقع الصحافة العراقية ، تزايد عدد الكتاب في مجال الصحافة لاسباب عديدة اتينا على معظمها في تدوين وقائع التطور وعوامل التأثير عليها ، حتى وصل الحال عليه اليوم كما بدانا منذ الطفرة الاولى . وتابعنا سيرنا على نفس الاسس في تطعيم المجال الصحفى بالكتاب والادباء ، يضاف اليهم الهواة .

وتجاه هذا الواقع ، نرى لزاماً علينا تحديد معنى (الصحفي) وتشديد شروط انتسابه تجاه هـذا الزخم الهائل المتدفق يوما بعد يوم في عالم صحافتنا العراقية كعامل رئيسي من عوامل تقدم أو تأخر الصحافة العامة .

المفروض في الصحفي ، سواء كان صاحب الامتياز أو رئيس التحرير ، أو المحرر في جميع المجالات المختصة بزوايا الصحافة ، أن يكون مثقفاً مطلعاً على الامور السياسية أولاً ، ومن ثم قابليته على الكتابة ، وهي الشروط الاولية الواجب توفرها في الصحفي (الكاتب) أن اراد دخول المعترك الصحفي . أما الشروط الاخرى ، فهي عديدة ، منها ، الموهبة ، فالدراسة ، فالمعرفة بدقائق العمل الفني المتوفر في عملية أصدار الجريدة ، بجانب تخلقه بمزايا المسؤول عن هـذا الجهاز الهام في ادارة وقيادة الرأي العام . ومن هذه المزايا ، الشعور بالكرامة والتمسك بشرف المهنة وقدسيتها ، والقسم بعدم خيانته لهذا الشرف ، ثم الصبر والشجاعة الادبية

والصدق والامانة ، وأخيراً احترام المهنة . أي ان يحترم الصحفي نفسه قبل ان يطلب من الناس الذين يقرأون اه ان يحترموه .

وكثيرون هم الذين شقوا طريقهم في هذا المجال ، حتى جعلت منهم الايام والاحداث (صحفيين) تعتز بهم صحافتنا ، ويحترمهم أبناء الشعب ، بعد أن غربلت الاحداث والتقلبات السياسية العديد منهم ، وأبقت القليل جداً ، منهم من قضى نحبه ، واخرون ما يزالون يعملون في الصحف .

ثالثاً : الاختصاص في العمل :

ان ما تشكو منه الصحافة العراقية ، كما شكت منذ نشوئها ، هو الاختصاص في العمل الصحفي . ويرجع السبب الاول لانعدام الاختصاص ، واعني به ، الاختصاص في حقل من حقول الصحافة ، الى انتفاء الحاجة لمثل هذا الاختصاص في الوضع الذي سبق (تأميم) الصحافة ، وفي وقت هي بأمس الحاجة الى العديد من الاختصاصيين بعد أن نمت وتطورت وتنوعت مجالاتها . فما يزال صاحب الجريدة يعيش في عقلية تجارية ، مستهدفاً الربح ما دام هناك قراء لجريدته . فيطلق العنان لاحد الصحفيين أن يدبج ما شاء له من المقالات ، فالخبر ، فالترجمة وحتى المقال الافتتاحي ، ويتعدى اختصاصه الى أبعد الحدود ، فهو ملتقط الاخبار ، فالمصحح . وتاريخ صحافتنا زاخر بمثل هؤلاء الصحفيين الذين مازال معضمهم يعمل في صحفنا الحالية .

ويقابل هذا العدد من الصحفيين (المحظوظين) صحفيون اخرون ، لايعرف الواحد منهم ابسط قواعد المهنة . وامام هذه المشكلة تبرز حقيقتان : الاولى ، عدم اهتمام اصحاب الصحف بماهية العمل في صحفهم والاكتفاء بمحررين يقبضون اقل مبلغ زهيد مقابل اتعابهم . ومن هذا

العمل (تحرير) الجريدة باكملها . والحقيقة الثانية ، انعـدام التعليم الاكاديمي الصحيح لفنون الصحافة . ومن هذه الوقائع ، ينعدم الاختصاص في حقول الصحافة ويندثر البناء الهرمي لهيكل العمل الصحفي .

والبناء الهرمي هذا يجب أن تتوفر به الكوادر التالية :

رئيس التحرير — مدير التحرير
سكرتير التحرير الاول

سكرتير تحرير الانباء	سكرتير تحرير الملاحق	سكرتير تحرير المقالات
المخبرون المحليون - ملتقـط الانبـاء الخارجية - الوكالات	المحررون - الخطاط - المصـور	المترجم - الكتاب - المعـلق السياسي

الحقيقة التي لاتغرب عن بال المطلعين على شؤون الصحـافة العراقية هي انعدام البناء الهرمي الذي ذكرناه في هيئات تحرير جل الصحف الصادرة بالامس واليوم . ويرجع السبب الرئيسي لذلك ، الى عدم تفهم (الادوار) الرئيسية لكيان هذا البناء من قبل معظم اصحاب الصحف . ولربمـا كان العامل وراء هذا السبب هو الاهمـال الذي يدفع باصحاب الصحف الى تجاهله من أجل الاكتفاء بما هو موجود من الدخل المادي في نطاق (الايدي العاملة) الرخيصة التي تحقق هذا الدخل ، متناسين أن تطـور الصحافة الحديثة قد فصم عرى التضامن بين صاحب الجريدة واليد العاملة من الصحفيين لتقرير هذا الدخل ، ورفع بالقارىء وحده الى أن يقـرر هـذا الدخل ، فكلما كانت الجريدة قوية ، وقوتها مستندة الى قوة ومتانة قاعدة البناء الهـرمي ، ازدادت اهميتها بالنسبة للقاريء ، فيكتب لهـا النجاح والبقاء . والعكس في هذا المفهوم فكلما ابتعدت الصحافة عن

حقيقة تصوير نفسية القارىء التي هي بدورها تجسد قيمة المجتمع ، فالأمة ، هبطت قيمتها وتدهور مستواها الفكري والفني . ولهذا نرى الضعف في المستوى الصحفي يكمن وراء ضعف البناء الهرمي [المفروض] فيه تقويم واستكمال سلسلة الحلقات التي تشكل الكيان الواحد للجريدة .

فمن هو الصحفي ؟

انه المحرر ، وهو المخبر المحلي ، المحرر الفني ، الادبي ، المعلق السياسي ، محرر الشؤون الخارجية السياسية ، كاتب الريبورتاجات ، التحقيق الصحفي ، البحث الصحفي .

وهو سكرتير التحرير ، ولا تقتصر على واحـــد فقط ، بل تتعدى مسؤولياته الى اكثر من [صحفي] ، منهم من يختص بشؤون الانباء ، والاخر يعمل في شؤون الملاحق الداخلية .

وهو رئيس التحرير الذي يقرر سياسة الجريدة ، ومعه مدير التحرير

وهو المصحح . والخطاط ، والمصور ، والمحاسب ، والارشيف ، وكل من اتخذ المهنة عملا وكسبا لمعيشته شريطة أن يختص في اي مجال من مجالاتها الواسعة .

رابعا : الاسلوب واللغة :

مامن شك في أن للاسلوب واللغة المقام الأول في تقدير وتقريـــر مستوى الصحافة . فكلما كان اسلوب الصحفي ، ولغة التعبير عن مشاعر الناس واهدافهم متينة في مضمونها ، سلسة سهلة في معناها ، كانت لغة الجريدة وسياستها أقرب الى نفوس ومشاعر الجماهير . يقابلها صدود وجمود

من قبل القراء تجاه الصحف التي تتبع اسلوبا رخيصاً ولغة بعيدة عن التراث القومي . واحداث كثيرة مرت بها صحافتنا العراقية هي التي حددت هـــذا المفهوم . فالصحافة هي لسان الشعب ، واسلوب الشعب ارفع من أن يدنس ويهبط به الى الحضيض على يد الدخلاء الجهلاء في الصحافة . ومن الاسس القويمة للحفاظ على هذا التراث ، الصدق في الاخبار والامانة في نقل الافكار الى الناس أو التعبير عن هذه الافكار ، وعدم اختلاق الانباء أو الاحداث والابتعاد عن لغة (الكر والفر) التي يتبعها البعيدون عن دبلوماسية الاخلاق الصحفية .

فالجريدة المفروض فيها أن تكون مرآة المجتمع ، ومتى ماصقلت هذه المرآة ، ظهـــرت صورة المجتمع جلية واضحة ، ومتى ما اهملت ، انعدمت اهميتها ، وحجب انعكاس اشعاعهـا . ولابد للباحث في شؤون صحافتنا أن يعترف بحقيقة تدهور اسلوب ولغة بعض الصحفيين اذا مانظرنا بعين مجردة من التهجم والطعن الى وضع الصحافة العراقيـــة عما كانت عليه سابقا . واذا اردنا انقاذها وانتشالها من اولئك الذين اساءوا اليها ، علينا أن نتمسك بأسلوب ولغة واضحة نابعة من تراثنا ، وتطهيرها من الشوائب التي شوهت مفاهيمنا في بعض المراحل الزمنية الغابرة .

خامسا : قواعد التحرير الصحفي :

تتميز الصحف بعضها عن بعض ، بأسلوب الكتابة الذي يتبعه المحرر أو أي مسؤول في الجريدة . فتختلف صياغة الخبر وابرازه ، المقال التحليلي أو الوصفي ، الريبورتاج ، في جريدة ما عن الاخرى ، قياسا الى القواعد المتبعة في تحديد هـــذا الاسلوب أو ذاك . وفي صحافتنا العراقية ، تكاد تنعدم هذه القواعد وتخلو من الاسلوب الخاص الذي يميز هذه الصحيفة

عن غيرها ، الا في نطاق ضيق يتناول الانباء المحلية والتي لاتخلو في كثير من الاحيان من الحشو والاسلوب الانشائي ، والمزودة بها من قبل وكالة الانباء العراقية .

غير أن الواقع الصحفي ، يوجب على الانبـــاء الرسمية (المحلية) نفسها أن تخضع الى القواعد الاولية في التحرير والصياغة وذلك لتسهيلها وتقريبها الى اذهان القارىء . فكل محرر يجتهد لنفسه في صياغة تلك الانباء حتى ولو كانت رســـمية مرسلة من قبل الوكالة الرسمية . ومن يتصفح الجرائد ويطلع على الانباء السياسية أو المحلية المنشورة في معظم الصحف العراقية يستطيع أن يخرج بنتيجة واحدة هي تشابه هذه الانباء من حيث المضمون والتركيب ، وهذا ضعف في (التحرير) تقرره قابليات الصحفي . أن هذه النتيجة تشكل خطرا على مستوى الصحافة حين يصد القارىء عن متابعة قراءة الانباء أو الاهتمام بها ، مندفعا في صدوده – كحل كيفي – نتيجة الاسلوب الجامد ، والروتين المتبع في صياغة الاخبار ، وهو في اكثر الحالات اسلوب ممل للاحداث وتسلسلها ، وتكرار العبارات ، يغلب عليه طابع الحشو والاطالة وعدم تناسق ، وبالتالي ضعف الاخراج الصحفي للانباء . فالاخبار هي العمود الفقري للاحداث وواجب الصحفي اتباع القواعـــد الصحيحة للتحرير في كل مجالات العمل الصحفي .

اولا : يجب أن يلاحظ المحرر أو المسؤول عن التحرير الانباء المحلية أو العالمية ، وهو في حكم وظيفته سكرتير تحرير قسم الانبـاء وكل من يرتبط به من المخبرين والمحررين ، الاختصار في الانباء بقدر الامكان ، وذلك لتسهيل مضمون الخبر واعطائه خالصا للقارىء ، ومن ثم فسح المجال لاكبر كمية من الانباء للنشر في الصفحات المخصصة للانباء السياسية والمحلية .

ثانيا : تسلسل الاحداث وربطها باشخاص الحدث أن وجد الاشخاص في الخبر .

ثالثا : سهولة العبارات ومتانتها وتبسيط اسلوب اللغة وتقريبها لابسط القراء ثقافة (لغة الصحافة تختلف كليا عن لغة الادب) .

رابعا : الابتعاد عن الحشو وتكرار الالفاظ والعبارات التي قد تشوه في كثير من الاخبار معناها وأصالتها .

خامسا : اتباع قاعدة المقدمة الدالة في الخبر وهي من اهم قواعد التحرير وتتلخص في اتباع ٥ اسئلة والاجابة عليها عند التحرير . ماذا حدث ؟ اين حدث الحادث ؟ متى حدث ؟ من اشترك فيه ، كيف وقع ذلك ؟

سادسا : التأكد من الخبر قبل النشر .

سابعا : ابعاد صياغة الخبر عن الهدف السياسي ، وعدم اعطاء الرأي السياسي في مضمون الخبر ، اذ المفروض ترك هذا الموضوع (للتحرير) في مجالات التعليق .

ثامنا : استعمال الصور الخبرية لدعم الاحداث وتشويقها للقارىء .

والحقيقة التي يجب أن لايغفلها الصحفي في تفهم نوعية الخبر ، هي ارتباط الحادث بالرأي العام . وهذه الحقيقة تدفعنا دوما الى استقصاء اثره . فان كان الخبر سياسيا فواجبنا ربطه بالتأريخ وترقب (تفاعلاته) بملاحقة القارىء وتزويده بما سيجد من المعلومات ، وهذا العمل يدفع القارىء الى التمسك بجريدته .

سادساً : التبويب والاخراج الفني :

ومن عوامل الضعف الاخرى في عالم الصحافة العراقية مايتعلق بالناحية الفنية والتكنيكية ، بعد أن دخلت الالآت والمكائن الحديثة ميدان الطباعة والنشر .. ونقصد بالنواحي الفنية ، مجالات أصـدار الجريدة وأخراجها وطبعها وفق الاسس الطباعية الحديثة ، والتي تختلف اليوم اختلافاً كلياً عن الطباعة البدائية قبل أعوام ليست ببعيدة ، حيث لم تتوفر مثل هذه الامكانيات العديدة عند أصحاب الصحف سابقاً سوى ما كان لديهم من حروف بدائية وماكنة طباعة صغيرة ، هي كل أدوات (الانتاج) التي أمتلكوها لاصدار صحفهم .. فكانت الصحف نتيجة تلك (الامكانيات) ، يغلب عليها طابع الضعف والتأخر من الناحية الفنية والشكلية . أما اليوم فقد أصبح من الميسور لصاحب جريدة واحدة أن يمتلك أحدث مكائن اللاينوتايب والمكائن الاوتوماتيكية ، وأن يطبع جريدته وفق الاسس الحديثة التي تصدر بموجبها معظم الصحف العالمية المتقدمة حسب امكانياتها وظروفها المادية ، تمسكاً بالواقع الصحفي (المحلي) الذي يفرض أحياناً حدوداً ضيقة ترتبط بها الجريدة من ناحية الانتشار ، وما تسبب هذه الحدود من عرقلة تقدم وتطور الجريدة على نطاق أوسع .

فعملية الاخراج الفني في الصحافة بمفهومها العلمي هي عملية التبويب وابراز الاخبار وتنويع المادة التي تحتويها الجريدة يومياً .. فكما تحتاج المسرحية أو التمثيلية الى أخراج يقوم به المخرج الفني ، وبصورة خاصة ما يتعلق بالشخصيات الرئيسية للقصة ، والمكياج ، والديكور .. فكذلك تحتاج الجريدة الى مخرج فني يقوم بأعـداد التبويب وتوزيع المادة في صفحات الجريدة وتقديمها للقارىء بشكل أفضل ، تقرب المادة أكثر الى القارىء وتجعله يتذوق مضمونها وتريح نظره بدلاً من ارتباكه ومله

فيجملانه في أكثر الحالات يفقد (صوابه) نتيجة عدم أظهار ما يحتاجه بصورة واضحة منسقة منظمة . وهذه الحالة النفسية ترتبط أرتباطاً وثيقاً في مجالات الحياة العامة للفرد الذي يتطلع دوماً الى (أثبات) وجوده في احتياجاته .

يتصور بعض الصحفيين .. أن التبويب في الصحافة لا يتعدى عملية توزيع المادة والاعلانات بشكل ينم عن أرتياح النظر من ناحية الطبع فقط .. بينما يتجاهلون حقيقة وأهمية التبويب بمفهومه الفني والتكنيكي كقاعدة ترتبط بها الجريدة كلما اراد القارىء الارتباط بهذة الجريدة او تلك . ومن أبرز قواعد التبويب زج متطلبات القارىء بقوالب تعطيه معنى وفائدة علمية وأجتماعية وسياسية يتشربها ويرتاح اليها عندما يرى نفسه بحاجة الى المتطلبات .. وكل انسان يطلب المزيد من المعرفة .. وخير السبل الى أن ينتهل الانسان مزيداً من المعرفة هـو الصحافة اليومية . . فتفرض عملية التبويب نفسها في هذا المجال ، ولا تقتصر على تنوع المادة ، بل تتعداها الى الاسس الصحيحة في كيفية أخراج هذه المادة .. والاخراج هنا يتطلب : العناوين ، فالصور ، فالاختصاص ، فالتقسيم الضمني للابواب المتنوعة والابقاء عليها ثابتة لا تتغير بتغير المادة يومياً .. اذ أن القارىء بطبيعته يريد ان يرى في كل يوم ما يتطلع اليه من المواد الخاصة في مجالاتها الثابتة .

لم تكن أهمية الاخراج الصحفي ، أو التبويب باصطلاحه الصحفي الفني ، بالنسبة للقارىء والصحفي معاً ، أقل شأناً عن بقية القضايا الصحفية الحديثة أن لم تتعداها ، من حيث ارتباط القارىء مباشرة (بالمطبوع) صباح كل يوم .. فالقارى الذي لا يتحسس مايدور داخل بناية الجريدة ، أو الذي لايعرف شيئاً عن أي مرحلة من مراحل أصدار الجريدة منذ ان يبدأ المحرر المخبر باستقصاء الاخبار في الصباح الباكر حتى استلام

البائع للصحف من نفس الدار في الساعات الاولى من فجر كل يوم .. لابد أنه يعرف على الاقل شيئاً واحداً .. هذا الشيء هو (قراءة) كل مـا في جريدته سواء في الصفحات الاولى ، أو الصفحات الداخلية . وكل ما يقرأه القارىء سيحكم عليه بمنظاره الخاص ، وما علينا الا أن نعطي له ما يريد مضموناً وشكلاً مقبولاً .

فقد يستسيغ هـذا القارىء مضمون الكلام في كل زاوية من زوايا الجريدة .. ولكنه لا يستسيغ (شكل) الموضوع . فهو في هذه الحالة يريد من الصحافة شكلاً أوجدته التطورات الجـــديدة في عالم الطباعة ، بقدر ما يريد مضموناً في استطاعته أن يبحث عنه في مجال آخر من مجالات النشر والدعاية كالاذاعات أو الصحف الخارجية أو الافلام والكتب .

ومن هنا .. كانت قضية التبويب أو الاخراج الفني للجريدة من أهم قضايانا الصحفية . اذ أن حل هذه القضية حلاً جذرياً ، يعتمد بالدرجة الاولى على مدى استطاعة المحرر المسؤول أو صاحب المطبوع الاجابة على هذا السؤال :

كيف استطيع ان اكسب القارىء ؟

فأجهزة الراديو والتلفزيون لهـا جمهورها .. معتمدة على توفر الامكانيات الفنية بجانب وفرة المواضيع وتشعبها .. من أخبار الى أغـان وبرامج خاصة .. وأحاديث متنوعة وكذلك التلفزيون .

ففي هاتين الوسيلتين من وسائل النشر والدعاية يعتمد المضمون على الاخراج .. وبأعتماده على نوعية الاخـــراج وملائمته للذوق الفني لدى

المستمع والمشاهد . فان الاداريون يسعون مجدداً لتحسين برامجهم من أجل نشر الوعي بين المشاهدين والمستمعين اكثر فأكثر .. وهذا يعني كسب الرأي العام وشده للبرامج .

وقياساً ، لهذا النوع من وسائل النشر ، نستطيع أن نتمثل بالافلام السينمائية .. فبقدر مايحشد أصحاب الافلام من امكانيات فنية عالية ، وشخصيات تمثيلية ، فانهم لا يستطيعون الاستغناء عن عنصر (الاخراج) أبداً ، بل يرون في قوة الاخـــراج (عاملاً) اسياسياً من عوامل نجاح (انتاجهم) واقبال الجمهور عليه .. فلهذا يحكم المشاهد اليوم على الفلم أول ما يحكم على (الاخراج) .. ثم يستذوق [قصة] الفلم أن نجح المخرج في اعطاء فكرتها ، بصورة جيدة يتقبلها الذوق الفني الذي يتحسس به هذا المشاهد أو غيرة كل انتاج عام . فاذا كانت القصة قوية وعدد الممثلين اضعاف احتياجها للشخصيات المعينة ، وشهرة هؤلاء الممثلين قوية فأن [اخراج] القصة هو العامل الوحيد لنجاحها .. فيحكم المشاهد على الفلم قياساً الى أخراجه .. اذ سرعان ما يؤثر الاخراج الناجح بمشاعر المشاهد ، أي مشاهد . . فيتناسى هذا المشاهد من خلال سياق [التمثيل والاخراج] بأنه يشاهد فلما سينمائياً غير [واقعي] .. ويعتقد في نفسه انه (أمام) تلك الاحداث يعيشها بنفسه .

وهذه الحقيقة التي لا تقبل التشكيك مطلقاً ، ويستطيع ان يلمسها كل فرد ، هي التي ربطت الاخراج الفني للجريدة بالقارىء .. فبقدر ما يكون الاخراج مطابقاً لنفسية ومشاعر القارىء . . كان نجاح تلك الجريدة معتمداً على [تقدير] ذلك القارىء .. والذي يلتزم بمسؤولية تجاه الجريدة التي وجـــد فيها جهداً وفناً تساعده على تذوق مضامين [المادة] المراد له تفهمها وهضمها .

أن قضية التبويب أو الاخـراج الفني للجريدة مرتبط ارتباطا وثيقا بنفسية القارىء ... فكما تستهوى المناظر الطبيعية البديعة الانسان ، فان أي (تركيب) فني لما هو موجود امام المشاهد سـواء ما يتعلق بالماديات الحياتية أو المعنويات الوقتية تسـتهوي ذالك الانسان وتشـده اليه ، اذا ما انعكست متطلبات (الوجود) على نفسيته ، كأن يريد شيئاً قـد افتقده أو ابعـدت الظروف بينـه وبين ذلك الشيء المـراد منـه تذوقـه والاستفادة منه .

فلو قام اثنان من الناس بتشييد مخزنين كبيرين في شارع أو نـاحية مزدحمة بالسكان .. واعتنى احدهما بالمخزن وقسمه تقسيما فنيا ووضع فيه بضائعه بتناسق مقبول ، مسهلا على الزبون القاء نظـرة على البضائع دون أن يجد مشقة في الحصول على ما يريد من تلك البضائع . بينما يترك الثاني هذه الناحية ويكدس بضائعه بقدر ما يفسح مجال المخزن لها ، متراكمة فوق بعضها ، فهل يقدم الزبون على شراء احتياجاته من المخزن الاول ام الثـاني ؟

في الحقيقة أن الزبائن تقدم على المخازن الكبيرة المنتظمة الواسعة المنسقة .. وتعزف عن دخول تلكم المخازن الرديئة .. وتجاه هذه الحقيقة ، يقـوم اصحاب المخازن الجديدة قبل أن يقدموا على تشييدها بحشر كل الامكانيات الفنية التجارية متبعين تصميما حديثا للمحلات التجهيزية الكبرى ، حتى يذهب بعضهم الى الاستعانة بخبير (الديكوريشن) لوضـع التصميم ، ثم ينسق بضائعه حسب اقسامها ، مجندا كل امكانياته المادية لشـراء المبردات والثلاجات ، وبعدها يقوم بحملة دعائية قبل الافتتاح .. وعند ذلك الوقت .. يضع صـاحب المخزن نفسه امام الزبائن ليحكموا على نجاحـه أو فشله . فان استهوى تناسق المخزن المنعكس عن ذوق صاحبه نفسية [المشتري] ،

اصبح ذلك المشتري زبونا المحل بعد أن يكون قد وجد من المعاملة [التجارية] ماتطيب له النفس وتسهل مهمة المشتري .

وهكذا الحال في الصحافة . . فكلما كانت الجريدة قوية من الناحيتين الفكرية والفنية كان انتشارها اوسع اذا ما التزمت بالمادة والشكل . فتعطى أي قارىء الاخبار والمقال في السياسة والادب والاجتماع ، وتزوده بالصور الخبرية ، وتقربه اكثر ، فتزوده بالمعلومات المفيدة له لما تبتكر من زوايا جديدة فنية وخفيفة . واحسن الصحف هي التي تقدم للقارىء البسيط كل ما يريده ، وتربط بها رجل الاعمال والسياسي ، فالطالب والمثقف .

وتجاه التطور التكنيكي في الصناعات ، وتشعب المجالات الحياتية ، وازدهار الصناعات الوطنية ، وتطور الاحداث الدولية ، وتفاقم حركات التحرر ، ونمو النهضات الفكرية والثقافية ، ارتبطت الصحافة الحديثة في كل جزئيات الحياة العامة للفرد الواحد في المجتمع الواحد وعلاقة هذا الفرد بالمجموع . . وارتباط المجموع في كل وحدة سكنية اقليمية بالمجامع الاخرى في انحاء العالم . وكانت السبل الدعائية النشرية اسرع في الالتصاق بهذا التطور غير المنظور من المجالات الاخرى . . والصحافة جزء من هذه السبل ، استطاعت أن تتبوأ المركز الاول في المجتمعات المتقدمة كسلطة رابعة مستقلة في الدول من حيث تركيبها الشرعي ومفهومها القانوني .

ولهذا ، اصبحت الجريدة اليوم مرآة تعكس ماديات الحياة في كل مجالاتها . . . وانتقلت من طورها الاول كصحيفة رأي أو مقال ، الى صحيفة احداث ، أو سجل حياة لكل يوم جديد .

سابعاً : المراسلون الصحفيون :

تشكو الصحافة العراقية اليوم ، أكثر مما كانت تشكو منه في

الماضي ، بالنسبة للتطورات السريعة في المجتمع العراقي وما ادى هـــذا التطور الى زيادة الترابط بين أفــراد (البناء) الواحـــد (الطبقي) ونمـــو العلائق الاجتماعية نمـــواً سريعاً ، وتعـــدد احتياجات الفرد، نقول أن صحافتنا ، تشكو من انعـــدام وسيلة من وسائل هـــذا الترابط في وقت تحتم عليهـــا العـــلائق الاجتماعية الاخـــذ والبدء بهذه البادرة ، لما يترتب عليها من مسؤولية في تقوية هذا الترابط . . ونعني بهذه الوسيلة ، ايصال الرأى من والى ابناء الشعب في بقاع ارض الوطن .. والوصول بهذا الرأي أو ذاك الى أبنـاء الشعب وبالعكس .. وهـذا حتماً يأتي عن طريق الصحافة . وبتعبير أصـح (المراسل) الذي يشكل (همزة وصل) بين أفراد الشعب وبين السلطة . فجل الصحف العراقية في أيامنا هذه لم توفق الى تفهم أهمية المراسل الصحفي في مجالات الحياة العـامة . وتجـاه عدم الموفقية هذه ، انعدمت (رابطة) التعاون بين القارىء خارج منطقة (المطبوع) والجريدة نفسها ، وذلك لعدم التعبير عن حاجيات القارىء الذي يتطلع دوماً الى أثبات وجوده على صفحات الجريدة .

هذه ناحية .. أما الناحية (الصحفية) الاخرى .. فأن انعـدام المراسل الصحفي يشكل ضعفاً في (بناء) الجريدة ، حين تنعـــدم وسيلة هامة من وسائل تغذية الجريدة بالمادة الحيوية اليومية سواء في الداخل ، داخل العراق ، أو خارجة في أنحـاء العالم . اذ ان المراسلين الصحفيين المرتبطين بجريدة ما ، يشكلون دعامة من دعائم تثبيت كيان الجريدة من ناحية متانة مكانتها وارتباطها بالمجتمع الاقليمي والعالمي .

اما السبب الذي يعـــود الى أنعدام المراسل الصحفي في صحافتنا العراقية ، فهو عدم تفهم صاحب الجريدة مسؤولية الارتباطـات الاجتماعية كجزء من من سياسة التعبير عن وجودها وأصلها وهذا ضعف عام ينعكس واقعه على الصحافة الحديثة . ووراء عدم التفهم هذا .. [المقصود] حتماً ..

يكمن العامل الاقتصادي ، حين يرفض صاحب الجريدة تعيين مراسلين في الالوية أو خارج القطر لما قد يحتاجه المراسل من مصاريف يعتاش منها في تأدية مهمته كمراسل صحفي خاص في جريدة معينة .

ثامناً : الاعلانات :

ومن عوامل الضعف والتأخر في عالم الصحافة العراقية مايتعلق بشكل ومضمون الاعلان الذي درجت عليه الصحف ، والذي لا ينفصل عن قضية نفسية المعلن نفسه ، حين يصر المعلن على تخصيص مساحات واسعة وفي صفحات معينة بالذات شريطة ان يتعامل مباشرة مع صاحب الجريدة لنشر الاعلان [المذكور] . ونظراً لاستعداد بعض أصحاب الصحف الى التعامل [التجاري] المقصود وبأسعار رخيصة جداً ، فقد انحدرت صحافتنا الى مستوى غير لائق بمكانتها ، ويبدأ صاحب الجريدة بتفضيل أعلان زهيد لا يتجاوز سعره الدينار الواحد على مادة معينة قد تحتل احد أركان الجريدة . . وهذه السياسة التجارية من قبل بعض أصحاب الصحف أدت بصحفهم الى مستوى ضعيف من حيث الاخراج .. ومن ثم تفوق الطابع التجاري على الهدف الاسمى التي تقوم عليه الصحافة ، وتأثير ذلك على القارىء .

اننا لا نتهم صاحب الجريدة وحده بهذا الضعف بل يشترك معه المعلن نفسه ، وهما (اليد) المحركة في تقرير مستوى الجريدة . ومتى ما تعاون اصحاب الصحف بينهم وقدروا قيمة الصحافة بايمان . . استطاعوا أن يحددوا موقفهم من مسألة الاعلان التي اصبحت اليوم مشكلة قد تهدد الجريدة نفسها وتحكم عليها بالبقاء أو الفناء . وعلى رأس الموقف ،

الاتفاق على تحديد سعر الاعلان ومساحته قياسا الى قيمة الصحافة كوسيلة من وسائل قيادة الرأي العام . فاذا ما توحدت مواقف اصحاب الصحف ، استطاعوا أن يفرضوا رأيهم على المعلن الذي لايستطيع في اية حال التخلي عن وسيلة (الدعاية) لبضائعه ، كعدم استطاعة الصحف ايضا التخلي عن مصدر رئيس من مصادر تمويلها في سبيل البقاء .

تاسعاً : توزيع الصحف :

هناك مشكلة تشغل بال اصحاب الصحف اكثر من المشاكل الاخرى العديدة التي تتعرض لها الصحافة العراقية ، وتعتبر ذات اهمية بالغة في رفع مستوى الصحافة وتقدمها من الناحيتين الفكرية والمادية . . وهذه المشكلة هي التوزيع اليومي للصحف العراقية داخل وخارج بغداد . فالمعروف أن متعهد بيع الصحف العراقية كان منذ سنوات عديدة ، وما زال ينفـــرد بهذه المهنة . ويقوم بتوزيع الصحف العراقية في بغداد والالوية وذلك بما لديه من الامكانيات التي لاتتجاوز (سيارة نقل) ينتقل بهـا من المطابع الى الباعة . . ومن (مقره) الى محطات القطار حيث تنقل بواسطه القطار الصحف الصادرة اليوم لتقرأ غدا في البصرة أو الموصل . وهذا المتعهد هو السيد عواد الشيخ علي . ولو اردنا انصاف هذا المتعهد ، اشكرنـاه على مهمته هذه بالرغم من ضعف وسائل التوزيع وانعدام بعضها . ولولا قيامه بمثل هذا العمل ، لانحصر توزيع الصحف البغدادية في بغداد ، بل وحتى في بعض مناطق بغداد فقط . وبعد ثورة ١٤ تموز حاول البعض القيام بتأسيس مكاتب التوزيع ، ونجح فريق من هؤلاء في انشاء مكتب دار بغداد للتوزيع ، ومكتب دار الاهالي ، غير انهم لم يحققوا الهدف من وراء هـــذا التأسيس لقلة امكانياتهم وانعـــدام وسائل التوزيع خارج لواء بغداد .

ان العناية بمشكلة توزيع الصحف ، وحلها على أسس ثابتة صحيحة ، قد تساعد على انتعاش بعض الصحف ، حين يتسنى لها توزيع اعدادها على نطاق واسع في مختلف مناطق العراق . وذلك يتم عن طريق التعاون بين اصحاب الصحف والحكومة من جهة وبين المتعهد المذكور نفسه لتطوير امكانياته وتشجيعه اكثر لمواصلة العمل على نطاق اوسع .

وهناك مشاكل اخرى تسببت في ضعف وتأخر صحافتنا العراقية . . منها مشكلة استيراد الورق وعـــدم توفره في بعض الايام ، بالاضافة الى رداءة نوعه ، وارتفاع ثمنه . والسبب في ذلك يرجع ايضا الى اقتصار المتاجرة بالورق على بعض الاشخاص ، وضعف امكانيات بعض اصحاب الصحف واضطرارهم إلى التعامل مع تجار الورق القلائل في سبيل اصدار صحفهم أو على الاقل الاستمرار في الاصدار . نعود في هذا المجال الى التأكيد على السلطات المسؤولة بضرورة الدخول في القطاع الاهلي الهام ، والمبادرة الى استيراد الورق الجيد وتعميمه على الصحف وباسعار زهيدة .

كتب المؤلف

١ ــ أبي	١٩٥٦
٢ ــ الخيانة الكبرى	١٩٥٩
٣ ــ الصحافة العراقية ميلادها وتطورها	١٩٦٠
٤ ــ قضايا صحفية	١٩٦١
٥ ــ صحف بغداد في ذكرى تأسيسها	١٩٦٢
٦ ــ صحافة العراق تاريخها وكفاح اجيالها	١٩٦٨

معد للطبع

« دور الصحافة الحزبية في العراق »

ويشمل دراسة موسعة عن تاريخ الصحافة الحزبية السرية والفترة التي اعقبت عام ١٩٦٣ ، وصدور قانون المؤسسة العامة للصحافة بعد تأميم الصحافة ، وتطورها ضمن القطاع العام .

تصميم الغلاف : جودت حسيب

١٩٦٨ ـــــــــــــــ بغداد

طبع في
مطبعة الأديب البغدادية
شارع السعدون ـ عمارة الأديب
تلفون ٨٤٨٦٢
٦/١٠٠٠/١٩٦٨

صحافة العراق

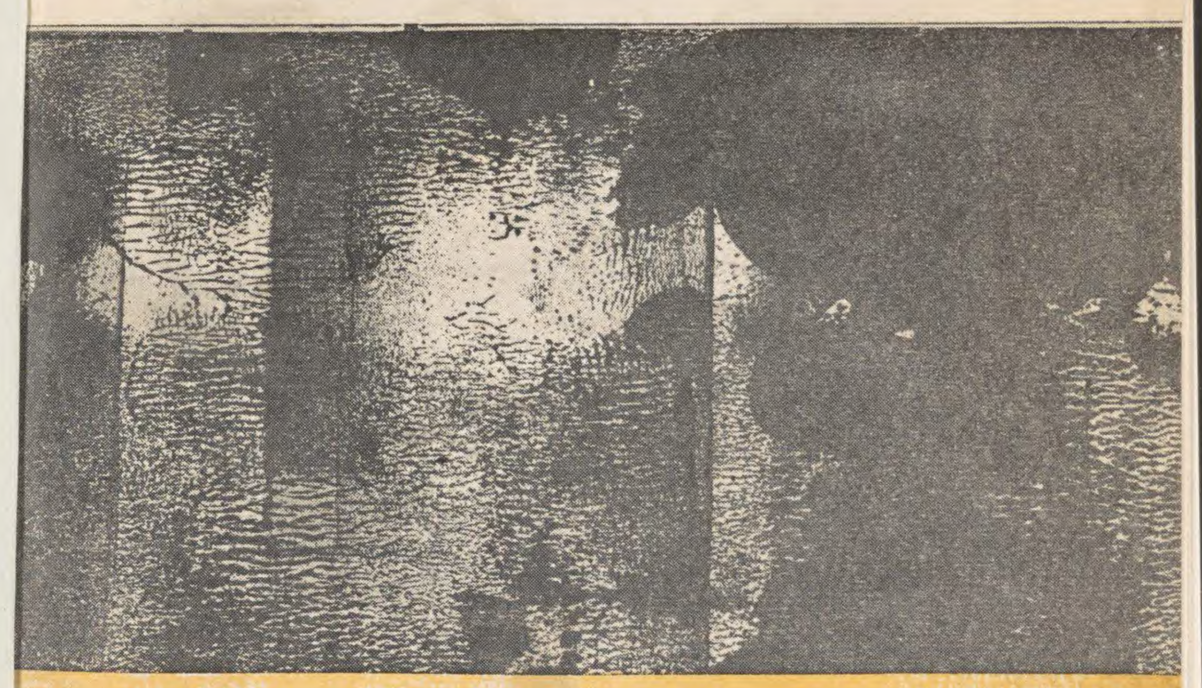
١٠٠ عام و ١٠٠٠ امتياز

ان القضية الجوهرية هي صراع طويل بين طبقة مستولية على الحكم بطرق غير شرعية وبين هيئات تمثل الشعب ، وقد أرادت هذه الطبقة الحاكمة قبل خمسة عشر عاماً ان تناوىء الأحزاب القائمة يومذاك ، وتكم الأفواه ، فبدأت بتعطيل الصحف ، ثم احالت مدراء الصحف المسؤولين الى المحاكم وكنت أحدهم .

(الجادرجي)

اعطوني حرية المعرفة وحرية القول وحرية المناقشة التي يرضى عنها ضميري قبل ان تعطوني أي نوع من الحريات الاخرى .

(ملتون)



السعر ٥٠٠ فلساً داخل العراق